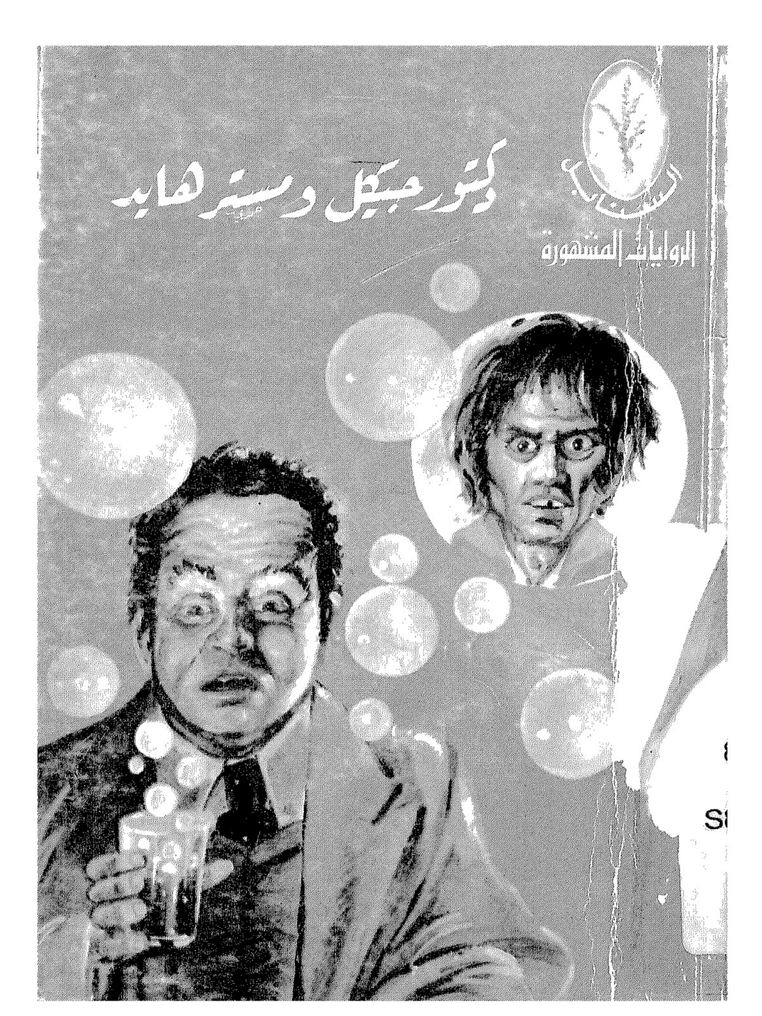
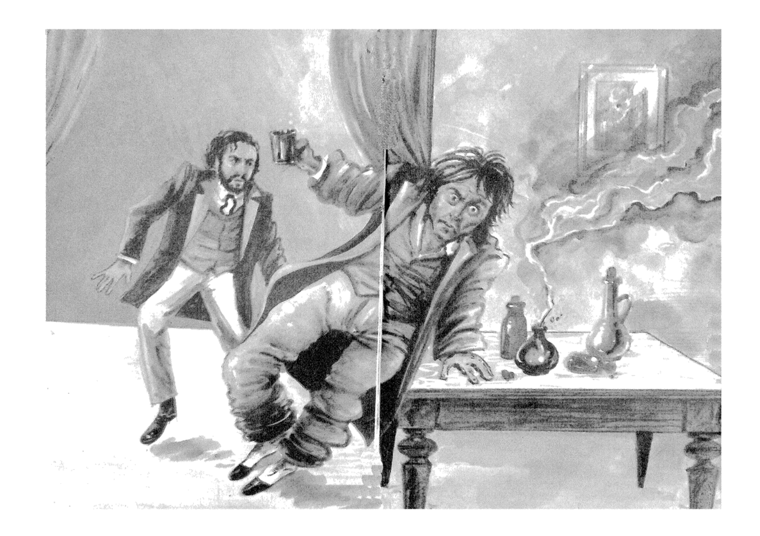

دكتور جيكل ومستر هايد
الروايات المشهورة

منحة من SIDA

دكتور جيكل
ومستر هايد



١٠ أ شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي - الجيزة

الطبعة الثانية
رقم الإيداع : ٢٢٩٢ / ٨٨
الترقيم الدولى : ISBN ٩٧٧-١٤٤٥-٥٠-٢

طبع بمطابع دار المعارف - القاهرة



الروايات المشهورة

دكتور جيكل ومستر هايد



تأليف : روبرت لويس ستيفنسن

إعداد : إسماعيل أبو العزائم

رسوم : نسيم ج. نصيف

مكتبة لبنان

بيروت

قِصَّةُ ٱلبابِ

كانَ ٱلسَّيِّدُ أتِرْسُون ٱلمُحامي رَجُلًا صارِمَ ٱلمَلامِحِ ، لا تَعْرِفُ ٱلابتِسامةُ طَريقَها إلى وَجْهِهِ ، صَموتًا ، نادِرًا ما يَتَحَدَّثُ ، وَلا يُظْهِرُ مَشاعِرَهُ إلَّا في حالاتٍ قَليلةٍ . كانَ طَويلَ ٱلقامةِ نَحيلًا ، يَميلُ إلى ٱلسُّمْرةِ ، ذا حَرَكةٍ بَطيئةٍ وَمَعَ ذٰلِكَ فَهُناكَ شَيْءٌ ما يَجْذِبُكَ إلَيْهِ وَخاصَّةً إذا كانَ مُنْشَرِحَ ٱلصَّدْرِ ، أَوْ كانَ بَيْنَ أَصْدِقائِهِ ٱلأَقْرَبينَ . فَعِنْدَئِذٍ قَدْ تَلْمَحُ في عَيْنَيْهِ مَظاهِرَ ٱلحُبِّ وَٱلعَطْفِ ، وَلَمْ يَكُنْ يُعَبِّرُ عَنْ هٰذِهِ ٱلمَظاهِرِ في حَديثِهِ قَطُّ بَلْ تَلْمَحُها في نَظَراتِهِ ، وَتَراها في تَصَرُّفاتِهِ .

وَعَلى ٱلرَّغْمِ مِنْ قَسْوَتِهِ عَلى نَفْسِهِ ، فَلَمْ يَكُنْ يَقْسو في حُكْمِهِ عَلى ٱلآخَرينَ ، بَلْ يَلْتَمِسُ لَهُمُ ٱلعُذْرَ . وَإذا ٱنحَرَفَ أَحَدٌ عَنِ ٱلطَّريقِ ٱلسَّوِيِّ ، أَوْ وَضَعَ نَفْسَهُ في مَوْقِفٍ صَعْبٍ سارَعَ إلى مُساعَدَتِهِ لا تَأْنيبِهِ وَلَوْمِهِ . وَكَثيرًا ما كانَ يُرَدِّدُ عِبارةَ : « إنَّ ٱبنَ آدَمَ خَطَّاءٌ بِطَبْعِهِ . » لِذا كانَ أتِرْسُون يَبْذُلُ قُصارَى جَهْدِهِ كَيْ يَحولَ بَيْنَ مَنْ يَعْرِفُهُمْ وَبَيْنَ وُقوعِهِمْ في ٱلخَطَإِ .

كانَتْ عَلاقاتُهُ بِأَصْدِقائِهِ تَبْدو وَكَأَنَّها تَقومُ عَلى ٱلعَطْفِ أَكْثَرَ مِنْ قِيامِها عَلى ٱلمَحَبَّةِ . وَكانَ أَصْدِقاؤُهُ يَتَأَلَّفونَ إمَّا مِنْ أَقارِبِهِ أَوْ مِنْ أَشْخاصٍ كانَ يَعْرِفُهُمْ مُنْذُ زَمَنٍ طَويلٍ .

وَهٰذا هُوَ سِرُّ صَداقَتِهِ مَعَ ٱلسَّيِّدِ رِيتْشارْد إنْفيلْد مُصَمِّمِ ٱلأَزْياءِ ٱلمَعْروفِ ، وَٱلَّذي يَمُتُّ لَهُ بِصِلةِ قَرابةٍ بَعيدةٍ . وَكانَ ٱلكَثيرونَ يَتَساءَلونَ في دَهْشةٍ عَنْ

تِلْكَ ٱلصِّلةِ ٱلَّتي تَرْبُطُ أَحَدَهُما بِٱلآخَرِ . فَقَدْ لاحَظَ كُلُّ مَنْ كانَ يُصادِفُهُما أَثْناءَ سَيْرِهِما في أَيَّامِ ٱلآحادِ أَنَّهُما لَمْ يَكونا يَتَحَدَّثانِ قَطُّ . وَكانَتْ تَبْدو عَلَيْهِما عَلاماتُ ٱلفُتورِ حَتَّى إِنَّهُما كانا يُرَحِّبانِ بِشِدَّةٍ بِمَقْدَمِ صَديقٍ يُخْرِجُهُما مِمَّا هُما فيهِ مِنْ صَمْتٍ . وَمَعَ ذٰلِكَ فَقَدْ كانَ هٰذانِ ٱلصَّديقانِ يَحْرِصانِ كُلَّ ٱلحِرْصِ عَلى أَنْ يَسْتَمْتِعا بِنُزْهَتِهِما ٱلأُسْبوعيَّةِ . وَكَثيرًا ما كانا يُفَضِّلانِها عَلى أَيَّةِ مُتْعةٍ أُخْرى ، بَلْ يُؤَجِّلانِ أَداءَ أَيِّ عَمَلٍ قَدْ يَتعارَضُ وَقْتُهُ مَعَها .

حَدَثَ ذاتَ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ ٱلآحادِ أَنِ ٱتَّجَها في سَيْرِهِما إِلى شارِعٍ جانِبيٍّ مُتَفَرِّعٍ مِنْ أَحَدِ شَوارِعِ لَنْدَن ٱلمُزْدَحِمةِ . وَكانَ ذٰلِكَ ٱلشَّارِعُ صَغيرًا هادِئًا ، وَإِنْ كانَتْ حَرَكةُ ٱلتَّعامُلِ فيهِ نَشيطةً في أَيَّامِ ٱلأُسْبوعِ ٱلأُخْرى . وَبَدا أَنَّ أَصْحابَ ٱلمَتاجِرِ قَدْ لاقَوْا نَجاحًا وَٱزْدِهارًا ، وَأَنَّهُمْ يَتَطَلَّعونَ إِلى مَزيدٍ مِنَ ٱلنَّجاحِ وَٱلازْدِهارِ . فَراحُوا يَبْذُلونَ شَيْئًا مِمَّا يَكْسِبونَ في سَبيلِ إِظْهارِ مَتاجِرِهِمُ ٱلبَرَّاقةِ ٱلجَذَّابةِ بِمَظْهَرٍ أَشَدَّ بَريقًا وَجاذِبيَّةً . وَٱنعَكَسَتْ جُهودُهُمْ تِلْكَ عَلى واجِهاتِ مَتاجِرِهِمْ فَبَدَتْ جَميلةً جَذَّابةً وَكَأَنَّها مَجْموعةٌ مِنَ ٱلبائِعاتِ ٱلباسِماتِ يُشَجِّعْنَ ٱلزَّبائنَ كَيْ يُقْبِلوا عَلى ٱلشِّراءِ . وَحَتَّى في أَيَّامِ ٱلآحادِ ، حِينَ تُغْلِقُ تِلْكَ ٱلمَتاجِرُ أَبْوابَها ، وَتَخْلو مِنَ ٱلزَّبائِنِ ، يَظَلُّ ذٰلِكَ ٱلشَّارِعُ مُحْتَفِظًا بِجَمالِهِ إِذا قُورِنَ بِالشَّوارِعِ ٱلأُخْرى ٱلمُجاوِرةِ لَهُ . كانَتِ ٱلمَتاجِرُ ذاتَ نَوافِذَ نَظيفةٍ حَديثةِ ٱلطِّلاءِ ، وَأَجْزاءٍ نُحاسِيَّةٍ مَجْلُوَّةٍ لامِعةٍ . وَكانَتِ ٱلنَّظافةُ ٱلعامَّةُ واضِحةً بِصُورةٍ تَجْذِبُ ٱلمارِّينَ وَتَبْعَثُ ٱلارْتياحَ في نُفوسِهِمْ .

يَلْتَقي بِهٰذا ٱلشَّارِعِ ٱلجَميلِ شارِعٌ آخَرُ أَقَلُّ ٱتِّساعًا . وَعِنْدَ مُلْتَقى ٱلشَّارِعَيْنِ يَبْرُزُ مَبْنًى قَبيحُ ٱلمَنْظَرِ مُكَوَّنٌ مِنْ طابَقَيْنِ وَيَخْلو تَمامًا مِنَ ٱلنَّوافِذِ ، وَبِهِ بابٌ واحِدٌ فَقَطْ في ٱلطَّابَقِ ٱلأَرْضِيِّ يَعْلوهُ حائِطٌ مُتَّسِخٌ يَمْتَدُّ حَتَّى سَطْحِ ٱلطَّابَقِ ٱلعُلْويِّ . وَتَبْدو عَلى ٱلمَنْزِلِ كُلِّهِ مَظاهِرُ ٱلإِهْمالِ ٱلطَّويلِ ، فَٱلبابُ مُشَقَّقٌ مُتَّسِخٌ لَيْسَ بِهِ جَرَسٌ أَوْ سَقَّاطَةٌ ، وَيَأْوي إِلَيْهِ ٱلمُتَسَوِّلونَ ، وَيَلْعَبُ ٱلأَطْفالُ عَلى دَرَجِهِ وَيَحْفِرونَ بِمُداهُمْ في حائِطِهِ دونَ أَنْ يَرْدَعَهُمْ رادِعٌ . وَظَلَّ ٱلأَمْرُ كَذٰلِكَ طَوالَ عِشْرينَ سَنَةً دونَ أَنْ يَظْهَرَ مَنْ يَنْهَرُهُمْ أَوْ يُصْلِحُ ما أَتْلَفوهُ .

كانَ ٱلسَّيِّدُ إِنْفيلْد يَسيرُ مَعَ صَديقِهِ ٱلمُحامي بِالجانِبِ ٱلآخَرِ مِنْ هٰذا ٱلشَّارِعِ ٱلفَرْعِيِّ . وَعِنْدَما أَصْبَحا في مُواجَهةِ ٱلبَيْتِ رَفَعَ ٱلسَّيِّدُ إِنْفيلْد عَصاهُ وَأَشارَ إِلَيْهِ قائِلًا : « أَ تَرى هٰذا ٱلبابَ ؟ »

أَجابَ ٱلمُحامي : « نَعَمْ . »

قالَ ٱلسَّيِّدُ إِنْفيلْد : « إِنَّهُ مُرْتَبِطٌ في ذِهْني بِقِصَّةٍ في غايَةِ ٱلغَرابةِ . »

سَأَلَهُ ٱلسَّيِّدُ أَتِرْسُون : « ما هٰذِهِ ٱلقِصَّةُ ؟ »

أَجابَ ٱلسَّيِّدُ إِنْفيلْد : « كُنْتُ ذاتَ يَوْمٍ راجِعًا إِلى بَيْتي مِنْ رِحْلةٍ إِلى بَلَدٍ بَعيدٍ ، وَكانَ ذٰلِكَ في ٱلسَّاعةِ ٱلثَّالِثةِ مِنْ صَباحِ يَوْمٍ بارِدٍ مِنْ أَيَّامِ ٱلشِّتاءِ . وَلَمْ يَكُنْ بِالشَّوارِعِ أَحَدٌ . كانَتْ خالِيةً تَمامًا ، لَيْسَ بِها إِلَّا صُفوفٌ مِنَ ٱلمَصابيحِ وَراءَ صُفوفٍ . وَفَجْأَةً رَأَيْتُ شَخْصَيْنِ : كانَ أَحَدُهُما صَغيرَ ٱلجِسْمِ يَتَّجِهُ

مُسْرِعًا نَحْوَ ٱلشَّرْقِ ، أَمَّا ٱلآخَرُ فَكانَ فَتاةً صَغيرةً في حَوالَى ٱلثّامِنةِ مِنَ ٱلعُمْرِ تَجْري بِأَقْصى سُرْعةٍ عِنْدَ ناصِيةِ ٱلطَّريقِ . وَسَرْعانَ ما ٱصطَدَمَتْ بِالرَّجُلِ هُنا عِنْدَ مُلْتَقى ٱلشّارِعَيْنِ . رُبَّما كانَ ٱصطِدامُ ٱلفَتاةِ ٱلمُسْرِعةِ بِالرَّجُلِ أَمْرًا لا غَرابةَ فيهِ ، أَمّا ٱلفَظيعُ في ٱلأَمْرِ فَهُوَ ما حَدَثَ بَعْدَ ذٰلِكَ : لَقَدْ داسَ ٱلرَّجُلُ بِهُدوءٍ غَريبٍ عَلى جِسْمِ ٱلفَتاةِ ٱلمُلْقاةِ عَلى ٱلأَرْضِ ، ثُمَّ تَرَكَها تَصْرُخُ وَسارَ في طَريقِهِ كَأَنَّ شَيْئًا لَمْ يَحْدُثْ . إِنَّ مُجَرَّدَ رُؤْيَتِكَ لِهٰذا ٱلمَنْظَرِ تَجْعَلُكَ تَقْشَعِرُّ مِنْ هَوْلِهِ . إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ رَجُلًا ، بَلْ كانَ أَشْبَهَ بِوَحْشٍ لا يَعْرِفُ ٱلرَّحْمةَ . لَقَدْ فَزِعْتُ لِما رَأَيْتُ وَصِحْتُ ، وَأَسْرَعْتُ وَراءَ ٱلرَّجُلِ حَتّى لَحِقْتُ بِهِ وَأَمْسَكْتُهُ ، ثُمَّ عُدْتُ بِهِ إِلى حَيْثُ كانَتِ ٱلفَتاةُ مُلْقاةً عَلى ٱلأَرْضِ وَقَدْ تَجَمَّعَ حَوْلَها عَدَدٌ مِمَّنْ سَمِعوا صُراخَها . أَمّا ٱلرَّجُلُ فَكانَ في غايةِ ٱلهُدوءِ ، وَلَمْ يَقُمْ بِأَيَّةِ مُقاوَمةٍ ، وَلٰكِنَّهُ سَدَّدَ إِلَيَّ نَظْرةً غاضِبةً ٱقشَعَرَّ لَها بَدَني . وَكانَ ٱلمُحيطونَ بِٱلفَتاةِ هُمْ أَفْرادَ عائِلَتِها ، وسارَعوا بِطَلَبِ ٱلطَّبيبِ ٱلَّذي جاءَ بَعْدَ فَتْرةٍ قَصيرةٍ .

« لَمْ تَكُنْ حالةُ ٱلفَتاةِ سَيِّئةً ، بَلْ كانَتْ تُعاني مِنَ ٱلفَزَعِ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ آخَرَ – كَما قالَ ٱلطَّبيبُ – وَكانَ مِنَ ٱلمُمْكِنِ أَنْ يَنْتَهِيَ ٱلأَمْرُ عِنْدَ هٰذا ٱلحَدِّ . وَلٰكِنْ ما حَدَثَ بَعْدَ ذٰلِكَ كانَ غَريبًا أَيْضًا . لَقَدْ تَمَلَّكَني شُعورٌ بِٱلخَوْفِ وَٱلكَراهيةِ لِذٰلِكَ ٱلرَّجُلِ مُنْذُ ٱلبِدايةِ ، وَكانَ ذٰلِكَ هُوَ شُعورَ أَفْرادِ عائِلةِ ٱلفَتاةِ ، وَلَمْ يَكُنْ ذٰلِكَ بِٱلأَمْرِ ٱلمُسْتَغْرَبِ .

« أَمّا مَوْقِفُ ٱلطَّبيبِ فَقَدْ كانَ مُثيرًا لِلدَّهْشةِ . كانَ ذٰلِكَ الطَّبيبُ رَجُلًا عادِيًّا يَتَحَدَّثُ ٱلإِنجليزيَّةَ بِلَهْجةٍ إِسْكُتْلَنْديَّةٍ ، وَلَمْ يَكُنْ مِنَ ٱلسَّهْلِ تَقْديرُ



عُمْرِهِ . كانَ كُلَّما نَظَرَ إلى ٱلرَّجُلِ ٱلَّذي أُمْسِكَ بِهِ ٱزدادَ غَضَبُهُ عَلَيْهِ ، وَبَدا كَأَنَّما يُريدُ أَنْ يَقْتُلَهُ . وَأَدْرَكْتُ ما يَدورُ في ذِهْنِ ٱلطَّبيبِ ، كَما أَدْرَكَ هُوَ ما يَدورُ بِذِهْني . وَبِما أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ في وُسْعِنا أَنْ نَقْتُلَهُ فَقَدْ هَدَّدْناهُ بِأَنْ نُشَهِّرَ بِهِ ، وَنَفْضَحَهُ ، وَنُلَطِّخَ سُمْعَتَهُ في كافَّةِ أَنْحاءِ لَنْدَن ، مِنْ أَقْصاها إلى أَقْصاها . وَقُلْنا لَهُ إِنَّ ذٰلِكَ سَوْفَ يُفْقِدُهُ أَصْدِقاءَهُ وَيَشينُهُ بَيْنَ ٱلنّاسِ . وَكُنّا أَثْناءَ تَهْديدِنا لَهُ نَحولُ بَيْنَ ٱلنِّساءِ وَبَيْنَهُ ، فَقَدْ كُنَّ غاضِباتٍ صاخِباتٍ يُرِدْنَ لَوْ يَفْتَرِسْنَهُ .

« لَمْ أَرَ طَوالَ حَياتي مِثْلَ تِلْكَ ٱلْوُجوهِ ٱلغاضِبةِ تُحيطُ بِالرَّجُلِ ٱلَّذي كانَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ دُونَ ٱكتِراثٍ . وَمَعَ ذٰلِكَ فَقَدْ أَدْرَكْتُ أَنَّهُ كانَ يَشْعُرُ بِٱلخَوْفِ أَيْضًا ، رَغْمَ أَنَّهُ كانَ واقِفًا يَتَحَدّانا كَما لَوْ كانَ شَيْطانًا مارِدًا . وَأَخيرًا قالَ : « إذا كُنْتُمْ تُريدونَ ٱستِغْلالَ هٰذِهِ ٱلحادِثةِ فَلَيْسَ في وُسْعي أَنْ أَمْنَعَكُمْ . إنَّ ٱلإِنْسانَ يُحاوِلُ دائِمًا تَجَنُّبَ ٱلفَضيحةِ – فَما ٱلمَبْلَغُ ٱلَّذي تَطْلُبونَهُ مُقابِلَ ذٰلِكَ ؟ » فَأَخَذْنا نُساوِمُهُ حَتّى ٱتَّفَقْنا مَعَهُ أَنْ يَدْفَعَ مِئةَ جُنَيْهٍ تَعْويضًا لِما حَدَثَ . وَكانَ يَوَدُّ أَنْ يَرْفُضَ ، وَلٰكِنَّهُ رَأى ٱلشَّرَّ في عُيونِنا فَقَبِلَ .

« كانَتِ ٱلخُطْوةُ ٱلتّاليةُ هِيَ أَنْ نَحْصُلَ مِنْهُ عَلى ٱلمَبْلَغِ ٱلَّذي ٱتَّفَقْنا عَلَيْهِ ، فَإلى أَيِّ مَكانٍ تُراهُ قَدْ أَخَذَنا ؟ لَقَدْ جاءَ بِنا إلى هٰذا ٱلبَيْتِ ذي ٱلبابِ ٱلقَديمِ ٱلمُشَقَّقِ ، ثُمَّ أَخْرَجَ مِفْتاحَهُ وَفَتَحَهُ . وَدَخَلَ ٱلبَيْتَ وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جاءَ بِعَشَرةِ جُنَيْهاتٍ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَبِشيكٍ بِٱلمَبْلَغِ ٱلباقي يُصْرَفُ لِأَمْرِ حامِلِهِ . أَمّا ٱلتَّوْقيعُ فَكانَ بِٱسمِ شَخْصٍ لَيْسَ في وُسْعي أَنْ أَذْكُرَهُ لَكَ رَغْمَ أَنَّهُ ٱسمُ شَخْصٍ مَشْهورٍ وَكَثيرًا ما يَرِدُ ذِكْرُهُ في ٱلصُّحُفِ .

« لَقَدْ كانَ ٱلمَبْلَغُ ٱلَّذي ٱتَّفقْنا عَلَيْهِ كَبيرًا ، وَلٰكِنْ إذا كانَ ٱلتَّوْقيعُ ٱلَّذي عَلى ٱلشِّيكِ صَحيحًا فَإِنَّ صاحِبَهُ قادِرٌ عَلى أَنْ يَدْفَعَ مَبْلَغًا أَكْبَرَ بِكَثيرٍ . لِهٰذا قُلْتُ لِلرَّجُلِ إنَّ ٱلمَوْضوعَ مُحاطٌ بِالرِّيبَةِ وَٱلشَّكِّ ، إذْ لَيْسَ مِنَ ٱلطَّبيعيِّ أَنْ يَقومَ شَخْصٌ ما بِفَتْحِ بابِ بَيْتٍ في ٱلسَّاعَةِ ٱلرَّابِعَةِ صَباحًا ثُمَّ يَخْرُجَ بَعْدَ بُرْهَةٍ وَمَعَهُ شيكٌ بِتَوْقيعِ شَخْصٍ آخَرَ وَبِمَبْلَغٍ يَقْرُبُ مِنْ مِئَةِ جُنَيْهٍ .

« اِستَمَعَ ٱلرَّجُلُ إلى قَوْلي بِهُدوءٍ شَديدٍ ثُمَّ قالَ : (لا تَقْلَقْ . سَوْفَ أَبْقى مَعَكَ حَتَّى يَفْتَحَ البَنْكُ أَبْوابَهُ ، ثُمَّ أَصْرِفَ لَكَ ٱلشِّيكَ بِنَفْسي .) وَهٰكَذا ذَهَبْنا جَميعًا إلى شَقَّتي — ٱلطَّبيبُ وَأَبو ٱلفَتاةِ وَٱلرَّجُلُ وَأَنا — وَقَضَيْنا باقِيَ ٱللَّيْلِ بِها . وَفي ٱلصَّباحِ ذَهَبْنا مَعًا بَعْدَ ٱلإفْطارِ إلى ٱلبَنْكِ ، وَقُمْتُ أَنا بِتَقْديمِ ٱلشِّيكِ بِنَفْسي لِلصَّرَّافِ وَقُلْتُ لَهُ إنَّ أَسْبابًا كَثيرةً تَجْعَلُني أَشُكُّ في صِحَّةِ ٱلتَّوْقيعِ . وَلٰكِنَّ شَكِّي كانَ بِلا أَساسٍ فَقَدْ قالَ ٱلصَّرَّافُ إنَّ ٱلتَّوْقيعَ صَحيحٌ . »

قالَ أَتِرْسُون : « يا لَلْعَجَبِ ! »

قالَ إنْفيلْد : « أَراكَ تَشْعُرُ بِنَفْسِ شُعوري . لا بُدَّ أَنَّ في ٱلأَمْرِ شَيْئًا مُريبًا ؛ إذْ إنَّ ٱلرَّجُلَ كانَ مِمَّنْ لا يَليقُ بِالشُّرَفاءِ أَنْ يَتَعامَلوا مَعَهُ ؛ كانَ شِرِّيرًا بِكُلِّ ما في ٱلكَلِمةِ مِنْ مَعْنًى . أَمَّا صاحِبُ ٱلشِّيكِ فَقَدْ كانَ رَجُلًا في غايةِ ٱلاحتِرامِ ، وَكانَ مَشْهورًا أَيْضًا . وَأَغْرَبُ مِنْ ذٰلِكَ أَنَّهُ كانَ مِمَّنْ يُمْكِنُ تَلْقيبُهُمْ بِٱلخَيِّرينَ ٱلطَّيِّبينَ . لا بُدَّ أَنَّهُ شَخْصٌ شَريفٌ يَبْتَزُّهُ رَجُلٌ شِرِّيرٌ مُهَدِّدًا إيَّاهُ بِأَنْ يَكْشِفَ حَماقاتِهِ ٱلَّتي آرتَكَبَها في شَبابِهِ . وَحَتَّى هٰذِهِ ٱلشُّبْهةُ لا تَكْفي لِشَرْحِ ٱلمَوْقِفِ

مِنْ كافَّةِ جَوانِبِهِ . » قالَ ذٰلِكَ ثُمَّ صَمَتَ مُفَكِّرًا فيما حَدَثَ .

فَجْأَةً سَأَلَهُ أُتِرْسُون : « هَلْ يَعيشُ صاحِبُ ٱلشِّيكِ هُنا ؟ »

أَجابَ إِنْفيلْد : « هٰذا أَمْرٌ غَيْرُ مُحْتَمَلٍ ، فَقَدْ لاحَظْتُ عُنْوانَهُ . إِنَّهُ يَعيشُ في أَحَدِ ٱلأَحْياءِ ٱلرَّاقِيةِ ، وَلٰكِنِّي لا أَتَذَكَّرُهُ . »

قالَ أُتِرْسُون : « هَلْ سَأَلْتَهُ عَنْ ذٰلِكَ ٱلمَنْزِلِ ذي ٱلبابِ ؟ »

أَجابَ إِنْفيلْد : « لا يا سَيِّدي ، لَمْ أَشَأْ أَنْ أَسْأَلَهُ عَنْهُ . إِنِّي لا أُحِبُّ أَنْ أُكْثِرَ مِنْ تَوْجيهِ ٱلأَسْئِلةِ ، فَذٰلِكَ أَشْبَهُ بِيَوْمِ ٱلحِسابِ . أَوْ أَشْبَهُ بِمَنْ يُلْقي بِحَجَرٍ مِنْ تَلٍّ مُرْتَفِعٍ ، فَيَهْوي ٱلحَجَرُ إِلى أَسْفَلِ ٱلتَّلِّ وَيَجُرُّ مَعَهُ أَحْجارًا أُخْرى . وَفي نِهايةِ ٱلمَطافِ قَدْ تَجِدُ أَنَّ أَحَدَ هٰذِهِ ٱلأَحْجارِ أَصابَ رَأْسَ رَجُلٍ بَريءٍ يَجْلِسُ هادِئًا في حَديقَتِهِ . إِنَّ ٱلمَبْدَأَ ٱلَّذي أُومِنُ بِهِ أَنَّهُ كُلَّما ٱزْدادَتْ غَرابةُ ٱلمَوْضوعِ قَلَّتْ أَسْئِلَتي عَنْهُ . »

قالَ ٱلمُحامي : « إِنَّهُ مَبْدَأٌ جَيِّدٌ لِلْغاية . »

أَضافَ إِنْفيلْد قائِلًا : « وَلٰكِنِّي قُمْتُ بِنَفْسي بِدِراسةِ ٱلمَكانِ . إِنَّهُ مِنَ ٱلمُبالَغةِ أَنْ تَصِفَهُ بِأَنَّهُ بَيْتٌ ، فَلَيْسَ فِيهِ بابٌ غَيْرُ هٰذا ٱلبابِ ، وَلا يَدْخُلُ مِنْ هٰذا ٱلبابِ أَوْ يَخْرُجُ مِنْهُ أَحَدٌ بِٱسْتِثْناءِ ذٰلِكَ ٱلرَّجُلِ ٱلَّذي رَأَيْتُهُ تِلْكَ ٱللَّيْلةَ ، فَهُوَ يَأْتي إِلى ٱلبَيْتِ عَلى فَتَراتٍ مُتَباعِدةٍ . وَبِٱلبَيْتِ مِدْخَنةٌ يَنْبَعِثُ مِنْها ٱلدُّخانُ في كَثيرٍ مِنَ ٱلأَحْيانِ ، مِمَّا يَدُلُّ عَلى أَنَّ شَخْصًا ما يَعيشُ بِٱلبَيْتِ ؛ وَمَعَ هٰذا فَلَسْتُ مُتَأَكِّدًا مِنْ ذٰلِكَ ، إِذْ إِنَّ ٱلمَباني في هٰذا ٱلمَكانِ مُتَقارِبةٌ مُتَزاحِمةٌ وَمِنَ

ٱلصَّعْبِ أَنْ تَعْرِفَ ٱلحَدَّ ٱلفاصِلَ بَيْنَ بَيْتٍ وَآخَرَ . »

مَضى ٱلصَّديقانِ في طَرِيقِهِما صامِتَيْنِ . وَبَعْدَ فَتْرَةٍ قالَ ٱلسَّيِّدُ أَتِرْسُون : « إنَّ مَبْدَأَكَ مَبْدَأٌ سَديدٌ يا إنْفِيلْد . »

أَجابَهُ صَديقُهُ : « نَعَمْ ، أَعْتَقِدُ ذٰلِكَ . »

« وَلٰكِنْ مَعَ هٰذا هُناكَ نُقْطَةٌ واحِدَةٌ أُريدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْها : ما ٱسْمُ ٱلرَّجُلِ ٱلَّذي داسَ ٱلفَتاةَ وَسارَ فَوْقَ جَسَدِها ؟ »

أَجابَ إنْفِيلْد : « حَسَنًا ، لا أَرى ما يَمْنَعُني مِنْ أَنْ أُخْبِرَكَ بِٱسْمِهِ . إنَّهُ رَجُلٌ يُدْعى هايد . »

« صِفْهُ لي مِنْ فَضْلِكَ . »

« لَيْسَ مِنَ ٱلسَّهْلِ أَنْ أَصِفَهُ لَكَ . إنَّ شَيْئًا ما يَشوبُ مَظْهَرَهُ ٱلعامَّ . شَيْءٌ غَيْرُ سارٍّ ! شَيْءٌ فَظيعٌ ! إنَّني لَمْ أَرَ مِنْ قَبْلُ شَخْصًا كَرِهْتُهُ كَما كَرِهْتُ ذٰلِكَ ٱلرَّجُلَ ؛ وَمَعَ ذٰلِكَ فَلا أَدْري سَبَبًا لِكُرْهي لَهُ . لا بُدَّ أَنَّ بِهِ عاهَةً ما . فَهُوَ يَجْعَلُكَ تَشْعُرُ بِأَنَّهُ يُعاني مِنْ عاهَةٍ مُعَيَّنَةٍ – وَلٰكِنْ في أَيِّ جُزْءٍ مِنْ جِسْمِهِ ؟ لا أَدْري بِالتَّحْديدِ . إنَّهُ شَخْصٌ غَريبُ ٱلمَظْهَرِ ، وَمَعَ غَرابَةِ مَظْهَرِهِ لَيْسَ في وُسْعِكَ أَنْ تُحَدِّدَ ٱلشَّيْءَ ٱلغَريبَ فيهِ . لا يا سَيِّدي ، لَيْسَ في إمْكاني أَنْ أَصِفَهُ لَكَ . ولا يَرْجِعُ عَجْزي هٰذا إلى أَنِّي نَسيتُ شَكْلَهُ ، فَصُورَتُهُ أَمامَ عَيْنَيَّ ٱلآنَ بِكُلِّ وُضوحٍ . »

إسْتَغْرَقا في صَمْتٍ لِفَتْرَةٍ أُخْرى ، وَكانَ مِنَ ٱلواضِحِ أَنَّ أَتِرْسون يُفَكِّرُ

بِعُمْقٍ . وَأَخيرًا قالَ : « هَلْ أَنْتَ مُتَأَكِّدٌ أَنَّهُ آستَخْدَمَ مِفْتاحًا ؟ » وَعِنْدَما هَمَّ صَديقُهُ بِٱلإِجابَةِ بادَرَهُ قائِلًا : « أَعْرِفُ أَنَّ ٱلأَمْرَ غَريبٌ . إِنِّي لَمْ أَسْأَلْكَ عَنِ آسمِ ٱلرَّجُلِ ٱلَّذي حَرَّرَ ٱلشِّيكَ لِأَنِّي أَعْرِفُ آسمَهُ . أَ رَأَيْتَ يا رِيتْشارْد ؟ إِنَّ قِصَّتَكَ قَدْ وَقَعَتْ عَلى مَسامِعِ شَخْصٍ لَهُ صِلةٌ بِٱلمَوْضوعِ . فَإِذا كُنْتَ غَيْرَ دَقيقٍ في أَيِّ جانِبٍ مِنَ ٱلجَوانِبِ أَرْجو أَنْ تُصَحِّحَهُ ٱلآنَ . »

رَدَّ صَديقُهُ بِشَيْءٍ مِنَ ٱلغَضَبِ : « كُنْتُ أُفَضِّلُ لَوْ نَبَّهْتَني إِلى ذٰلِكَ مِنْ قَبْلُ . وَلٰكِنِّي كُنْتُ دَقيقًا كُلَّ ٱلدِّقَّةِ في وَصْفي لِما حَدَثَ . لَقَدْ كانَ مَعَ ٱلرَّجُلِ مِفْتاحٌ لِلْبابِ . بَلْ أَكْثَرُ مِنْ ذٰلِكَ ، إِنَّهُ يَحْتَفِظُ بِٱلمِفْتاحِ حَتَّى ٱلآنَ . فَقَدْ رَأَيْتُهُ يَسْتَخْدِمُهُ مُنْذُ أَقَلَّ مِنْ أُسْبوعٍ . »

تَنَهَّدَ أَتِرْسُون بِعُمْقٍ دُونَ أَنْ يَقولَ شَيْئًا فَقالَ إِنْفيلْد : « وَهٰذا دَرْسٌ آخَرُ يُعَلِّمُني أَنْ أَلْتَزِمَ دائِمًا بِالصَّمْتِ . إِنِّي لَأَخْجَلُ مِنْ طُولِ لِساني . فَلْنَتَّفِقْ مَعًا عَلى أَلَّا نُثيرَ هٰذا ٱلمَوْضوعَ مَرَّةً أُخْرى . »

« بِكُلِّ سُرورٍ يا رِيتْشارْد ! لِنَتَعاهَدْ عَلى ذٰلِكَ وَهٰذِهِ يَدي . » ثُمَّ تَصافَحا .

البَحْثُ عَنْ مِسْتَر هايد

عادَ أتِرْسُون إلى بَيْتِهِ في تِلْكَ ٱللَّيْلةِ مُكْتَئِبًا ، وَتناوَلَ عشاءَهُ دونَ شَهِيَّةٍ . وكانَتْ عادَتُهُ بَعْدَ أَنْ يَتناوَلَ عَشاءَهُ في أَيَّامِ ٱلآحادِ أَنْ يَجْلِسَ بِجوارِ ٱلمِدْفأةِ لِيَقْرَأَ أَحَدَ ٱلكُتُبِ ٱلدِّينيَّةِ حَتَّى مُنْتَصَفِ ٱللَّيْلِ ، ثُمَّ يَأْوي بَعْدَ ذٰلِكَ إلى فِراشِهِ . أَمَّا في تِلْكَ ٱللَّيْلةِ فَما إنِ ٱنْتهى مِنْ عَشائِهِ حَتَّى أَخَذَ شَمْعةً وَذَهَبَ إلى حُجْرةِ ٱلمَكْتَبِ ، ثُمَّ فَتَحَ ٱلخَزينةَ وَأَخْرَجَ مِنْها ظَرْفًا مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ « وَصِيَّةُ دُكْتُور جيكِل » وَجَلَسَ مُقَطِّبَ ٱلجَبينِ يُمْعِنُ في قِراءَتِها . كانَتِ ٱلوَصِيَّةُ مَكْتوبةً بِخَطِّ صاحِبِها ، وَقَدْ رَفَضَ أتِرْسُون أَنْ يُساعِدَ في كِتابَتِها رَغْمَ أَنَّهُ مُكَلَّفٌ ٱلآنَ بِتَنْفيذِ بُنودِها .

جاءَ في ٱلوَصِيَّةِ أَنَّهُ في حالةِ وَفاةِ دُكْتُور جيكِل تَنْتَقِلُ جَميعُ مُمْتَلَكاتِهِ إلى صَديقِهِ إدْوارْد هايد . وَلَمْ يَقْتَصِرِ ٱلأَمْرُ عَلى ذٰلِكَ ، بَلْ هُناكَ بَنْدٌ آخَرُ يَقولُ إنَّهُ في حالةِ آختِفاءِ دُكْتُور جيكِل ، أَوْ غِيابِهِ لِفَتْرةٍ تَزيدُ عَلى ثَلاثةِ أَشْهُرٍ فَإنَّ ٱلمَدْعو إدْوارْد هايد يَحِلُّ مَحَلَّ دُكْتُور جيكِل دُونَ أَيِّ إبْطاءٍ وَدُونَ أَنْ يَتَحَمَّلَ أَيَّ ٱلتزامٍ ، أَوْ يَقومَ بِأَيِّ واجِبٍ آخَرَ غَيْرِ دَفْعِ مَبالِغَ ضَئيلةٍ لِلْقائِمينَ بِٱلخِدْمةِ في بَيْتِ ٱلطَّبيبِ .

أَزْعَجَتْ هٰذِهِ ٱلوَثيقةُ أتِرْسُون ، أَضِفْ إلى ذٰلِكَ أَنَّهُ كانَ غاضِبًا لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ شَيْئًا عَنْ مِسْتَر هايد هٰذا . أَمَّا ٱلآنَ فَقَدْ تَغَيَّرَ ٱلوَضْعُ وَأَصْبَحَتْ مَعْرِفَتُهُ بِمِسْتَر هايد هِيَ ٱلَّتي تُثيرُ غَضَبَهُ . لَقَدْ كانَ ٱلأَمْرُ سَيِّئًا عِنْدَما كانَ آسْمُ مِسْتَر هايد مُجَرَّدَ آسْمٍ لا يَعْرِفُ شَيْئًا عَنْ صاحِبِهِ ، أَمَّا ٱلآنَ فَقَدِ آزْدادَ ٱلأَمْرُ

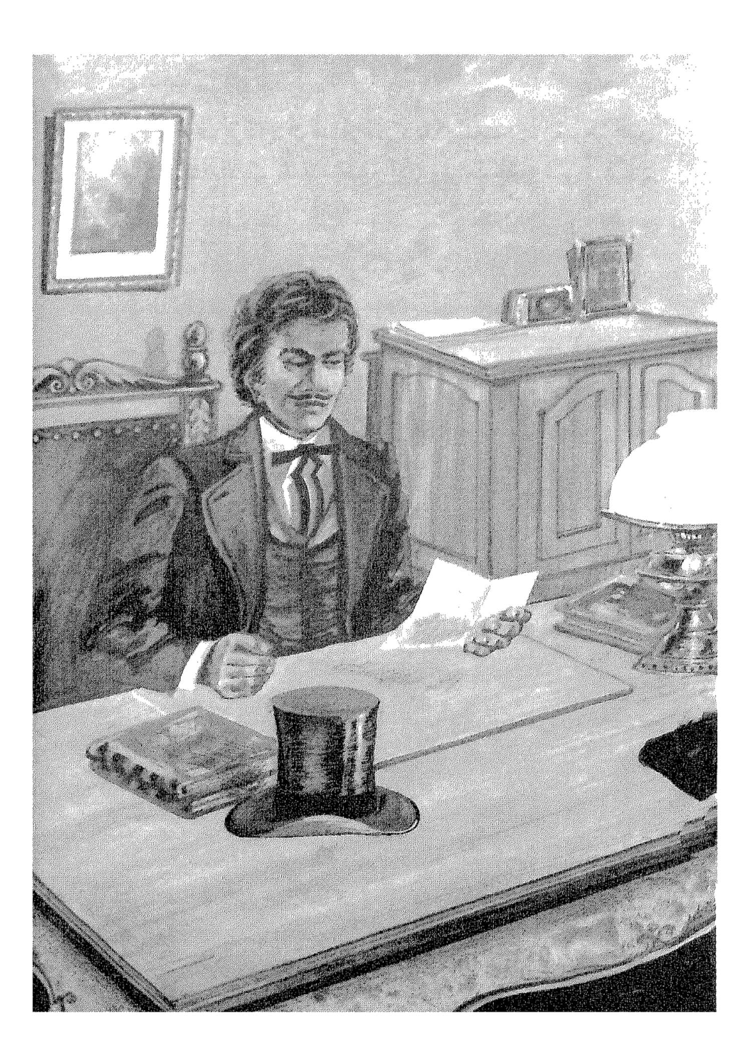
سُوءًا بَعْدَ أَنْ عَرَفَ أُتِرْسُون أَنَّ هٰذا ٱلرَّجُلَ كَريهُ ٱلصِّفاتِ . إِنَّ ٱلغُموضَ ٱلَّذي كانَ يُحيطُ بِذٰلِكَ ٱلاسْمِ قَدْ بَدَأَ يَنْقَشِعُ ٱلآنَ وَبَرَزَتْ فَجْأَةً صُورةُ شَيْطانٍ مارِدٍ .

قالَ أُتِرْسُون لِنَفْسِهِ وَهُوَ يُعيدُ ٱلوَصِيَّةَ إلى مَكانِها في ٱلخَزينةِ : « كُنْتُ أَعْتَقِدُ أَنَّ هٰذِهِ ٱلوَصِيَّةَ عَمَلٌ جُنونيٌّ – وَقَدْ بَدَأْتُ ٱلآنَ أَخْشى أن يَكونَ في ٱلأَمْرِ فَضيحةٌ . » ثُمَّ ٱرْتَدى مِعْطَفَهُ وَأَطْفَأَ ٱلشَّمْعةَ وَخَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ مُتَّجِهًا نَحْوَ مَيْدانِ كافِنْديش، حَيْثُ مَنْزِلُ صَديقِهِ ٱلكَبيرِ ٱلدُّكْتُور لانْيُون وَعِيادَتُهُ . وَكانَ يَقولُ في نَفْسِهِ : « إذا كانَ هُناكَ مَنْ يَعْلَمُ شَيْئًا عَنْ هٰذا ٱلمَوْضوعِ فَهُوَ ٱلدُّكْتُور لانْيُون . »

عِنْدَ وُصولِهِ إلى هُناكَ رَحَّبَ بِهِ ٱلخادِمُ ، وَقادَهُ إلى غُرْفةِ ٱلطَّعامِ حَيْثُ كانَ ٱلدُّكْتُور لانْيُون جالِسًا وَحْدَهُ يَشْرَبُ ٱلقَهْوةَ . وَما إِنْ رَأَى أُتِرْسُون حَتَّى هَبَّ واقِفًا وَرَحَّبَ بِهِ مادًّا لَهُ يَدَيْهِ ؛ فَقَدْ كانا صَديقَيْنِ قَديمَيْنِ مُنْذُ أَيّامِ ٱلدِّراسةِ بِٱلمَدْرَسةِ وَٱلجامِعةِ . وَكانَ كُلٌّ مِنْهُما يَحْتَرِمُ نَفْسَهُ وَيَحْتَرِمُ صَديقَهُ ، وَيَجِدُ ٱلمُتْعةَ في صُحْبَتِهِ .

بَعْدَ أَنْ تَحَدَّثا لِفَتْرةٍ قَصيرةٍ في مَواضيعَ مُتَنَوِّعةٍ وَجَّهَ ٱلمُحامي دَفَّةَ الحَديثِ نَحْوَ ٱلمَوْضوعِ ٱلَّذي كانَ يُقْلِقُ خاطِرَهُ .

قالَ : « أَعْتَقِدُ يا لانْيُون أَنَّنا – أَنْتَ وَأَنا – أَكْبَرُ صَديقَيْنِ سِنًّا لِدُكْتُور جيكِل . » فَرَدَّ عَلَيْهِ دُكْتُور لانْيُون قائِلًا : « كَمْ أَتَمَنَّى لَوْ كُنّا أَصْغَرَ أَصْدِقائِهِ. لِماذا تَسْأَلُني هٰذا ٱلسُّؤالَ ؟ إِنّي لا أَراهُ كَثيرًا هٰذِهِ ٱلأَيّامَ . »



قالَ أَتِرْسُون : « أَ حَقًّا هٰذا ؟ إِنّي كُنْتُ أَعْتَقِدُ أَنَّ لَدَيْكُما آهتِماماتٍ مُشْتَرَكةً . »

فَأَجابَهُ دُكْتُور لانْيُون : « لَقَدْ كانَ ذٰلِكَ فِيما مَضَى . لَقَدْ أَصْبَحَ هِنْري جيكِل خياليًّا لِلْغايةِ مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ عَشْرِ سَنَواتٍ مَضَتْ . وَقَدْ بَدَأَ عَقْلُهُ يَخْتَلُّ . عَلى آلرَّغْمِ مِنْ أَنِّي مازِلْتُ مُهْتَمًّا بِأَمْرِهِ مِنْ أَجْلِ آلعِشْرةِ آلقَديمةِ فَإِنِّي لا أَراهُ إِلَّا في آلقَليلِ آلنَّادِرِ . » ثُمَّ أَضافَ قائِلًا وَقَدِ آحمَرَّ وَجْهُهُ مِنَ آلغَضَبِ : « إِنَّ ذٰلِكَ آلهُراءَ آلعِلْميَّ آلَّذي يَهْذي بِهِ جَديرٌ بِأَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ آلشَّخْصِ وَأَقْرَبِ أَصْدِقائِهِ . »

شَعَرَ أَتِرْسُون بِشَيْءٍ مِنَ آلرَّاحةِ لَدى سَماعِهِ هٰذِهِ آلكَلِماتِ آلغاضِبةَ ، وَقالَ في نَفْسِهِ : « إِنَّهُما لَمْ يَخْتَلِفا إِلَّا حَوْلَ بَعْضِ آلمَسائِلِ آلعِلْمِيَّةِ ، لا أَكْثَرَ . » وَبَعْدَ أَنْ صَمَتَ بُرْهةً قَصيرةً سَأَلَ : « هَلْ قابَلْتَ صَديقًا لَهُ يُدْعى هايد ؟ »

قالَ لانْيُون : « هايد ؟ لا ، لَمْ أَسْمَعْ بِهِ قَطُّ . »

هٰذِهِ هِيَ آلمَعْلُوماتُ آلَّتي عادَ بِها آلمُحامي . وَقَدْ أَقْلَقَتْ مَضْجَعَهُ فَجَعَلَتْهُ يَتَقَلَّبُ في فِراشِهِ ، وَلَمْ يَذُقْ طَعْمَ آلنَّوْمِ في تِلْكَ آللَّيْلةِ حَتَّى ساعاتِ آلصَّباحِ آلأُولى . لَقَدْ كانَتْ لَيْلةً لَيْلاءَ ، أَنْهَكَ فيها عَقْلَهُ مُفكِّرًا في تِلْكَ آلأَسْئِلةِ آلكَثيرةِ آلَّتي لا يَجِدُ لَها جَوابًا .

مُنْذُ ذٰلِكَ آلوَقْتِ بَدَأَ أَتِرْسُون يُراقِبُ ذٰلِكَ آلبابَ آلكائِنَ بِالشَّارِعِ آلفَرْعيِّ مُراقَبةً دائِمةً ؛ يُراقِبُهُ كُلَّ صَباحٍ قَبْلَ أَنْ يَذْهَبَ آلنَّاسُ إِلى أَعْمالِهِمْ ، وَفي

ٱلظَّهيرةِ أَثْناءَ زِحامِ ٱلعَمَلِ ، وَفي ٱلمَساءِ في ضَوْءِ ٱلقَمَرِ ٱلباهِتِ خِلالَ ضَبابِ لَنْدَن ٱلكَثيف .

أخيرًا أَثْمَرَ صَبْرُهُ ، فَفي لَيْلةٍ جَوُّها صافٍ كانَ أَتِرْسُون في مَوْقِعِ مُراقَبَتِهِ بَعْدَ أَنْ أَغْلَقَتِ ٱلمَتاجِرُ أَبْوابَها ، وَخَيَّمَ ٱلسُّكونُ عَلى ٱلسَكانِ . وَفي هَدْأَةِ ٱللَّيْلِ سَمِعَ وَقْعَ أَقْدامٍ خَفيفةٍ تَأْتي مِنْ بَعيدٍ . وَأَخَذَ ٱلصَّوْتُ يَقْتَرِبُ وَيَعْلو ، فَاشْرَأَبَّ أَتِرْسُون بِعُنُقِهِ إلى مَدْخَلِ ٱلشَّارِعِ ٱلجانِبيِّ وَظَلَّ يَرْقُبُ ما يَحْدُثُ .

بَعْدَ فَتْرةٍ وَجيزةٍ كانَ في وُسْعِ أَتِرْسُون أَنْ يَرى ٱلرَّجُلَ ٱلَّذي سَوْفَ يَتعامَلُ مَعَهُ . لَقَدْ كانَ رَجُلًا صَغيرَ ٱلجِسْمِ يَرْتَدي مَلابِسَ بَسيطةً . وَرَغْمَ أَنَّهُ كانَ بَعيدًا عَنْهُ ، إلَّا أَنَّ شَكْلَهُ أَثارَ في أَتِرْسُون شُعورًا قَوِيًّا بِٱلكَراهيةِ وَٱلبُغْضِ . وَسَرْعانَ ما ٱتَّجَهَ ٱلرَّجُلُ نَحْوَ بابِ ٱلبَيْتِ وَأَخْرَجَ مِنْ جَيْبِهِ مِفْتاحًا لِيَفْتَحَ بِهِ ٱلبابَ ، كَما يَفْعَلُ أَيُّ رَجُلٍ عادِيٍّ عِنْدَما يَدْنُو مِنْ بَيْتِهِ ٱلَّذي يَعيشُ فيهِ .

خَرَجَ أَتِرْسُون مِنْ مَكْمَنِهِ وَرَبَّتَ عَلى كَتِفِ ٱلرَّجُلِ قائِلًا : « مِسْتَر هايد ، أَ لَيْسَ كَذٰلِكَ ؟ »

تَراجَعَ مِسْتَر هايد في دَهْشةٍ وَشَهِقَ مَأْخوذًا مِنَ ٱلمُفاجأَةِ . وَلٰكِنَّ خَوْفَهُ مالَبِثَ أَنْ زالَ ، وَأَجابَ بِهُدُوءٍ دُونَ أَنْ يَنْظُرَ إلى وَجْهِ مُحَدِّثِهِ : « نَعَمْ هٰذا هُوَ ٱسْمي . ماذا تُريدُ ؟ »

قالَ ٱلمُحامي : « أَرىٰ أَنَّكَ تُوشِكُ عَلى ٱلدُّخولِ . أَنا صَديقٌ قَديمٌ لِدُكْتُور جيكِل . اسْمي أَتِرْسُون ، وَأَعيشُ في شارِعِ غُونْت . لا بُدَّ أَنَّكَ قَدْ

سَمِعْتَ عَنِّي . وَبِما أَنِّي قابَلْتُكَ في هٰذِهِ ٱلْمُصادَفةِ ٱلطَّيِّبةِ ، فإنِّي آمُلُ أَنْ تَدْعُوَني لِلدُّخولِ . »

أَجابَهُ مِسْتَر هايد : « إنَّكَ لَنْ تَجِدَ دُكْتُور جيكِل ، فَقَدْ خَرَجَ . » ثُمَّ قالَ فَجْأَةً دُونَ أَنْ يَنْظُرَ إلى وَجْهِ أُتِرْسُون : « كَيْفَ عَرَفْتَني ؟ »

لَمْ يُجِبْهُ أُتِرْسُون ، وَإنَّما سَأَلَهُ : « هل في وُسْعِكَ أَنْ تُقَدِّمَ لي خِدْمةً ؟ »

أَجابَ ٱلرَّجُلُ : « بِكُلِّ سُرورٍ . ما هِيَ ؟ »

فَقالَ ٱلْمُحامي : « اسْمَحْ لي أَنْ أَرى وَجْهَكَ . »

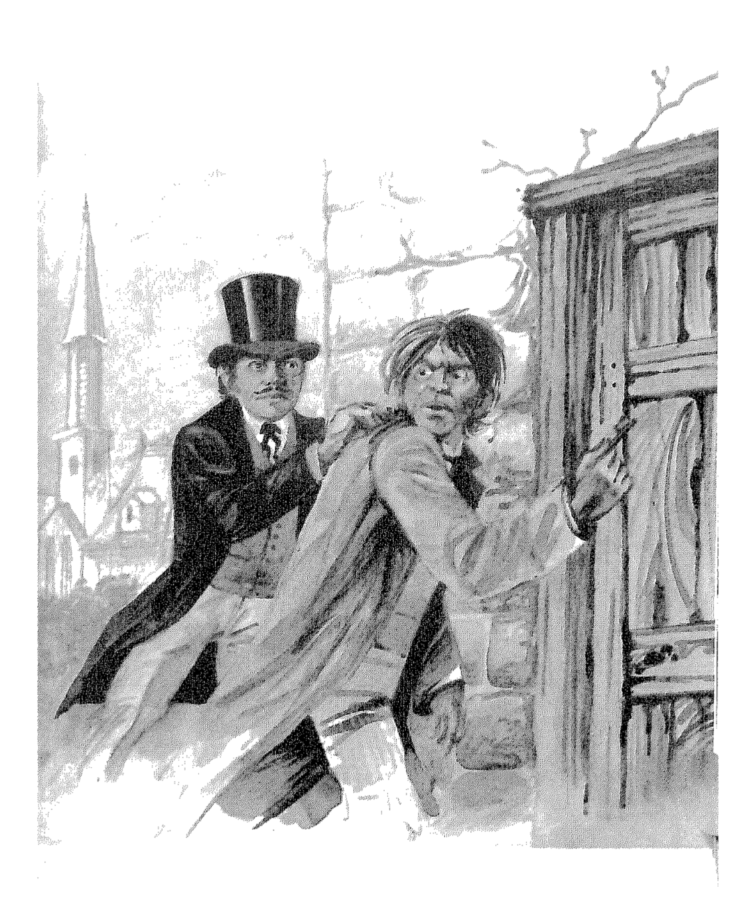
فَتَرَدَّدَ مِسْتَر هايد لِفَتْرةٍ وَجيزةٍ ، ثُمَّ بَدا وَكأَنَّما قَدْ راوَدَتْهُ فِكْرةٌ مُفاجِئةٌ فَٱستَدارَ في جُرْأةٍ . وَنَظَرَ ٱلرَّجُلانِ كُلٌّ مِنْهُما في وَجْهِ ٱلآخَرِ عَنْ قُرْبٍ لِعِدَّةِ ثَوانٍ ، وَأَخيرًا قالَ أُتِرْسُون : « الآنَ سَوْفَ أَعْرِفُكَ إذا ٱلتَقَيْنا ثانيةً — فَقَدْ يَكونُ ذٰلِكَ مُفيدًا . »

فَرَدَّ عَلَيْهِ مِسْتَر هايد قائِلًا : « نَعَمْ — مِنْ حُسْنِ ٱلحَظِّ أَنَّنا ٱلتَقَيْنا — وَهٰذا هُوَ عُنْواني . » وَذَكَرَ لَهُ رَقْمَ مَنْزِلٍ في حَيِّ سُوهُو .

دَهِشَ أُتِرْسُون لِذٰلِكَ ، وَأَخَذَ يُفَكِّرُ قائِلًا في نَفْسِهِ : « ياإلٰهي ! هَلْ يُفَكِّرُ هُوَ أَيْضًا في ٱلوَصِيَّةِ ؟ » وَلٰكِنَّهُ أَخْفى مَشاعِرَهُ هٰذِهِ وَٱحتَفَظَ بِها في دَخيلَةِ نَفْسِهِ .

عِنْدَئِذٍ قالَ مِسْتَر هايد : « وَٱلآنَ ، قُلْ لي ، كَيْفَ عَرَفْتَني ؟ »

أَجابَهُ : « بِٱلوَصْفِ . »



« مَنِ ٱلَّذي وَصَفَني لَكَ ؟ »

« إنَّ لَنا أَصْدِقاءَ مُشْتَرَكينَ . »

« أَصْدِقاءَ مُشْتَرَكينَ ؟ مَنْ هُمْ ؟ »

أَجابَهُ ٱلْمُحامي : « جيكِل مَثَلًا . »

فصاح هايد غاضِبًا : « إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ لَكَ ذٰلِكَ أَبَدًا . لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّ في وُسْعِكَ أَنْ تَكْذِبَ . »

قال أترْسُون : « مَهْلًا ، لَيْسَتْ هٰذِهِ لُغَةَ ٱلحَديثِ ٱلْمُناسِبةَ . »

اِنْفَجَرَ هايد في ضَحِكٍ هِسْتيريٍّ ، ثُمَّ فَتَحَ ٱلبابَ بِسُرْعَةٍ غَريبةٍ . وَماهِيَ إِلَّا لَحْظةٌ حَتَّى كانَ قَدِ ٱختَفى داخِلَ ٱلبَيْتِ .

وَقَفَ ٱلمُحامي قَليلًا أَمامَ ٱلبابِ بَعْدَ أَنْ تَرَكَهُ مِسْتَر هايد ، وَكانَ في غايةِ ٱلضِّيقِ ، ثُمَّ عادَ أَدْراجَهُ بِبُطْءٍ . وَكانَ كُلَّما مَشى خُطْوَتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا تَوَقَّفَ مُفَكِّرًا فيما حَدَثَ

قال في نَفْسِهِ : « لا بُدَّ أَنَّ هُناكَ شَيْئًا آخَرَ لا أَعْرِفُهُ فَلْيُسامِحْني ٱللهُ ، إِنْ كُنْتُ ظالِمًا لِلرَّجُلِ . إِنَّهُ غَيْرُ آدَميٍّ ! إِنَّ بِهِ شَيْئًا غَيْرَ طَبيعيٍّ ! أَمْ تُراهُ لَيْسَ إِلَّا مُجَرَّدَ شَخْصٍ تَقَمَّصَتْهُ رُوحٌ شِرِّيرةٌ فَٱنعَكَسَ ذٰلِكَ عَلى مَلامِحِهِ ؟ إِنَّهُ ٱلاحتِمالُ ٱلأَخيرُ فيما أَظُنُّ ، أَيُّها ٱلصَّديقُ جيكِل ، إِنَّني لَمْ أَرَ آثارَ ٱلشَّيْطانِ مَكْتوبةً عَلى وَجْهِ إِنْسانٍ كَما رَأَيْتُها عَلى وَجْهِ صَديقِكَ ٱلجَديدِ . »

عَلى ناصِيةِ ٱلشّارِعِ ٱلجانِبيِّ تَجِدُ مَجْموعةً مِنَ ٱلمَنازِلِ ٱلعَريقةِ ٱلأَنيقةِ ،

وَإِنْ كانَتْ يَدُ ٱلزَّمَنِ قَدْ أَثَّرَتْ عَلَيْها . وَتَجِدُ مَنازِلَ أُخرى وَمَكاتِبَ يَسْتَأْجِرُها أُناسٌ مِنْ مُخْتَلِفِ ٱلأَنْواعِ وَٱلأَشْكالِ . وَكانَ ٱلبَيْتُ ٱلثَّاني بَعْدَ ٱلتَّقاطُعِ مُسْتَأْجَرًا بِأَكْمَلِهِ ، وَتَبْدو عَلَيْهِ سِماتُ ٱلثَّراءِ وَٱلرَّفاهِيَةِ ، وَإِنْ كانَ ٱلبَيْتُ مُظْلِمًا تَمامًا بِٱسْتِثْناءِ مِصْباحٍ يُنيرُ بابَ ٱلمَدْخَلِ . وَعِنْدَ هٰذا ٱلبَيْتِ تَوَقَّفَ أُتِرْسُون وَدَقَّ ٱلبابَ ، فَفَتَحَهُ خادِمٌ كَبيرُ ٱلسِّنِّ ذُو مَلابِسَ أَنيقةٍ . سَأَلَهُ أُتِرْسُون : « هَلْ دُكْتُور جيكِل بِٱلبَيْتِ يا بُوول ؟ »

فَرَدَّ عَلَيْهِ بُوول قائِلًا : « سَوْفَ أَرى يا سَيِّدُ أُتِرْسُون . »

ثُمَّ أَدْخَلَهُ ٱلصَّالَةَ ٱلواسِعةَ ذاتَ ٱلأَثاثِ ٱلوَثيرِ وَٱلمِدْفأَةِ ٱلمُشْتَعِلةِ ، وَسَأَلَهُ قائِلًا : « هَلْ تُفضِّلُ أَنْ تَنْتَظِرَ هُنا بِجِوارِ ٱلمِدْفأَةِ يا سَيِّدي ، أَمْ تُفَضِّلُ ٱلانتِظارَ في غُرْفةِ ٱلطَّعامِ ؟ »

قالَ ٱلمُحامي : « أُفَضِّلُ ٱلانتِظارَ هُنا . شُكْرًا . » ثُمَّ ٱتَّجَهَ نَحْوَ ٱلمِدْفأَةِ لِيُدَفِّئَ أَطْرافَهُ . وَكانَتْ هٰذِهِ ٱلصَّالةُ ٱلمكانَ ٱلمُفَضَّلَ عِنْدَ دُكْتُور جيكِل ، بَلْ إِنَّ أُتِرْسُون نَفْسَهُ كانَ يَعْتَبِرُها أَجْمَلَ صالةٍ في لَنْدَن كُلِّها . وَمَعَ ذٰلِكَ فَلَمْ يَكُنْ يَشْعُرُ بِالسَّعادةِ في تِلْكَ ٱللَّيْلةِ ، إِذْ إِنَّ صُورةَ وَجْهِ مِسْتَر هايد كانَتْ شُغْلَهُ ٱلشَّاغِلَ ، وَكانَتْ تَمْلأُ عَلَيْهِ مُخَيِّلَتَهُ مِمَّا جَعَلَهُ يَشْعُرُ بِالسَّأَمِ وَٱلضِّيقِ مِنَ ٱلحَياةِ – وَهُوَ ٱلشَّخْصُ ٱلَّذي نادِرًا ما كانَ يَنْتابُهُ مِثْلُ هٰذا ٱلشُّعورِ . وَفي حالَتِهِ ٱلنَّفْسيَّةِ تِلْكَ كانَ يَشْعُرُ بِالتَّشاؤُمِ وَسُوءِ ٱلطَّالِعِ ، وَهُوَ يَرى ٱلسِنةَ ٱللَّهَبِ تَتَراقَصُ فِي ٱلمِدْفأَةِ عاكِسةً أَضْواءَها عَلى ٱلأَثاثِ ٱللَّامِعِ ، وَيَشْهَدُ ٱلظِّلالَ وَهِيَ تَقْفِزُ هُنا وَهُناكَ عَلى سَقْفِ ٱلغُرْفةِ . وَأَخيرًا جاءَ بُوول وَأَخْبَرَهُ أَنَّ

دُكْتُور جِيكِل قَدْ خَرَجَ ، فَشَعَرَ أُتِرْسُون بِشَيْءٍ مِنَ ٱلارْتياحِ ، وَلٰكِنَّهُ خَجِلَ مِنْ شُعورِهِ هٰذا ٱلَّذي ساوَرَهُ .

قالَ لِپُوول : « لَقَدْ رَأَيْتُ مِسْتَر هايِد يَدْخُلُ مِنْ بابِ ٱلمَعْمَلِ ، فَهَلْ هٰذا أَمْرٌ مَسْموحٌ بِهِ في غَيْبَةِ دُكْتُور جِيكِل ؟ »

« نَعَمْ يا سَيِّدُ أُتِرْسُون ، فَهُناكَ مِفْتاحٌ مَعَ مِسْتَر هايِد . »

قالَ أُتِرْسُون وَهُوَ مُمْعِنٌ في تَفْكيرِهِ : « يَبْدُو أَنَّ سَيِّدَكَ يَثِقُ في ذٰلِكَ ٱلشّابِّ ثِقَةً كَبيرةً يا پُوول . »

فَقالَ پُوول : « نَعَمْ يا سَيِّدي ، إِنَّهُ يَثِقُ فيهِ بِدُونِ شَكٍّ . لَقَدْ صَدَرَتْ لنا ٱلأَوامِرُ أَنْ نَكونَ مُطيعينَ لَهُ . »

فَسَأَلَهُ أُتِرْسُون : « يَبْدُو أَنَّني لَمْ أُقابِلْ مِسْتَر هايِد مِنْ قَبْلُ ؟ »

فَقالَ پُوول : « لا يا سَيِّدي ! فَهُوَ لا يَتَناوَلُ طَعامًا هُنا أَبَدًا . وَٱلحَقيقةُ أَنَّنا نادِرًا ما نَراهُ في هٰذا ٱلجانِبِ مِنَ ٱلبَيْتِ . فَهُوَ غالِبًا ما يَدْخُلُ وَيَخْرُجُ مِنْ بابِ ٱلمَعْمَل . »

« حَسَنًا ، تُصْبِحُ عَلى خَيْرٍ يا پُوول . »

« تُصْبِحُ عَلى خَيْرٍ يا سَيِّدي . »

قَفَلَ ٱلمُحامي راجِعًا وَٱلحُزْنُ يَمْلأُ قَلْبَهُ ، وَكانَ يَقولُ لِنَفْسِهِ : « مِسْكينٌ أَنْتَ يا جِيكِل . كَمْ أَخْشى أَنْ تَكونَ في مَأْزِقٍ كَبيرٍ . » وَذَهَبَتْ بِهِ أَفْكارُهُ كُلَّ مَذْهَبٍ ، وَٱستَبَدَّتْ بِهِ ٱلظُّنونُ . وَكانَ مِنْ بَيْنِ أَفْكارِهِ تِلْكَ أَنَّ هِنْري

جيكِل الَّذي كانَ مُنْدَفِعًا أَثْناءَ شَبابِهِ ، لا بُدَّ قَدِ ٱقتَرَفَ خَطيئةً ما وَحاوَلَ إِخْفاءَها . وَلٰكِنَّهُ عِقابُ ٱللهِ لا بُدَّ أَنْ يَجيءَ ، فَٱللهُ يُمْهِلُ وَلا يُهْمِلُ . وَأَثارَتْ هٰذِهِ ٱلفِكْرةُ مَخاوِفَ أَتِرْسُون نَفْسِهِ وَبَدَأَ يَسْتَعْرِضُ تاريخَ حَياتِهِ خَشْيَةَ أَنْ يَكونَ قَدِ ٱقتَرَفَ إِثْمًا ما وَنَسِيَهُ بِمُرورِ ٱلزَّمَنِ . لَقَدْ كانَتْ حَياتُهُ دُونَ خَطيئةٍ ، وَٱلقَليلونَ هُمُ ٱلَّذينَ في وُسْعِهِمْ أَنْ يَسْتَعْرِضوا تاريخَ حَياتِهِمْ فَيَجِدُوهُ نَقيًّا كَتاريخِهِ . وَمَعَ ذٰلِكَ فَقَدْ شَعَرَ أَتِرْسُون بِٱلخَجَلِ ٱلشَّديدِ مِمَّا ٱرتَكَبَ مِنْ أَخْطاءٍ كَما شَكَرَ ٱللهَ كَثيرًا عَلى تَوْفيقِهِ لَهُ بِأَنِ ٱمتَنَعَ عَنِ ٱرتِكابِ أَخْطاءٍ كَثيرةٍ هَمَّ بِٱرتِكابِها لٰكِنَّهُ تَوَقَّفَ عَنْ ذٰلِكَ في ٱللَّحْظةِ ٱلأَخيرةِ .

وَعِنْدَما رَجَعَ بِتَفْكيرِهِ إِلى ٱلمَوْضوعِ ٱلأَصْلِيِّ شَعَرَ بِبَصيصٍ مِنَ ٱلأَمَلِ لِمُساعَدةِ صَديقِهِ جيكِل في مِحْنَتِهِ . قالَ لِنَفْسِهِ : « لَوِ ٱستَقْصَيْنا حَياةَ مِسْتَر هايد هٰذا لَوَجَدْنا فيها أَسْرارًا يُخْفيها عَنِ ٱلنَّاسِ ، وَلا بُدَّ أَنَّها أَسْرارٌ خَطيرةٌ مُخْجِلةٌ . فَمُجَرَّدُ ٱلنَّظَرِ إِلى مَلامِحِهِ ٱلشِّرِّيرةِ يُوحي بِذٰلِكَ . وَلَوْ قُورِنَتْ أَسْرارُهُ بِأَسْرارِ دُكْتُور جيكِل لَبَدَتِ ٱلأَخيرةُ ناصِعةَ ٱلبَياضِ . مِنَ ٱلمُسْتَحيلِ أَنْ تَسْتَمِرَّ ٱلأُمورُ عَلى ما هِيَ عَلَيْهِ ٱلآنَ . إِنَّ جِسْمي لَيَقْشَعِرُّ حِينَما أَتَصَوَّرُ ذٰلِكَ ٱلمَخْلوقَ يَتَسَلَّلُ كَاللِّصِّ إِلى غُرْفةِ نَوْمِ هِنْري . يا لَكَ مِنْ مِسْكينٍ ياهِنْري عِنْدَما تَسْتَيْقِظُ وَتَراهُ أَمامَكَ . إِنَّ ٱلأَمْرَ خَطيرٌ . فَإِذا كانَ هايد هٰذا عَلى عِلْمٍ بِالوَصِيَّةِ فَقَدْ يَعْمَلُ عَلى ٱلتَّعْجيلِ بِتَنْفيذِها لِيَرِثَكَ . إِنَّ ٱلواجِبَ يَدْعُوني أَنْ أَفْعَلَ شَيْئًا ، وَكَمْ أَتَمَنَّى أَنْ يَسْمَحَ لي جيكِل بِذٰلِكَ ! كَمْ أَتَمَنَّى أَنْ يَسْمَحَ لي ! » وَعادَتْ بُنودُ ٱلوَصِيَّةِ ٱلغَريبةِ تَبْدو أَمامَ ناظِرَي أَتِرْسُون فَيَراها وَكَأَنَّما يَنْظُرُ في مِرآةٍ صافيةٍ .

الدُّكْتُور جيكِل يَشْعُرُ بالارْتياحِ

قامَ ٱلدُّكْتُور جيكِل بَعْدَ أُسْبوعَيْنِ بِدَعْوةِ بَعْضِ أَصْدِقائِهِ ٱلقُدامى إلى تَناوُلِ ٱلعَشاءِ مَعَهُ في بَيْتِهِ . وَكانَ مِنْ بَيْنِهِمُ ٱلسَّيِّدُ أَتِرْسُون ٱلَّذي تَعَمَّدَ أَنْ يَظَلَّ مَعَ ٱلدُّكْتُور جيكِل إلى أَنْ يَنْصَرِفَ جَميعُ ٱلمَدْعُوِّينَ . وَلَمْ يَكُنْ ذٰلِكَ شَيْئًا جَديدًا . بَلْ سَبَقَ أَنْ حَدَثَ مَرّاتٍ عَديدةً ؛ إذْ إنَّ أَتِرْسُون كانَ مَحْبوبًا لَدى أَصْدِقائِهِ . وَكَثيرًا ما كانوا يَسْتَبْقُونَهُ لِيَتَبادَلوا مَعَهُ أَطْرافَ ٱلحَديثِ بَعْدَ أَنْ يَنْصَرِفَ ٱلثَّرْثارُونَ مِمَّنْ هُمْ أَقَلُّ مِنْهُ رَزانةً . وَكانَ ٱلدُّكْتُور جيكِل أَحَدَ هٰؤُلاءِ ٱلأَصْدِقاءِ ٱلَّذينَ يَسُرُّهُمْ ذٰلِكَ . وَهٰكَذا جَلَسَ أَمامَ أَتِرْسُون عِنْدَ طَرَفِ ٱلمِدْفأَةِ .

كانَ جيكِل ضَخْمًا ، حَسَنَ ٱلتَّقاطيعِ ، حَليقَ ٱلوَجْهِ ، يُناهِزُ ٱلخَمْسينَ مِنَ ٱلعُمْرِ . وَرُبَّما أَوْحى مَظْهَرُهُ بِأَنَّ لَدَيْهِ قَدْرًا مِنَ ٱلمَكْرِ ، وَلٰكِنَّهُ يَنُمُّ كَذٰلِكَ عَنْ كَفاءَتِهِ وَمَيْلِهِ إلى ٱلعَطْفِ وَٱلمَحَبَّةِ . وَكانَتْ نَظْرَتُهُ إلى صَديقِهِ في تِلْكَ ٱلجَلْسةِ تُعَبِّرُ عَمّا يُكِنُّهُ لَهُ مِنْ عاطِفةٍ صادِقةٍ .

بَدَأَ أَتِرْسُون ٱلحَديثَ قائِلًا : « أُريدُ أَنْ أَتَحَدَّثَ مَعَكَ ياجيكِل . أَنْتَ تَذْكُرُ وَصِيَّتَكَ تِلْكَ ؟ »

لَوْ أَنَّ أَحَدًا نَظَرَ عَنْ كَثَبٍ إلى جيكِل في تِلْكَ ٱللَّحْظةِ لَأَدْرَكَ أَنَّ هذا ٱلمَوْضوعَ غَيْرُ مُحَبَّبٍ إلى نَفْسِهِ . وَمَعَ ذٰلِكَ فَقَدْ أَجابَ صَديقَهُ بِمَرَحٍ وَٱنشِراحٍ قائِلًا : « مِسْكينٌ أَنْتَ يا أَتِرْسُون . مِنْ سُوءِ حَظِّكَ أَنَّ عَلَيْكَ أَنْ

تُقَدِّمَ ٱلنُّصْحَ لِشَخْصٍ مِثْلي . إنَّني لَمْ أَرَ قَطُّ مَنْ ضاقَ بِشَيْءٍ قَدْرَ ضِيقِكَ بِوَصِيَّتي . »

قالَ أُتِرْسُون : « أَنْتَ تَعْرِفُ أَنِّي لَمْ أُوافِقْ عَلَيْها قَطُّ . »

فَرَدَّ عَلَيْهِ جيكِل بِشَيْءٍ مِنَ ٱلحِدَّةِ : « نَعَمْ ! بِكُلِّ تَأْكيدٍ أَعْرِفُ ذٰلِكَ . لَقَدْ قُلْتَهُ لي . »

فَواصَلَ ٱلمُحامي حَديثَهُ قائِلًا : « حَسَنًا ، هأَنَذا أَقولُ ذٰلِكَ لَكَ مَرَّةً أُخرى . لَقَدْ عَرَفْتُ شَيْئًا عَنْ هايد . »

هُنا شَحَبَ وَجْهُ دُكْتور جيكِل — ذٰلِكَ ٱلوَجْهُ ٱلسَّمْحُ ٱلمُسْتَديرُ — وَٱصفَرَّ حَتَّى شَفَتَيْهِ . قالَ : « لا يُهِمُّني أَنْ أَسْمَعَ أَكْثَرَ مِنْ ذٰلِكَ . أَعْتَقِدُ أَنَّنا ٱتَّفَقْنا عَلى أَلَّا نَتَحَدَّثَ عَنْ هٰذا ٱلمَوْضوعِ . »

قالَ أُتِرْسُون : « إنَّ ما سَمِعْتُهُ يُثيرُ ٱلخَجَلَ . »

فَرَدَّ عَلَيْهِ ٱلطَّبيبُ بِٱرتِباكٍ : « إنَّ هٰذا لا يُغَيِّرُ مِنَ ٱلأَمْرِ شَيْئًا . إنَّ مَوْقِفي مُؤْلِمٌ يا أُتِرْسُون . وَهُوَ مَوْقِفٌ غَريبٌ .. غَريبٌ حَقًّا ! وَهُوَ مِنْ ذٰلِكَ ٱلنَّوْعِ ٱلَّذي لا يُمْكِنُ إصلاحُهُ بِٱلكَلامِ . »

قالَ أُتِرْسُون : « أَنْتَ تَعْرِفُني جَيِّدًا يا جيكِل . إنَّني شَخْصٌ يوثَقُ بِهِ . وَعَلَيْكَ أَنْ تُخْبِرَني بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَٱعلَمْ أَنَّ سِرَّكَ مَحْفوظٌ . وَلَيْسَ عِنْدي أَيُّ شَكٍّ في قُدْرَتي عَلى إخراجِكَ مِنْ هٰذا ٱلمَأْزِقِ . »

قالَ ٱلطَّبيبُ : « أَيُّها ٱلعَزيزُ أَتِرْسُون ! إِنَّهُ لَجَميلٌ مِنْكَ أَنْ تَقولَ هٰذا ، وَلَسْتُ أَجِدُ مِنَ ٱلكَلِماتِ ما أُعَبِّرُ بِهِ عَنْ شُكْري لَكَ . أَنا أُصَدِّقُكَ كُلَّ ٱلتَّصْديقِ . وَإِنَّ ثِقَتي بِكَ لَتَسْبِقُ ثِقَتي بِأَيِّ شَخْصٍ حَيٍّ آخَرَ . نَعَمْ ، تَسْبِقُ ثِقَتي بِنَفْسي إِذا كانَ لي أَنْ أَخْتارَ . وَلٰكِنَّ ٱلأَمْرَ لَيْسَ كَما تَظُنُّ . وَلِكَيْ أُريحَ قَلْبَكَ ٱلطَّيِّبَ سَأُخْبِرُكَ بِحَقيقَةٍ واحِدَةٍ ، وَهِيَ أَنَّ في وُسْعي ٱلتَّخَلُّصَ مِنْ مِسْتَر هايد في ٱلوَقْتِ ٱلَّذي أُريدُهُ . إِنّي أُعاهِدُكَ عَلى ذٰلِكَ . وَإِنّي لَأَشْكُرُكَ مِرارًا وَتَكْرارًا . وَأُفَضِّلُ أَنْ أُضيفَ إِلى ذٰلِكَ كَلِمَةً صَغيرَةً حَبَّذا لَوْ تَقَبَّلْتَها بِصَدْرٍ رَحْبٍ . إِنَّ هٰذا ٱلمَوْضوعَ خاصٌّ لِلْغايَةِ وَأَرْجوكَ أَلَّا تُثيرَهُ . »

صَمَتَ أَتِرْسُون فَتْرَةً ثُمَّ قالَ : « أَنْتَ عَلى حَقٍّ دُونَ شَكٍّ . » ثُمَّ نَهَضَ واقِفًا .

قالَ ٱلطَّبيبُ : « حَسَنًا ! وَلٰكِنْ بِما أَنَّنا قَدْ أَشَرْنا إِلى هٰذا ٱلمَوْضوعِ — وَأَتَمَنّى أَنْ يَكونَ ذٰلِكَ لِلْمَرَّةِ ٱلأَخيرَةِ — فَهُناكَ نُقْطَةٌ واحِدَةٌ أُحِبُّ مِنْكَ أَنْ تَعيَها . إِنَّ لَدَيَّ ما يَجْعَلُني أَهْتَمُّ ٱهتِمامًا كَبيرًا بِهايد ٱلمِسْكينِ . أَنا أَعْرِفُ أَنَّكَ قَدْ رَأَيْتَهُ ، فَقَدْ أَخْبَرَني بِذٰلِكَ . وَأَخْشَى أَنْ يَكونَ قَدْ تَصَرَّفَ مَعَكَ بِصُورَةٍ غَيْرِ مُهَذَّبَةٍ . وَلٰكِنْ مَعَ ذٰلِكَ فَهُناكَ ما يَجْعَلُني أَهْتَمُّ ٱهتِمامًا شَديدًا بِذٰلِكَ ٱلشّابِّ . وَإِذا حَدَثَ أَنْ ذَهَبْتُ وَلَمْ أَعُدْ ، فَإِنّي أُحِبُّ يا عَزيزي أَتِرْسُون أَنْ تَعِدَني بِأَنْ تَتَحَمَّلَهُ وَتَحْصُلَ لَهُ عَلى حُقوقِهِ . وَأَعْتَقِدُ أَنَّكَ سَوْفَ تَعِدُني بِذٰلِكَ إِذا عَرَفْتَ كُلَّ شَيْءٍ عَنْ هٰذا ٱلمَوْضوعِ . وَسَوْفَ أَشْعُرُ بِالرّاحَةِ كُلَّ ٱلرّاحَةِ لَوْ أَنَّكَ وَعَدْتَني بِذٰلِكَ . »

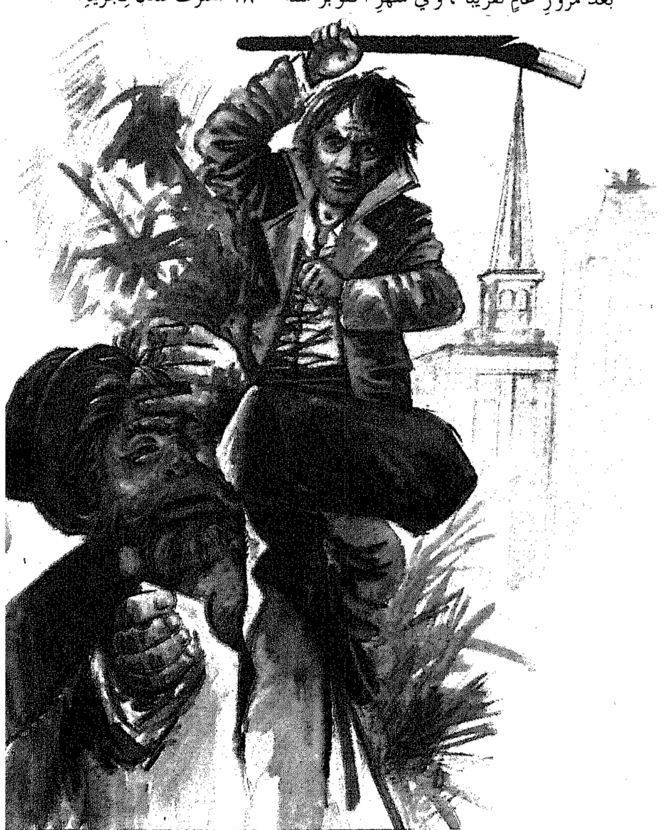
قالَ آلمُحامي : « لَيْسَ في وُسْعي أَنْ أَدَّعي أَنَّ في إمْكاني أَنْ أُحِبَّهُ في يَوْمٍ مِنَ آلأَيَّامِ . »

رَدَّ جيكِل قائلًا : « لسْتُ أُطْلُبُ ذٰلكَ . إنَّ ما أَطْلُبُهُ هُوَ أنْ يحْصُلَ عَلى حَقِّهِ ، و أَنْ تُساعِدَهُ مِنْ أَجْلي في حالة عدم وُجودي . »

قال أَتِرْسُون وَهُوَ يَتَنَهَّدُ : « حسَنًا ! أعدُك . »

قَضِيَّةُ آغتيالِ كارُو

بَعْدَ مُرورِ عامٍ تَقْريبًا ، وَفي شَهْرِ أكتوبر سنةَ – ١٨ آهتَزَّتْ لَنْدَن لِجَريمةِ



قَتْلٍ آتَّسَمَتْ بِوَحْشيَّةٍ بالِغةٍ . وَمِمَّا زادَ في آنتِشارِ أَنْباءِ تِلْكَ آلجَريمةِ أَنَّ آلقَتيلَ كانَ مِنْ شَخْصِيَّاتِ لَنْدَن آلمَرْموقةِ .

أَمَّا بِالنِّسْبةِ لِتَفاصيلِها فَقَدْ كانَتْ مَحْدودةً وَعَجيبةً حَقًّا . ذٰلِكَ أَنَّ إِحْدى آلخادِماتِ كانَتْ تَعيشُ بِمُفْرَدِها في مَنْزِلٍ قَريبٍ مِنَ آلنَّهْرِ ، وَفي حَوالَى آلسَّاعةِ آلحادِيةَ عَشْرةَ مَساءً ذَهَبَتْ إِلى غُرْفَتِها بالدَّوْرِ آلعُلْويِّ لِتَنامَ . وَكانَتِ آلسَّماءُ صافيةً ، وَأَشِعَّةُ آلقَمَرِ تُنيرُ آلشَّارِعَ آلجانِبِيَّ آلَّذي تُطِلُّ عَلَيْهِ آلغُرْفةُ : فَقَدْ كانَ آلقَمَرُ بَدْرًا .

وَيَبْدو أَنَّ آلفَتاةَ كانَتْ مِنَ آلنَّوْعِ آلخَياليِّ ، فَقَدْ جَلَسَتْ عَلى صُنْدوقٍ بِجِوارِ آلنَّافِذةِ ، وَجَنَحَ بِها آلخَيالُ . وَكانَتْ تَقولُ واصِفةً ما حَدَثَ وَآلدُّموعُ تَنْهَمِرُ مِنْ عَيْنَيْها إِنَّهُ لَمْ يَحْدُثْ قَطُّ مِنْ قَبْلُ أَنْ شَعَرَتْ بِما كانَتْ تَشْعُرُ بِهِ تِلْكَ آللَّيْلةَ مِنْ حُبٍّ لِلدُّنْيا وَلِلنَّاسِ أَجْمَعين . وَبَيْنَما كانَتْ في جِلْسَتِها تِلْكَ رَأَتْ رَجُلًا مُسِنًّا وَسيمًا أَبْيَضَ آلشَّعْرِ يَقْتَرِبُ ، وَرَأَتْ كَذٰلِكَ شَخْصًا آخَرَ ضَئيلَ آلجِسْمِ يَتَّجِهُ نَحْوَهُ لِيُقابِلَهُ . وَلَمْ تَأْبَهِ آلفَتاةُ بِهٰذا آلرَّجُلِ أَوَّلَ آلأَمْرِ . وَعِنْدَما آقْتَرَبَ (وَكانَ ذٰلِكَ تَحْتَ آلنَّافِذةِ آلَّتي تُطِلُّ مِنْها آلفَتاةُ مُباشَرةً) آنحَنى آلرَّجُلُ آلمُسِنُّ وَتَحَدَّثَ إِلى آلرَّجُلِ آلآخَرِ في أَدَبٍ شَديدٍ . وَيَبْدو أَنَّ مَوْضوعَ آلحَديثِ لَمْ يَكُنْ ذا أَهَمِّيَّةٍ كَبيرةٍ . وَكانَ واضِحًا مِنْ إِشاراتِ يَدَيْهِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَسْأَلُ إِلَّا عَنِ آلطَّريقِ . وَكانَ ضَوْءُ آلقَمَرِ يُنيرُ وَجْهَهُ وَهُوَ يَتَحَدَّثُ ، وَقَدْ شَعَرَتِ آلفَتاةُ بِآرتِياحٍ وَهِيَ تَلْمَحُ قَسَماتِ وَجْهِهِ آلَّتي تَنُمُّ عَنْ طيبةٍ بَريئةٍ خالِصةٍ يَنْدُرُ وُجودُها في تِلْكَ آلأَيَّامِ ، كَما تَنُمُّ عَنْ رِفْعةٍ وَقَناعةٍ

نَفْسٍ . ثُمَّ ٱتَّجَهَتْ بِنَظَرِها إلى ٱلرَّجُلِ ٱلآخَرِ وَكَمْ أَدْهَشَها أَنْ تَتَعَرَّفَ عَلَيْه إِنَّهُ مِسْتَر هايد ٱلَّذي كانَ قَدْ زارَ سَيِّدَها ذاتَ مَرَّةٍ وَٱلَّذي شَعَرَتْ نَحْوَهُ بِشَيْءٍ مِنَ ٱلكَراهِيةِ . وَكانَ يَحْمِلُ في يَدِهِ عَصًا غَليظةً يُلَوِّحُ بِها في تَكاسُلٍ . وَلَمْ يَرُدَّ هايد عَلى سُؤالِ ٱلرَّجُلِ ٱلمُسِنِّ ، بَلِ ٱستَمَعَ إِلَيْهِ بِصَبْرٍ نافِذٍ . ثُمَّ ٱنفَجَرَ فَجْأَةً في غَضَبٍ صاخِبٍ ، وَأَخَذَ يَدُقُّ بِقَدَمَيْهِ ٱلأَرْضَ ، وَيُلَوِّحُ بِعَصاهُ في عُنْفٍ وَيَتَصَرَّفُ (عَلى حَدِّ تَعبيرِ ٱلفَتاةِ) كَما لَوْ كانَ مَجْنونًا . أَمَّا ٱلرَّجُلُ ٱلمُسِنُّ فَقَدْ تَراجَعَ خُطْوةً إلى ٱلخَلْفِ مَأْخوذًا بِهٰذا ٱلتَّصَرُّفِ ، وَبَدا كَأَنَّما قَدْ أَحَسَّ بِشَيْءٍ مِنَ ٱلإِهانةِ إزاءَهُ . وَعِنْدَئِذٍ فاقَ غَضَبُ هايد ٱلحُدودَ ، فَكالَ لِلشَّيْخِ ٱلضَّرَباتِ بِعَصاهُ حَتَّى أَوْقَعَهُ عَلى ٱلأَرْضِ ، ثُمَّ داسَ بِقَدَمَيْهِ عَلى ضَحِيَّتِهِ كَأَنَّما هُوَ شِمْبانزي غاضِبٌ . وَكالَ لَهُ مِنَ ٱلضَّرَباتِ ٱلعَنيفةِ بِعَصاهُ ما هَشَّمَ عِظامَهُ وَجَعَلَ جَسَدَهُ يَرْتَفِعُ وَيَنْخَفِضُ مِنْ عُنْفِ ٱلضَّرَباتِ . وَكانَ مِنْ أَثَرِ هٰذا أَنْ أُغمِيَ عَلى ٱلفَتاةِ لِهَوْلِ ما رَأَتْ .

عِنْدَما ٱستَعادَتِ ٱلفَتاةُ وَعْيَها كانَتِ ٱلسَّاعةُ ٱلثَّانيةَ صَباحًا فَأَسْرَعَتْ بِطَلَبِ ٱلشُّرْطةِ . وَكانَ ٱلقاتِلُ قَدْ غادَرَ مَكانَ جَريمَتِهِ مُنْذُ فَتْرةٍ طَويلةٍ ، أَمَّا ضَحِيَّتُهُ فَكانَ مُلْقًى في عُرْضِ ٱلطَّريقِ مُهَشَّمًا وَمُمَزَّقًا بِصُورةٍ لا يُصَدِّقُها عَقْلٌ . أَمَّا ٱلعَصا ٱلَّتي ٱستُخْدِمَتْ في ٱلجَريمةِ وَٱلَّتي كانَتْ مَصْنوعةً مِنَ ٱلخَشَبِ الصُّلْبِ ٱلثَّقيلِ فَقَدِ ٱنكَسَرَتْ مِنْ شِدَّةِ ٱلضَّرَباتِ وَتَدَحْرَجَ نِصْفُها في ٱلشَّارِعِ ، أَمَّا ٱلنِّصْفُ ٱلآخَرُ فَلَيْسَ مِنْ شَكٍّ أَنَّ ٱلقاتِلَ قَدْ أَخَذَهُ مَعَهُ .

وَوَجَدَتِ ٱلشُّرْطةُ مَحْفَظةَ نُقودِ ٱلقَتيلِ وَساعَتَهُ ٱلذَّهَبيَّةَ لَمْ يَعْبَثْ بِهِما أَحَدٌ . وَلٰكِنْ لَمْ تَكُنْ مَعَهُ بِطاقةٌ أَوْ أَوْراقٌ بِٱستِثْناءِ ظَرْفٍ مُغْلَقٍ وَمَخْتومٍ مِنَ

ٱلمُحْتَمَلِ أَنَّ ٱلقَتيلَ كانَ مُتَّجِهًا لِيَضَعَهُ في صُنْدوقِ ٱلبَريدِ . وَكانَ عَلى ٱلظَّرْفِ آسمُ مِسْتَرْ أَتِرْسُون وَعُنْوانُهُ .

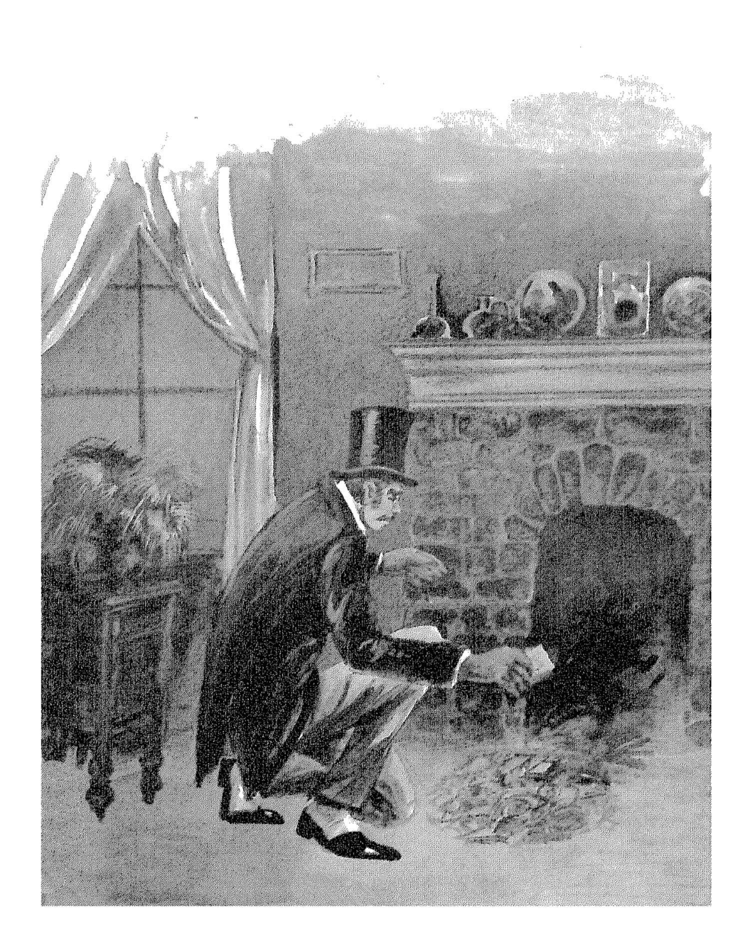
عِنْدَما أَشْرَقَ ٱلصَّباحُ حَمَلَ شُرْطِيٌّ ٱلنَّبأَ إلى ٱلسَّيِّدِ أَتِرْسُون في بَيْتِهِ قَبْلَ أَنْ يَسْتَيْقِظَ مِنْ نَوْمِهِ . وَما إنْ سَمِعَ أَتِرْسُون بِٱلحادِثِ حَتّى عَبَسَ وَجْهُهُ وَقالَ لِلشُّرْطِيِّ : « لَنْ أَقولَ شَيْئًا حَتّى أَرى ٱلجُثَّةَ فَقَدْ يَكُونُ ٱلأَمْرُ في غايةِ ٱلخُطورةِ . تَفَضَّلْ بِٱلانتِظارِ حَتّى أَرْتَديَ مَلابِسي . »

وَأَسْرَعَ في تَناوُلِ إفْطارِهِ وَٱرتِداءِ مَلابِسِهِ عابِسَ ٱلوَجْهِ مُقَطَّبَ ٱلجَبينِ ، ثُمَّ قادَ عَرَبَتَهُ إلى مَرْكَزِ ٱلشُّرْطَةِ حَيْثُ كانَتِ ٱلجُثَّةُ قَدْ نُقِلَتْ . وَما إنْ رَآها حَتّى قالَ : « نَعَمْ ، إنِّي أَعْرِفُهُ . يُؤْسِفُني أَنْ أَقولَ إنَّ هٰذِهِ جُثَّةُ سير دانْفِرْز كارُو . »

صاحَ ضابِطُ ٱلشُّرْطةِ في دَهْشةٍ : « يا لَلْعَجَبِ ، هَلْ هٰذا مُمْكِنٌ ؟ » ثُمَّ قالَ وَقَدْ راوَدَهُ أَمَلٌ في ٱلتَّرْقِيةِ : « إنَّ هٰذا ٱلخَبَرَ سَوْفَ يُحْدِثُ دَوِيًّا كَبيرًا ، وَرُبَّما ساعَدَتْنا في ٱلتَّوَصُّلِ إلى ٱلقاتِلِ . » ثُمَّ سَرَدَ لَهُ بإيجازٍ ما رَأَتْهُ ٱلفَتاةُ وَأَراهُ ٱلعَصا ٱلمَكْسورةَ .

ذَهِلَ أَتِرْسُون وَٱنتابَتْهُ ٱلحَيْرةُ عِنْدَما سَمِعَ آسمَ هايد ، وَلٰكِنَّ حَيْرَتَهُ تِلْكَ لَمْ تَلْبَثْ أَنْ زالَتْ عِنْدَما رَأى ٱلنِّصْفَ ٱلمَكْسورَ مِنَ ٱلعَصا . فَعَلى ٱلرَّغْمِ مِنْ أَنَّ ذٰلِكَ ٱلجُزْءَ كانَ مُهَشَّمًا فَإنَّ أَتِرْسُون تَعَرَّفَ عَلَيْهِ . فَقَدْ كانَ هُوَ ٱلَّذي أَهْدى تِلْكَ ٱلعَصا لِهِنْري جيكِل مُنْذُ سَنَواتٍ .

سَأَلَ أَتِرْسُون : « هَلْ مِسْتَر هايد هٰذا ضَئيلُ ٱلجِسْمِ ؟ »



أجابَ ٱلشُّرْطيُّ : « ضَئيلُ ٱلجِسْمِ ، ذُو مَلامِحَ شِرِّيرةٍ عَلى حَدِّ تَعْبيرِ ٱلفَتاةِ . »

أَطْرَقَ مِسْتَر أَتِرْسُون مُفكِّرًا ثُمَّ قالَ : « إذا جِئْتَ مَعي في عَرَبَتي فأَعْتَقِدُ أَنَّ بِوُسْعي أَنْ آخُذَكَ إلى بَيْتِهِ . »

عِنْدَما تَوَقَّفَتِ ٱلعَرَبةُ أَمامَ ٱلمَنْزِلِ ٱلَّذي في ٱلعُنْوانِ ٱلمَذْكورِ كانَ ٱلضَّبابُ قَدِ ٱنقَشَعَ بَعْضَ ٱلشَّيْءِ ، وَأَظْهَرَ شارِعًا غَيْرَ نَظيفٍ ، وَدُكّانًا لِبَيْعِ ٱلعَصيرِ ، وَمَطْعَمًا رَخيصًا يُقَدِّمُ ٱلأَطْعِمةَ غَيْرَ ٱلإِنْجليزيَّةِ ، وَعَدَدًا مِنَ ٱلأَطْفالِ في أَسْمالِهِمُ ٱلباليةِ يَرْتَعِدونَ مِنَ ٱلبَرْدِ ، وَبَعْضَ ٱلنِّسْوةِ ٱللّاتي خَرَجْنَ مِنْ بُيوتِهِنَّ مُبَكِّراتٍ .

وَعادَ ٱلضَّبابُ مَرَّةً أُخْرى وَحَجَبَ هٰذِهِ ٱلمَناظِرَ عَمَّا حَوْلَها . لَقَدْ كانَ ذٰلِكَ هُوَ مَنْزِلَ ٱلرَّجُلِ ٱلمُفَضَّلِ لَدى ٱلدُّكْتُور جيكِل ، وَٱلَّذي سَيَرِثُ رُبْعَ مِلْيونٍ مِنَ ٱلجُنَيْهاتِ .

فَتَحَتِ ٱلبابَ ٱمْرَأَةٌ ذاتُ شَعْرٍ أَبْيَضَ وَوَجْهٍ عاجِيٍّ . وَرَغْمَ أَنَّ مَلامِحَ وَجْهِها كانَتْ تَنْطِقُ بِالشَّرِّ ، فَإِنَّ مَسْلَكَها كانَ مُهَذَّبًا لِلْغايةِ .

قالَتْ : « هٰذا هُوَ بَيْتُ مِسْتَر هايد وَلٰكِنَّهُ غَيْرُ مَوْجودٍ ، فَقَدْ جاءَ مُتَأَخِّرًا جِدًّا في ٱللَّيْلِ ، ثُمَّ خَرَجَ بَعْدَ أَقَلَّ مِنْ ساعةٍ . وَلَمْ يَكُنْ ذٰلِكَ بِالأَمْرِ ٱلغَريبِ فَهُوَ غَيْرُ مُنْتَظِمٍ في تَصَرُّفاتِهِ ، وَغالِبًا ما يَتَغَيَّبُ عَنْ بَيْتِهِ . فَقَدْ تَغَيَّبَ عَنْهُ مُدَّةَ شَهْرَيْنِ وَلَمْ نَرَهُ بَعْدَهُما إِلّا أَمْسِ . »

قالَ ٱلمُحامي : « حَسَنًا ، نَحْنُ نُريدُ أَنْ نُفَتِّشَ ٱلمَنْزِلَ . » وَلَمّا حاوَلَتِ ٱلمَرْأَةُ ٱلرَّفْضَ قالَ لَها : « أُفَضِّلُ أَنْ أُخبِرَكِ بِشَخْصِيَّةِ هٰذا ٱلرَّجُلِ ٱلَّذي يَصْحَبُني ، إِنَّهُ مُفَتِّشُ ٱلشُّرطَةِ نيوكُومين . »

اِكْتَسى وَجْهُ ٱلمَرْأَةِ بِمِسْحةٍ مِنَ ٱلسُّرورِ ٱلمَشُوبِ بِٱلحِقْدِ وَقالَتْ : « آهٍ ! إِنَّهُ في مَأْزِقٍ ! ماذا فَعَلَ ؟ »

فَتَبادَلَ كُلٌّ مِنْ أَتِرْسُون وَٱلمُفَتِّشِ ٱلنَّظَراتِ ، ثُمَّ قالَ ٱلمُفَتِّشُ : « يَبْدو أَنَّهُ لَيْسَ بِالشَّخْصِ ٱلمَحْبوبِ . وَٱلآنَ أَيَّتُها ٱلسَّيِّدةُ ٱلطَّيِّبةُ ، آسمَحي لي وَلِهٰذا ٱلسَّيِّدِ أَنْ نُلْقِيَ نَظْرةً عَلى هٰذا ٱلمَكانِ . . »

لَمْ يَكُنْ مِسْتَر هايد يَشْغَلُ مِنَ ٱلبَيْتِ كُلِّهِ إِلّا غُرْفَتَيْنِ . وَلَمْ يَكُنْ بِهِ إِلّا تِلْكَ ٱلمَرْأَةُ ٱلعَجوزُ . وَكانَتِ ٱلغُرْفَتانِ مُؤَثَّثَتَيْنِ بِأَفْخَرِ ٱلأَثاثِ ٱلَّذي يَكْشِفُ عَنْ ذَوْقٍ سَليمٍ . وَكانَ ٱلدُّولابُ مَليئًا بِالزُّجاجاتِ وَٱلمَلاعِقِ وَٱلشُّوَكِ ٱلفِضِّيَّةِ ، وَكانَ عَلى ٱلمائِدةِ مِفْرَشٌ فاخِرٌ ، وَعَلى ٱلحائِطِ كانَتْ صُورةٌ جَميلةٌ قالَ عَنْها أَتِرْسُون في نَفْسِهِ إِنَّها كانَتْ دُونَ شَكٍّ هَدِيَّةً مِنَ ٱلدُّكْتُور جيكِل ٱلَّذي كانَ يَتَمَتَّعُ بِذَوْقٍ سَليمٍ . أَمّا ٱلسَّجاجيدُ فَقَدْ كانَتْ وَثيرةً وَذاتَ أَلْوانٍ بَهيجةٍ .

كانَتِ ٱلغُرْفَتانِ في تِلْكَ ٱللَّحْظةِ ، في حالةِ فَوْضى تَدُلُّ عَلى أَنَّ شَخْصًا ما قَدْ قامَ بِتَفْتيشِها مُنْذُ فَتْرةٍ قَصيرةٍ . فَقَدْ كانَتِ ٱلمَلابِسُ مُلْقاةً عَلى ٱلأَرْضِ وَجُيوبُها بارِزةً إِلى ٱلخارِجِ ، وَكانَتِ ٱلأَدْراجُ مَفْتوحةً ، وَبِٱلمِدْفأةِ كَوْمةٌ مِنَ ٱلرَّمادِ مِمّا يَدُلُّ عَلى أَنَّ أَوْراقًا كَثيرةً قَدْ أُحْرِقَتْ بِها . وَٱلتَقَطَ ٱلمُفَتِّشُ مِنْ وَسَطِ كَوْمةِ ٱلرَّمادِ هٰذِهِ كَعْبَ دَفْتَرِ شِيكاتٍ أَخضَرَ ٱللَّوْنِ لَمْ تَأْتِ عَلَيْهِ ٱلنِّيرانُ ، كَما وَجَدَ

ٱلنِّصْفَ ٱلآخَرَ لِلْعَصا وَراءَ ٱلبابِ مِمَّا زادَ يَقينَ ٱلمُفَتِّشِ وَجَعَلَهُ يَشْعُرُ بِٱرتياحٍ شَديدٍ . وَقَدِ ٱزدادَ سُرورُهُ بَعْدَ أَنْ قامَ بِزيارةٍ لِلْبَنْكِ وَعَرَفَ أَنَّ لِلْقاتِلِ حِسابًا أَوْدَعَ فيهِ عِدَّةَ آلافٍ مِنَ ٱلجُنَيْهاتِ .

قالَ ٱلمُفَتِّشُ لِأَتِرْسُون : « كُنْتُ عَلى ثِقةٍ أَنَّهُ سَوْفَ يَقَعُ في قَبْضَتي لا مَحالةَ . لا بُدَّ أَنَّهُ قَدْ فَقَدَ عَقْلَهُ عِنْدَما تَرَكَ وَراءَهُ نِصْفَ ٱلعَصا وَحاوَلَ إِحْراقَ دَفْتَرِ ٱلشِّيكاتِ . إِنَّ ٱلمالَ عَصَبُ ٱلحَياةِ وَلَيْسَ عَلَيْنا إِلَّا أَنْ نَنْتَظِرَهُ في ٱلبَنْكِ وَنُراقِبَ أَيَّ تَعامُلٍ يَقومُ بِهِ هُناكَ . »

وَمَعَ ذٰلِكَ فَلَمْ تَكُنْ مُحاوَلةُ ٱلتَّعَرُّفِ عَلَيْهِ بِٱلأَمْرِ ٱلهَيِّنِ ، فَلَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهُ إِلَّا ٱلقَليلُونَ . بَلْ إِنَّ ٱلرَّجُلَ ٱلَّذي أَجَّرَ لَهُ ٱلخادِمةَ لَمْ يَرَهُ طَوالَ فَتْرةِ خِدْمَتِها لَهُ إِلَّا مَرَّتَيْنِ ، فَضْلًا عَنْ أَنَّهُ لَم تُؤْخَذْ صُورةٌ فُوتوغْرافيَّةٌ لِهايدِ قَطُّ ، وَلَمْ يَهْتَدِ أَحَدٌ إِلى مَعْرِفةِ أَيٍّ مِنْ أَقْرِبائِهِ أَوْ أَفْرادِ عائِلَتِهِ . وَمِمَّا زادَ ٱلطِّينَ بِلَّةً أَنَّ مَنْ رَأَوْهُ ٱخْتَلَفوا ٱخْتِلافًا كَبيرًا في وَصْفِ مَلامِحِهِ ، وَلَمْ يَتَّفِقوا إِلَّا في نُقْطةٍ واحِدةٍ وَهِيَ أَنَّ مَنْ يَراهُ لا بُدَّ أَنْ يَشْعُرَ أَنَّ هَيْئَتَهُ غَيْرُ طَبيعيَّةٍ .

حادِثةُ ٱلخِطابِ

ذَهَبَ أُتِرْسُون في ساعةٍ مُتَأَخِّرةٍ مِنْ عَصْرِ ذٰلِكَ ٱليَوْمِ إلى مَنْزِلِ دُكْتُور جيكِل ، وَقادَهُ پُوول في ٱلتَّوَعبْرَ ٱلمَطْبَخِ إلى فِناءٍ كانَ مِنْ قَبْلُ حَديقةً ، ثُمَّ إلى جُزْءٍ مِنَ ٱلمَنْزِلِ كانَ يُطْلَقُ عَلَيْهِ ٱسمُ ٱلمَعْمَلِ . وَكانَتْ تِلْكَ أَوَّلَ مَرَّةٍ يَسْتَقْبِلُ فيها دُكْتُور جيكِل صَديقَهُ أُتِرْسُون في ذٰلِكَ ٱلجُزْءِ مِنَ ٱلمَنْزِلِ ، وَلِهٰذا كانَ ٱلفُضولُ يَدْفَعُ أُتِرسُون إلى أَنْ يُدَقِّقَ ٱلنَّظَرَ في أَنْحاءِ ذٰلِكَ ٱلمَبْنى ٱلباهِتِ ٱللَّوْنِ ، ٱلَّذي لَمْ تَكُنْ بِهِ نَوافِذُ تُطِلُّ عَلى ٱلشَّارِعِ . وَأَخَذَ يُحَمْلِقُ حَوْلَهُ وَهُوَ في طَريقِهِ إلى مَعْمَلِ ٱلطَّبيبِ وَقَدْ ساوَرَهُ شُعورٌ بَغيضٌ بِالتَّعَجُّبِ وَٱلاستِغْرابِ .

كانَ ٱلمَعْمَلُ غُرْفةً واسِعةً مُجَهَّزةً بِدَواليبَ زُجاجيَّةٍ ، وَبِها مِرْآةٌ كَبيرةٌ وَمِنْضَدةٌ ، وَلَها ثَلاثُ نَوافِذَ مُغَبَّرةٍ ذاتِ قُضْبانٍ حَديديَّةٍ تُطِلُّ عَلى ٱلفِناءِ . وَكانَتِ ٱلنَّارُ مُشْتَعِلةً في ٱلمِدْفأَةِ ، وَكانَ عَلى رَفِّ ٱلمِدْخَنةِ مِصْباحٌ مُنيرٌ ، إذْ إنَّ ٱلضَّبابَ كانَ مِنَ ٱلكَثافةِ بِحَيْثُ تَسَرَّبَ إلى داخِلِ ٱلمَنازِلِ وَجَعَلَ ٱلرُّؤْيةَ مَحْدودةً . وَعَلى مَقْرَبةٍ مِنَ ٱلمِدْفأَةِ كانَ ٱلدُّكْتور جيكِل جالِسًا شاحِبَ ٱلوَجْهِ هَزيلًا . وَلَمْ يَقُمْ لِاسْتِقْبالِ ضَيْفِهِ بَلْ مَدَّ لَهُ يَدًا بارِدةً وَرَحَّبَ بِهِ بِصَوْتٍ مُتَغَيِّرٍ .

ما إنْ غادَرَ پُوول ٱلغُرْفةَ حَتَّى قالَ أُتِرْسُون : « لا بُدَّ أَنَّكَ سَمِعْتَ ٱلأَخْبارَ . »

أصابتِ ٱلطَّبيبَ رَعْشَةٌ وقالَ : « لَقَدْ سَمِعْتُهُمْ يَصيحونَ بِها في ٱلشّارِعِ . سَمِعْتُهُمْ وَأنا في غُرْفةِ ٱلطَّعامِ . »

قالَ أتِرْسُون : « بِٱختِصارٍ ، لَقَدْ كانَ كارُو أحَدَ عُمَلائي وَكَذٰلِكَ أنْتَ . وَأُريدُ أنْ أعْرِفَ ما أقومُ بِهِ . أخْشى أنْ يَكونَ قَدْ بَلَغَ بِكَ ٱلجُنونُ حَدَّ إخفاءِ ذٰلِكَ ٱلرَّجُلِ ؟ »

صاحَ ٱلطَّبيبُ : « أُقْسِمُ بِاللهِ يا أتِرْسُون إنّي لَنْ أراهُ ثانيةً . لَقَدْ أنْهَيْتُ عَلاقَتي بِهِ في هٰذا ٱلعالَمِ . لَقَدْ قَطَعْتُ عَلاقَتي بِهِ تَمامًا . وَٱلحَقيقةُ أنَّهُ في غَيْرِ حاجةٍ إلى مُساعَدَتي . أنْتَ لا تَعْرِفُهُ كَما أعْرِفُهُ أنا ، إنَّهُ في أمانٍ ، في أمانٍ كامِلٍ . وَأُؤَكِّدُ لَكَ أنَّهُ لَنْ يَسْمَعَ بِهِ أحَدٌ بَعْدَ ذٰلِكَ . »

كانَ ٱلمُحامي يَسْتَمِعُ بِاهْتِمامٍ ، وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَرْتَحْ إلى تِلْكَ ٱلطَّريقةِ ٱلمَحْمومةِ ٱلَّتي كانَ يَتَحَدَّثُ بِها صَديقُهُ ، فَقالَ لَهُ : « يَبْدو أنَّكَ واثِقٌ مِنْهُ كُلَّ ٱلثِّقةِ ، وَإنّي أتَمَنّى – مِنْ أجْلِكَ أنْتَ – أنْ تَكونَ مُصيبًا فيما تَقُولُ ، فَهُناكَ ٱحتِمالٌ أنْ يُذْكَرَ ٱسمُكَ إذا عُرِضَ ٱلأمْرُ عَلى ٱلقَضاءِ . »

أجابَهُ جيكِل : « إنّي واثِقٌ مِنْهُ كُلَّ ٱلثِّقةِ ، وَلَدَيَّ أسْبابٌ أكيدةٌ تَجْعَلُني أثِقُ فيهِ ، وَلَيْسَ في وُسْعي أنْ أُخْبِرَ بِها أحَدًا ، لٰكِنْ هُناكَ شَيْءٌ واحِدٌ يُمْكِنُني أنْ أطْلُبَ رَأْيَكَ فيهِ . لَقَدْ .. لَقَدْ تَسَلَّمْتُ خِطابًا وَلَسْتُ أدْري هَلْ مِنَ ٱلحِكْمةِ أن أُريَهُ لِرِجالِ ٱلشُّرْطةِ . وَأُفَضِّلُ أنْ أتْرُكَ ٱلمَوْضوعَ في يَدِكَ يا أتِرْسُون ، فَأنا واثِقٌ أنَّكَ سَوْفَ تَقْطَعُ بِالرَّأْيِ ٱلسَّديدِ . فَثِقَتي فيكَ كَبيرةٌ . »

سَأَلَهُ ٱلمُحامي : « هَلْ تَخْشى أَنْ يُؤَدِّيَ ذٰلِكَ إلى آكتِشافِ مَكانِهِ ؟ »

أَجابَهُ : « لا ! لَيْسَ في وُسْعي أَنْ أَقول إِنِّي مُهْتَمٌّ بما يحْدُثُ لهايد . لقدْ قَطَعْتُ صِلَتي بِهِ إلى ٱلأَبَدِ . إنَّ ما يَهُمُّني هُوَ شَخْصي ، فقدْ عرَّضني هٰذا ٱلمَوْقِفُ ٱلبَغيضُ إلى ما لا أُحِبُّ . »

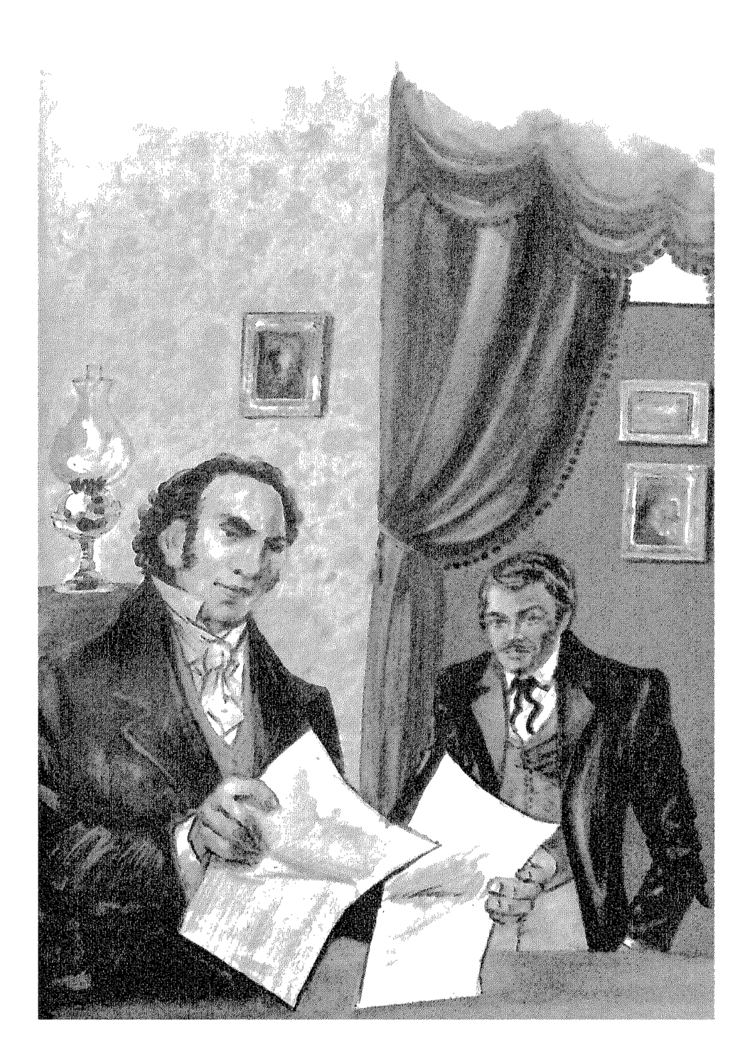
اِستَغْرَقَ أَتِرْسُون في ٱلتَّفْكيرِ لِفَتْرةٍ قصيرةٍ وَأَدْهَشَتْهُ أَنانية صديقِه ، وإن كانَ قَدْ شَعَرَ بِشَيْءٍ مِنْ ٱلارْتياحِ لِذٰلِكَ . قالَ أَخيرًا : « أَرِني ٱلخِطاب . »

كانَ ٱلخِطابُ مَكْتوبًا بِخَطٍّ رَأْسِيٍّ غَريبٍ ، وَمَخْتُومًا بِتَوْقيعِ إدْوارْد هايد . وَكانَ مُخْتَصَرًا ، وَجاءَ فيه أَنَّهُ بالرَّغْمِ مِنْ آلافِ ٱلمُساعَداتِ ٱلَّتي لَقِيَها مِنْ صَديقِهِ جيكِل فَإِنَّهُ – أَيْ هايد – لَمْ يُقابِلِ ٱلإِحْسان إِلَّا بالإِساءة . وَقالَ إنَّهُ عَلى ٱلدُّكْتُور جيكِل أَلَّا يَقْلَقَ عَلى سَلامةِ صَديقِهِ هايد ، لِأَنَّ لَدَيْهِ وَسيلةً لِلْهَرَبِ لاتَخيبُ . وَقَدِ آرتاحَ ٱلمُحامي لِهٰذا ٱلخِطابِ آرتياحًا كَبيرًا لِأَنَّهُ جَعَلَ لِلصَّداقةِ بَيْنَهُما صِبْغةً أَفْضَلَ بِكَثيرٍ مِنْ تِلْكَ ٱلصِّبْغةِ ٱلَّتي كانَتْ في مُخَيِّلَتِهِ . لِهٰذا أَخَذَ يَلومُ نَفْسَهُ عَلى تِلْكَ ٱلشُّكوكِ ٱلَّتي كانَتْ تُساوِرُهُ فيما مَضَى .

ثُمَّ سَأَلَ ٱلدُّكْتُور جيكِل : « هَلْ ظَرْفُ ٱلخِطابِ مَعَكَ ؟ »

أَجابَهُ جيكِل : « لَقَدْ أَحْرَقْتُهُ قَبْلَ أَنْ أُفكِّرَ فيما أَفْعَلُهُ بِهِ . وَلٰكِنْ لَمْ يَكُنْ عَلى ٱلظَّرْفِ أَيُّ خاتَمٍ بَريدٍ ، إذْ إنَّ ٱلخِطابَ قَدْ سُلِّمَ بِٱليَدِ . »

سَأَلَهُ أَتِرْسُون : « هَلْ لي أَنْ أَحْتَفِظَ بِهٰذا ٱلخِطابِ لِأَنِّي في حاجةٍ إلى بَعْضِ ٱلوَقْتِ لِأُفكِّرَ فيهِ ؟ »



أَجابَهُ : « أَرْجُوكَ أَنْ تَتَصَرَّفَ نيابةً عَنِّي بِصُورةٍ كامِلةٍ . فَقَدْ فَقَدْتُ ثِقَتي في نَفْسي . »

قالَ ٱلمحامي : « حَسَنًا ، سَوْفَ أُفَكِّرُ في ٱلأَمْرِ . وَٱلآنَ لَدَيَّ سُؤالٌ آخَرُ . هَلْ كانَ هايِد هُوَ ٱلَّذي أَمْلَى شُروطَ ٱلوَصِيَّةِ وَذَكَرَ ٱلبَنْدَ ٱلخاصَّ بِٱلاخْتِفاءِ ؟ »

بَدا ٱلطَّبيبُ وَكَأَنَّما قَدْ أُصيبَ بِإِغْماءَةٍ مُفاجِئَةٍ ، وَأَطْبَقَ فَمَهُ ثُمَّ أَوْمَأَ بِرَأْسِهِ مُوافِقًا .

قالَ أُتِرْسُون : « كُنْتُ أَعْرِفُ ذٰلِكَ فَقَدْ كانَ يَنْوي ٱغْتيالَكَ . إِنَّكَ نَجَوْتَ بِأُعْجوبةٍ . »

رَدَّ عَلَيْهِ ٱلطَّبيبُ : « لَقَدْ حَصَلْتُ عَلى ما هُوَ أَهَمُّ مِنْ ذٰلِكَ بِكَثيرٍ . لَقَدْ أَخَذْتُ دَرْسًا ، وَيا لَهُ مِنْ دَرْسٍ يا أُتِرْسُون ! » ثُمَّ غَطَّى وَجْهَهُ بِكِلْتا يَدَيْهِ .

تَوَقَّفَ مِسْتَر أُتِرْسُون لِيَتَحادَثَ مَعَ پُوول. قالَ لَهُ : « بِٱلمُناسَبَةِ يا پُوول ، لَقَدْ جاءَ شَخْصٌ لِيُسَلِّمَ خِطابًا ٱليَوْمَ ، فَما كانَ شَكْلُ هٰذا ٱلشَّخْصِ ؟ » لٰكِنَّ پُوول أَكَّدَ أَنَّهُ لَمْ تَأْتِ أَيُّ خِطاباتٍ إِلَّا عَنْ طَريقِ ٱلبَريدِ .

عِنْدَما سَمِعَ ٱلمُحامي ذٰلِكَ غادَرَ ٱلمَكانَ وَقَدْ تَجَدَّدَتْ مَخاوِفُهُ . لا بُدَّ أَنَّ هٰذا ٱلخِطابَ قَدْ جاءَ مِنْ بابِ ٱلمَعْمَلِ ، بَلْ مِنَ ٱلمُحْتَمَلِ أَنْ يَكُونَ قَدْ كُتِبَ داخِلَ ٱلمَعْمَلِ ، وَإِذا كانَ ٱلأَمْرُ كَذٰلِكَ فَمِنَ ٱلواجِبِ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ مِنْ زاوِيةٍ جَديدةٍ وَأَنْ يُمْعِنَ ٱلتَّفْكيرَ في أَمْرِهِ . وَأَثْناءَ سَيْرِهِ كانَ باعةُ ٱلصُّحُفِ يَصيحونَ في ٱلشَّوارِعِ : « مُلْحَقٌ خاصٌّ ! ٱلاغْتِيالُ ٱلفَظيعُ لِأَحَدِ أَعْضاءِ ٱلبَرْلَمانِ ! »

كانَتْ تِلْكَ ٱلصَّبْحاتُ تَنْعي أَحَدَ أَصْدِقائِهِ وَعُمَلائِهِ . وَكانَ يَخْشى أَنْ يَكُونَ في نَفْسِ ٱلمَقْبَرةِ مَصيرُ ٱلسُّمْعةِ ٱلطَّيِّبةِ ٱلَّتي كانَ يَتَمَتَّعُ بِها صَديقُهُ وَأَحَدُ عُمَلائِهِ . إِنَّ ٱلقَرارَ ٱلَّذي كانَ عَلَيْهِ أَنْ يَتَّخِذَهُ قَرارٌ في غايةِ ٱلصُّعوبةِ وَلِهٰذا بَدَأَ يَشْعُرُ بِحاجةٍ إِلى ٱلمَشورةِ .

بَعْدَ فَتْرةٍ كانَ أُتِرْسُون جالِسًا إِلى جانِبِ مِدْفَأَتِهِ ، وَعَلى ٱلجانِبِ ٱلآخَرِ كانَ ٱلسَّيِّدُ غِسْت مُديرُ مَكْتَبِهِ . وَكانَتْ نارُ ٱلمِدْفأَةِ قَدْ بَعَثَتِ ٱلدِّفْءَ في ٱلغُرْفةِ فَبَدَأَ أُتِرْسُون يَشْعُرُ بِالرَّغْبةِ في ٱلحَديثِ مَعَ غِسْت ٱلَّذي يَضَعُ فيهِ ثِقَتَهُ وَلا يُخْفي عَنْهُ مِنْ أَسْرارِهِ إِلَّا ٱلنَّادِرَ مِنْها . وَكانَ غِسْت يَذْهَبُ إِلى مَنْزِلِ ٱلطَّبيبِ كُلَّما ٱقتَضَتْ ظُروفُ ٱلعَمَلِ .

وَهُوَ يَعْرِفُ پُوول وَلا بُدَّ أَنَّهُ سَمِعَ عَنْ مِسْتَر هايد وَكَثْرةِ ذَهابِهِ إِلى مَنْزِلِ ٱلطَّبيبِ . أَلا يَجْعَلُهُ هٰذا يَظُنُّ ٱلظُّنونَ بِالطَّبيبِ ؟

أَلَيْسَ مِنَ ٱلأَفْضَلِ أَنْ يُرِيَهُ أُتِرْسُون ٱلخِطابَ ٱلَّذي سَيُلْقي ضَوْءًا يَكْشِفُ ذٰلِكَ ٱلغُموضَ ؟ وَعِلاوةً عَلى ذٰلِكَ فَقَدْ كانَ غِسْت حَصيفَ ٱلرَّأْيِ ، وَلَنْ يَقْرَأَ مِثْلَ هٰذا ٱلخِطابِ ٱلغَريبِ دُونَ أَنْ يُبْديَ مُلاحَظةً ما ، وَرُبَّما كانَ لِهٰذِهِ ٱلمُلاحَظةِ أَثَرٌ في تَوْجيهِ أُتِرْسُون نَحْوَ ٱلطَّريقِ ٱلَّذي يَجْدُرُ بِهِ أَنْ يَسْلُكَهُ .

قالَ ٱلمُحامي : « يُحْزِنُني ما حَدَثَ لِسِير دانْفِرز . »

قالَ غِسْت : « إِنَّهُ لَأَمْرٌ مُحْزِنٌ حَقًّا ، وَقَدْ أَثارَ ٱلشُّعورَ ٱلعامَّ إِثارةً كَبيرةً . وَلَيْسَ مِنْ شَكٍّ أَنَّ ٱلقاتِلَ شَخْصٌ مَجْنُونٌ . »

أَجابَهُ أَتِرْسُون : « أُحِبُّ أَنْ أَعْرِفَ رَأْيَكَ . لَدَيَّ هُنا خِطابٌ مَكْتوبٌ بخَطِّ يَدِهِ — هٰذا ٱلأَمْرُ سِرٌّ بَيْني وَبَيْنَكَ — وَأَنا في حَيْرَةٍ ماذا أَفْعَلُ بِهِ ؟ إِنَّ ٱلمَوْضوعَ كُلَّهُ بَغيضٌ إِلى نَفْسي ، وَلٰكِنْ عَلَيَّ أَنْ أُواجِهَهُ . هٰأَنذا أَجِدُ أَمامي رِسالَةً بخَطِّ مُجْرِمٍ قاتِلٍ . »

لَمَعَتْ عَيْنا غِسْت وَجَلَسَ عَلى ٱلتَّوِّ يَدْرُسُ ٱلخِطابَ بِتُؤَدةٍ ، ثُمَّ قالَ : « لا يا سَيِّدي ، لَيْسَ مَجْنونًا وَلٰكِنَّ خَطَّهُ غَريبٌ . »

قالَ أَتِرْسُون : « وَكاتِبُهُ غَريبٌ أَيْضًا دُونَ شَكٍّ . » وَفي تِلْكَ ٱللَّحْظَةِ دَخَلَ ٱلخادِمُ وَمَعَهُ رِسالَةٌ .

فَسَأَلَ غِسْت : « هَلْ هٰذِهِ ٱلرِّسالَةُ مِنْ دُكْتُور جيكِل يا سَيِّدي ؟ أَعْتَقِدُ أَنِّي أَعْرِفُ خَطَّهُ . هَلْ تَدورُ حَوْلَ مَوْضوعٍ خاصٍّ ؟ »

أَجابَ ٱلمُحامي : « لا ، مُجَرَّدُ دَعْوةٍ إِلى ٱلعَشاءِ . لِماذا تَسْأَلُ ؟ هَلْ تُريدُ أَنْ تَقْرَأَها ؟ »

أَجابَ غِسْت : « أُريدُ أَنْ أُلْقِيَ نَظْرَةً عَلَيْها إِذا سَمَحْتَ . شُكْرًا ! »

أَخَذَ غِسْت الرِّسالَةَ ثُمَّ وَضَعَ الرِّسالَتَيْنِ أَمامَهُ ، وَراحَ يُقارِنُهُما بِعِنايَةٍ .

وَأَخيرًا أَعادَ ٱلرِّسالَتَيْنِ لِأَتِرْسُون قائِلًا : « أَشْكُرُكَ يا سَيِّدي ! إِنَّ ٱلخَطَّ مُثيرٌ لِلاهْتِمامِ لِلْغايَةِ . »

أَعَقَبَتْ ذٰلِكَ فَتْرةُ صَمْتٍ كانَ أَتِرْسُون خِلالَها في صِراعٍ داخِليٍّ ، ثُمَّ سَأَلَ غِسْت فَجْأَةً : « لِماذا قارَنْتَ ٱلرِّسالَتَيْنِ يا غِسْت ؟ »

أجابَ : « هُناكَ يا سَيِّدي تَشابُهٌ غَريبٌ بَيْنَ ٱلخَطَّيْنِ في كَثيرٍ مِنَ ٱلنَّواحي ، وَٱلخِلافُ ٱلوَحيدُ بَيْنَهُما في دَرَجةِ ٱنحِناءِ حُروفِهِما . »

قالَ أَتِرْسُون : « هٰذا شَيْءٌ غَريبٌ . »

قالَ غِسْت : « نَعَمْ يا سَيِّدي ! هُوَ غَريبٌ كَما تَقُولُ . »

قالَ أَتِرْسُون : « أُفَضِّلُ أَلَّا تُخْبِرَ أَحَدًا بِهٰذا ٱلخِطابِ . »

قالَ غِسْت : « أَفْهَمُ ذٰلِكَ يا سَيِّدي ، وَلَنْ أُخبِرَ أَحَدًا . »

ما إِنِ ٱنفَرَدَ أَتِرْسُون بِنَفسِهِ في تِلْكَ ٱللَّيْلةِ حَتَّى وَضَعَ ٱلخِطابَ في خَزينَتِهِ حَيْثُ ظَلَّ فيها مُنْذُ تِلْكَ ٱللَّحْظةِ ، ثُمَّ أَخَذَ يَقُولُ : « ما ٱلَّذي حَدَثَ ؟ هَلْ قامَ هِنْري جيكِل بِعَمَلِيَّةِ تَزْويرٍ مِنْ أَجْلِ قاتِلٍ ؟ » وَجَرى ٱلدَّمُ بارِدًا في عُروقِهِ .

حادِثةُ الدُّكْتُور لانْيُون ٱلعَجيبةُ

مَرَّتِ ٱلأَيَّامُ وَعُرِضَتْ مُكافأَةٌ قِيمَتُها آلافُ ٱلجُنَيْهاتِ لِمَنْ يُرْشِدُ إلى ٱلقاتِلِ. وَلٰكِنَّ هايد لَمْ يَظْهَرْ لَهُ أَثَرٌ وَكأَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وُجودٌ قَطُّ. وَبَدَأَ ٱلنَّاسُ يَتناقَلُونَ أَحْداثَ ماضِيهِ، وَكانَتْ جَميعُها أَحْداثًا مُخْجِلةً؛ فَكَثيرًا ما تَحَدَّثوا عَنْ فَظاظَتِهِ وَقَسْوَتِهِ، وَعَنْ أُسْلوبِ حَياتِهِ ٱلدَّنيءِ، وَرِفاقِهِ ذَوِي ٱلأَطْوارِ ٱلغَريبةِ، وَعَنِ ٱلكَراهيةِ ٱلَّتي كانَتْ تُحيطُ بِهِ. وَلٰكِنْ لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ شَيْئًا عَنِ ٱلمَكانِ ٱلَّذي يُقيمُ فيهِ، فَمُنْذُ أَنْ غادَرَ هايد مَنْزِلَهُ في سُوهُو يَوْمَ حادِثةِ ٱلاغْتِيالِ ٱختَفى تَمامًا.

أَمَّا مِسْتَر أُتِرْسُون فَقَدْ بَدَأَ يَسْتَرِدُّ هُدوءَهُ بِصُورةٍ تَدْريجيَّةٍ بَعْدَ حالةِ ٱلذُّعْرِ ٱلَّتي كانَتْ قَدْ أَلَمَّتْ بِهِ. وَبَدَأَ خَيالُهُ يُصَوِّرُ لَهُ أَنَّ ٱختِفاءَ هايد قَدْ عَوَّضَ مَقْتَلَ سِير دانْفِرْز، وَأَنَّ دُكْتُور جيكِل سَوْفَ تُكْتَبُ لَهُ حَياةٌ جَديدةٌ بَعْدَ أَنْ يَنْحَسِرَ عَنْهُ ذٰلِكَ ٱلتَّأْثيرُ ٱلسَّيِّئُ لِهايد عَلَيْهِ. وَبَدَأَ ٱلدُّكْتُور جيكِل يُغادِرُ مَنْزِلَهُ بِٱنتِظامٍ أَكْثَرَ، وَجَدَّدَ عَلاقاتِهِ مَعَ أَصْدِقائِهِ، وَأَخَذَ يَتزاوَرُ مَعَهُمْ وَيَتَسامَرُ. وَإذا كانَ قَدْ عُرِفَ مِنْ قَبْلُ بِمُساهَماتِهِ ٱلخَيْريَّةِ ٱلعَديدةِ، فَقَدْ أَصْبَحَ ٱلآنَ مَعْروفًا كَذٰلِكَ بِمُيولِهِ ٱلدِّينيَّةِ ٱلمُتَمَيِّزةِ. وَأَصْبَحَ أَكْثَرَ ٱنهِماكًا في ٱلعَمَلِ، وَأَكْثَرَ خُروجًا إلى ٱلخَلاءِ، وَقِيامًا بِأَعْمالِ ٱلخَيْرِ. وَبَدا وَجْهُهُ وَقَدِ ٱنبَسَطَ وَٱنفَرَجَتْ أَساريرُهُ، وَظَلَّ في راحةٍ نَفْسيَّةٍ لِمُدَّةِ شَهْرَيْنِ.

في ٱلثَّامِنِ مِنْ يَناير تَناوَلَ أُتِرْسُون طَعامَ ٱلعَشاءِ مَعَ ٱلطَّبيبِ ضِمْنَ مَجْموعةٍ

صَغيرةٍ مِنَ ٱلأَصْدِقاءِ – وَكانَ لانْيُون واحِدًا مِنْهُم . وَخِلالَ آجتِماعِهِمْ كانَ جيكِل يُعَبِّرُ عَنْ خالِصِ ٱلمَوَدَّةِ وَٱلحُبِّ وَهُوَ يَنْظُرُ مِنْ صَديقٍ إلى صَديقٍ كَعَهْدِهِ في ٱلأَيَّامِ ٱلماضِيةِ .

لٰكِنْ حَدَثَ في ٱلثَّاني عَشَرَ وَٱلرَّابعَ عَشَرَ مِنَ ٱلشَّهْرِ نَفْسِهِ أَنْ أَغْلَقَ ٱلطَّبيبُ بابَهُ دُونَ صَديقِهِ ٱلمُحامي ، وَقالَ پُوول : « إنَّ ٱلطَّبيبَ غَيْرُ قادِرٍ عَلى مُغادَرةِ ٱلبَيْتِ ، وَلَيْسَ في وُسْعِهِ أَنْ يُقابِلَ أَحَدًا . » وَحاوَلَ أُتِرْسُون مُقابَلةَ جيكِل مَرَّةً أُخرى في ٱلخامِسَ عَشَرَ مِنَ ٱلشَّهْرِ وَلٰكِنَّ جيكِل رَفَضَ مُقابَلَتَهُ أَيْضًا . وَلِأَنَّ أُتِرْسُونَ قَدِ آعتادَ رُؤْيةَ صَديقِهِ كُلَّ يَوْمٍ تَقْريبًا خِلالَ ٱلشَّهْرَيْنِ ٱلماضِيَيْنِ فَقَدْ بَدَأَ يَشْعُرُ بِٱلوَحْدةِ وَٱلقَلَقِ .

وَفي ٱللَّيْلةِ ٱلخامِسةَ عَشْرةَ دَعا غِسْت لِيَتَناوَلَ ٱلعَشاءَ مَعَهُ ، أَمَّا في ٱللَّيْلةِ ٱلسَّادِسةَ عَشْرةَ فَقَدْ ذَهَبَ إلى دُكْتُور لانْيُون وَهُناكَ قُوبِلَ بِٱلتَّرْحابِ . وَلٰكِنْ عِنْدَما دَخَلَ ٱلمَنْزِلَ شَعَرَ بِصَدْمةٍ كَبيرةٍ عِنْدَما لاحَظَ ما طَرَأَ عَلى مَظْهَرِ صَديقِهِ مِنْ تَغَيُّرٍ . لَقَدْ بَدا وَكَأَنَّهُ رَجُلٌ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ بِٱلإعْدامِ . فَقَدْ شَحَبَ وَجْهُهُ ٱلوَرْديُّ ، وَهُزِلَ جَسَدُهُ ، وَبَدا بِوُضوحٍ أَنَّ رَأْسَهُ أَكْثَرُ صَلَعًا وَوَجْهَهُ أَكْثَرُ تَجْعيدًا . وَمَعَ ذٰلِكَ فَلَمْ تَكُنْ مَظاهِرُ ٱلتَّدَهْوُرِ ٱلجِسْميِّ تِلْكَ هِيَ ٱلَّتي أَقْلَقَتِ ٱلمُحامي وَصَدَمَتْهُ ، بَلْ نَظَراتُ عَيْنَيْهِ وَطَريقةُ تَصَرُّفاتِهِ مِمَّا أَوْحى بِوُجودِ شَيْءٍ ما في أَغْوارِ نَفْسِهِ يُثيرُ رُعْبَهُ وَفَزَعَهُ . وَعَلى ٱلرَّغْمِ مِنْ أَنَّ ٱلخَوْفَ مِنَ ٱلمَوْتِ لَمْ يَكُنْ مَبْعَثَ خَوْفِ ٱلطَّبيبِ . فَإنَّ تَفْكيرَ أُتِرْسُون قَدِ آتَّجَهَ هٰذا ٱلاتِّجاهَ .

قالَ لِنَفْسِهِ : « نَعَمْ ، إنَّهُ طَبيبٌ وَيَعْرِفُ حالَتَهُ ٱلصِّحِّيَّةَ كُلَّ ٱلمَعْرِفَةِ ، وَإنَّ أَيّامَهُ قَدْ أُصْبَحَتْ مَعْدودةً ، وَلَيْسَ في وُسْعِهِ أَنْ يَتَحَمَّلَ ذٰلِكَ . » لٰكِنْ عِنْدَما أَشارَ أُتِرْسُون إلى ما لاحَظَهُ مِنْ مَظاهِرِ آختِلالِ صِحَّةِ صَديقِهِ رَدَّ عَلَيْهِ لانْيُون بِأَنَّهُ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ بِٱلمَوْتِ لا مَحالةَ . قالَ : « لَقَدْ أُصِبْتُ بِصَدْمةٍ لَنْ أَنْجُوَ مِنْها . إنَّ آلأَمْرَ لَنْ يَعْدُوَ بِضْعَةَ أَسابيعَ . لَقَدْ كانَتِ ٱلحَياةُ سارَّةً وَكُنْتُ أُحِبُّها ! نَعَمْ ياسَيِّدي كُنْتُ أُحِبُّها ، وَلٰكِنِّي أَقولُ لِنَفْسي في بَعْضِ ٱلأَحْيانِ لَوْ أَنَّنا عَرَفْنا كُلَّ شَيْءٍ لَسَرَّنا أَنْ نَرْحَلَ عَنْ هٰذِهِ ٱلحَياةِ . »

قالَ أُتِرْسُون : « إنَّ جيكِل مَريضٌ أَيْضًا ، هَلْ رَأَيْتَهُ ؟ »

تَجَهَّمَ وَجْهُ ٱلطَّبيبِ وَرَفَعَ يَدَهُ ٱلمُرْتَعِشةَ قائِلًا : « إنِّي لا أُرَحِّبُ بِأَنْ أَرى ٱلدُّكْتُور جيكِل أَوْ أَسْمَعَ شَيْئًا عَنْهُ . إنَّ ما بَيْني وَبَيْنَ هٰذا ٱلشَّخْصِ قَدِ ٱنفَصَمَ ٱنفِصامًا كامِلًا ، وَأَرْجو مِنْكَ أَلّا تَدْفَعَني إلى ٱلحَديثِ عَنْ رَجُلٍ أَعْتَبِرُهُ مَيِّتًا . »

تَعَجَّبَ ٱلمُحامي لِهٰذا ٱلرَّدِّ ، ثُمَّ سَأَلَ بَعْدَ فَتْرةِ صَمْتٍ : « هَلْ في وُسْعي أَنْ أَقُومَ بِشَيْءٍ ؟ نَحْنُ ٱلثَّلاثَةَ تَرْبُطُنا صَداقةٌ قَديمةٌ ، وَلَنْ يَمْتَدَّ بِنا ٱلعُمْرُ لِنُكَوِّنَ صَداقاتٍ جَديدةً . »

أَجابَ لانْيُون : « لَيْسَ مِنَ ٱلمُمْكِنِ عَمَلُ شَيْءٍ . سَلْهُ . »

قالَ أُتِرْسُون : « إنَّهُ يَرْفُضُ لِقائي . »

رَدَّ لانْيُون قائِلًا : « إنَّ تَصَرُّفَهُ هٰذا لا يُدْهِشُني . رُبَّما تَعْرِفُ مُسْتَقْبَلًا يا

أتِرسُون ، بَعْدَ أَنْ أموتَ ، ما بِهٰذا ٱلأَمْرِ مِنْ خَطَإٍ وَصَوابٍ . لَيْسَ في وُسْعي أَنْ أُخبِرَكَ ٱلآنَ . وَفي نَفسِ ٱلوَقْتِ إذا كانَ في إمْكانِكَ أَنْ تَجْلِسَ وَتَتَحدَّثَ مَعي في مَوْضُوعٍ آخَرَ فاجْلِسْ . أَمَّا إذا لَمْ يَكُنْ في وُسْعِكَ أَنْ تَتَجَنَّبَ ٱلحَديثَ عَنْ هٰذا ٱلمَوْضوعِ ٱلمَلْعونِ فَأَسْتَحْلِفُكَ بِاللهِ أَنْ تَذْهَبَ ، فَلَيْسَ في إمْكاني أَنْ أَحْتَمِلَ ٱلحَديثَ فيهِ . »

ما إنْ وَصَلَ أتِرسُون إلى بَيْتِهِ حَتَّى كَتَبَ خِطابًا إلى جيكِل يَشْكُو مِنْ عَدَمِ ٱلسَّماحِ لَهُ بِلِقائِهِ ، وَيَسْأَلُهُ عَنْ هٰذا ٱلخِلافِ ٱلبَغيضِ ٱلَّذي وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ لانْيُون

في ٱليَوْمِ ٱلتَّالي تَلَقَّى رَدًّا طَويلًا عَلى خِطابِهِ ، وَكانَ زاخِرًا بِعِباراتِ ٱلأَسَى وَٱلحُزْنِ ، وَيَشُوبُهُ قَدْرٌ مِنَ ٱلغُموضِ . جاءَ في ٱلخِطابِ :

« إنَّ ما حَدَثَ مِنْ خِلافٍ بَيْني وَبَيْنَ لانْيُون لا عِلاجَ لَهُ . وَأَنا لا أَلومُ صَديقي لانْيُون ، وَلٰكِنِّي أُوافِقُهُ عَلى رَأْيِهِ بِأَنَّ عَلَيْنا أَلَّا نَلْتَقِيَ أَبَدًا بَعْدَ ذٰلِكَ . وَأَنا أَنْوي مِنَ ٱلآنَ فَصاعِدًا أَنْ أَعيشَ في عُزْلَةٍ عَنِ ٱلنَّاسِ ، وَعَلَيْكَ أَلَّا تَشْعُرَ بِالدَّهْشَةِ لِهٰذا ٱلقَرارِ ، أَوْ تَشُكَّ في صَداقَتِي وَمَوَدَّتي نَحْوَكَ إذا أَنا أَغْلَقْتُ بابِي دُونَ ٱلنَّاسِ بَل دُونَكَ أَيْضًا . وَعَلَيْكَ أَنْ تَدَعَني أَسيرُ في طَريقي ٱلمُظْلِمِ هٰذا . فَقَدْ جَلَبْتُ لِنَفْسي مِنَ ٱلشُّرورِ وَٱلأَخْطارِ ما لا أَقْدِرُ عَلى تَوْضيحِ حَقيقَتِهِ لَكَ . وَلٰكِنْ أَقولُ إذا كُنْتُ أَكْبَرَ ٱلمُذْنِبينَ ، فانا أَيْضًا أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ مُعاناةً وَأَلَمًا . وَلا أَعْتَقِدُ أَنَّ في هٰذا ٱلعالَمِ إنْسانًا آخَرَ يُعاني مِثْلَ هٰذِهِ ٱلمُعاناةِ وَهٰذا ٱلفَزَعِ . وَلَيْسَ في وُسْعِكَ إلَّا أَنْ تَعْمَلَ شَيْئًا واحِدًا يا أتِرسُون كَيْ تُخَفِّفَ مِنْ أَلَمي وَهُوَ أَلَّا تَسْأَلَني عَنْ شَيْءٍ . »

دَهِشَ أَتِرْسُون مِنْ هٰذا ٱلخِطابِ . فَمُنْذُ أُسْبُوعٍ واحِدٍ فَقَطْ كانَ ٱلتَّأْثيرُ ٱلسَّيِّئُ لِهايد قَدِ ٱنزاحَ ، وَكانَ ٱلطَّبيبُ قَدْ عادَ إلى سابِقِ صَداقاتِهِ وَأَعْمالِهِ ، وَٱبتَسَمَتْ لَهُ ٱلدُّنْيا ، وَلاحَتْ تَباشيرُ عَهْدٍ مِنَ ٱلمَسَرَّةِ وَٱلبِشْرِ . أَمَّا ٱلآنَ فَقَدْ تَحَطَّمَتْ في لَحْظةٍ واحِدةٍ كُلُّ مَظاهِرِ ٱلصَّداقةِ وَراحةِ ٱلبالِ . بَلْ إنَّ حَياةَ صَديقِهِ ذاتَها قَدْ أَصْبَحَتْ مُعَرَّضةً لِلانهيارِ . إنَّ مِثْلَ هٰذا ٱلتَّغَيُّرِ ٱلكَبيرِ غَيْرِ ٱلمُتَوَقَّعِ إنَّما يُشيرُ إلى أَنَّ صَديقَهُ قَدْ أُصيبَ بِٱلجُنونِ ، وَلٰكِنَّ كَلِماتِ لانْيُون وَتَصَرُّفاتِهِ عِنْدَما أَشارَ إلى هٰذا ٱلمَوْضوعِ تُفيدانِ بِأَنَّ السَّبَبَ أَعْمَقُ مِنْ مُجَرَّدِ ٱلجُنونِ .

لازَمَ لانْيُون فِراشَهُ بَعْدَ أُسْبوعٍ ، ثُمَّ لَفَظَ نَفَسَهُ ٱلأَخيرَ بَعْدَ مُرورِ حَوالَى أُسْبوعَيْنِ . وَفي ٱللَّيْلةِ ٱلَّتي أَعْقَبَتِ ٱلجِنازةَ (وَكانَ أَتِرْسُون خِلالَها في غايةِ ٱلتَّأَثُّرِ) أَغْلَقَ أَتِرْسُون بابَ مَكْتَبِهِ عَلَيْهِ ، وَجَلَسَ في ضَوْءِ شَمْعةٍ ، وَأَخْرَجَ مِنْ خَزينَتِهِ ظَرْفًا مَكْتوبًا بِخَطِّ صَديقِهِ ٱلمُتَوَفَّى وَمَخْتومًا بِخاتَمِهِ . وَكانَ عَلى ٱلظَّرْفِ تَعْليماتٌ واضِحةٌ تَقولُ : « خاصٌّ : لِيَدِ ٱلسَّيِّدِ ج . أَتِرْسُون وَحْدَهُ — وَفي حالةِ وَفاتِهِ يُحْرَقُ دُونَ قِراءَتِهِ . »

شَعَرَ ٱلمُحامي بِٱلخَوْفِ مِمَّا يَحْويهِ هٰذا ٱلظَّرْفُ وَقالَ في نَفْسِهِ : « لَقَدْ فَقَدْتُ ٱليَوْمَ صَديقًا وَأَخْشى أَنْ يُكَلِّفَني هٰذا صَديقًا آخَرَ . » وَلٰكِنَّهُ تَراجَعَ عَنْ خَوْفِهِ هٰذا مُعْتَبِرًا إيَّاهُ عَدَمَ وَفاءٍ لِذِكْرى صَديقِهِ ، ثُمَّ فَضَّ ٱلظَّرْفَ فَوَجَدَ بِداخِلِهِ ظَرْفًا آخَرَ مَكْتوبًا عَلَيْهِ : « لا يُفْتَحُ إلَّا عِنْدَ مَوْتِ دُكْتُور هِنْري جيكِل أَوِ ٱخْتِفائِهِ . »

لَمْ يُصَدِّقْ أَتِرْسُون عَيْنَيْهِ . نَعَمْ ، إنّ عَلى ٱلظَّرْفِ كَلِمةَ « ٱخْتِفائِهِ » كَما في ٱلوَصيَّةِ ٱللَّعينةِ ٱلَّتي كانَ قَدْ أُعادَها مُنْذُ فَتْرةٍ طَويلةٍ إلى صاحِبِها . وَها هُوَ ذا يَرى ٱلآنَ كَلِمةَ « ٱختِفائِهِ » مَقْرونةً بِٱسمِ هِنْري جيكِل . ما مَعْنى هٰذِهِ ٱلكَلِمةِ ٱلآنَ وَهِيَ مَكْتوبةٌ بِيَدِ لانْيُون ؟ وَجَعَلَهُ ٱلفُضولُ يُفَكِّرُ في أَنْ يَتَجاهَلَ تَعْليماتِ صَديقِهِ لانْيُون ، وَأَنْ يَغوصَ في ٱلحالِ إلى أعْماقِ هٰذِهِ ٱلأَسْرارِ . وَلٰكِنَّ شَرَفَهُ كَمُحامٍ وَوَلاءَهُ لِذِكْرى صَديقِهِ مَنَعاهُ مِنْ أَنْ يُنَفِّذَ ما هَمَّ بِهِ . وَظَلَّتِ ٱلأَوْراقُ راقِدةً في أَقْصى رُكْنٍ مِنْ أَرْكانِ ٱلخَزينةِ .

مِنَ ٱلمَشْكوكِ فيهِ أَنْ يَكونَ أَتِرْسُون قَدْ شَعَرَ مُنْذُ ذٰلِكَ ٱليَوْمِ بِنَفْسِ ٱلرَّغْبةِ ٱلَّتي كانَتْ تَدْفَعُهُ مِنْ قَبْلُ لِأَنْ يَلْتَقيَ بِجيكِل . لَقَدْ كانَ يُفَكِّرُ فيهِ بِقَدْرٍ مِنَ ٱلعَطْفِ ، وَلٰكِنْ بِشَيْءٍ مِنَ ٱلقَلَقِ وَٱلخَوْفِ أَيْضًا . وَٱلحَقيقةُ أَنَّهُ ذَهَبَ لِزِيارَتِهِ وَلٰكِنَّهُ شَعَرَ بِٱلارْتياحِ عِنْدَما رَفَضَ جيكِل لِقاءَهُ . وَلَعَلَّ أَتِرْسُون — في قَرارةِ نَفْسِهِ — كانَ يُفَضِّلُ أَنْ يَتَحَدَّثَ مَعَ پُوول عَلى عَتَبةِ ٱلبابِ . وَلَمْ تَكُنِ ٱلأَخْبارُ ٱلَّتي يُقَدِّمُها پُوول سارَّةً ، ذٰلِكَ أَنَّ ٱلطَّبيبَ زادَ مِنْ بَقائِهِ في غُرْفَتِهِ ٱلصَّغيرةِ فَوْقَ ٱلمَعْمَلِ حَيْثُ كانَ يَنامُ كَذٰلِكَ في بَعْضِ ٱلأَحْيانِ . وَكانَ مَهْمومًا ، دائِمَ ٱلصَّمْتِ لا يَقْرَأُ كَعادَتِهِ . وَبَدا أَنَّ ثَمَّةَ شَيْئًا يُقْلِقُهُ . وَٱعتادَ أَتِرْسُون سَماعَ هٰذِهِ ٱلتَّقاريرِ ٱلَّتي لا تَتَغَيَّرُ في مَضْمونِها مِمَّا جَعَلَهُ يُقَلِّلُ تَدْريجيًّا مِنْ زِياراتِهِ

ما حَدَثَ عِنْدَ ٱلنّافِذةِ

ذاتَ يَوْمٍ مِنْ أَيّامِ ٱلآحادِ كانَ أَتِرْسُون يَقومُ بِنُزْهَتِهِ ٱلمُعْتادةِ بِصُحْبةِ إنْفِيلْد ، وَمَرّا بالطَّريقِ ٱلجانِبيِّ . وَعِنْدَما وَصَلا أَمامَ ٱلبابِ تَوَقَّفا وَأَخَذا يَنظُرانِ إلَيْهِ .

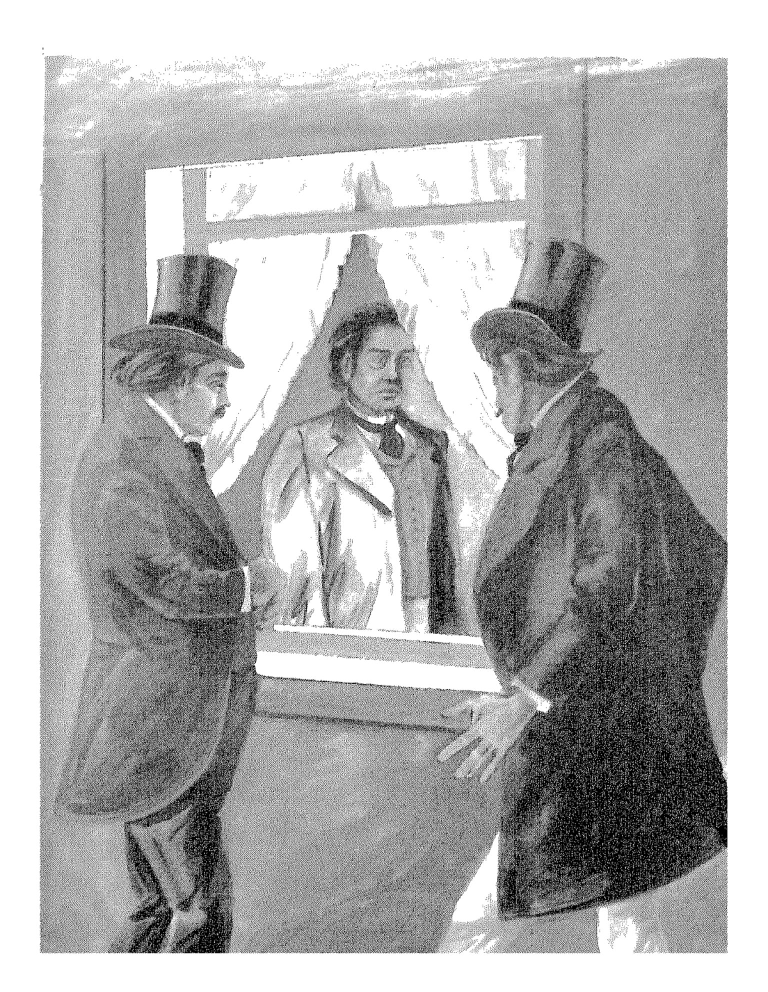
قالَ إنْفِيلْد : « حَسَنٌ ، لَقَدْ أُسْدِلَ ٱلسِّتارُ أَخيرًا عَلى تِلْكَ ٱلقِصَّةِ ، وَلَنْ نَرى مِسْتَر هايد مَرَّةً أُخرى . »

قالَ أَتِرْسُون : « آمُلُ ذٰلِكَ .. هَلْ سَبَقَ أَنْ ذَكَرْتُ لَكَ أَنَّني رَأَيْتُهُ ذاتَ يَوْمٍ ؟ لَقَدْ شَعَرْتُ بِما شَعَرْتَ أَنْتَ بِهِ مِنَ ٱشمِئزازٍ . »

قالَ إنْفِيلْد : « مِنَ ٱلمُسْتَحيلِ أَنْ تَراهُ دُونَ أَنْ يَنْتابَكَ الشُّعُور نَفْسُهُ . لا بُدَّ أَنَّكَ تَعَجَّبْتَ مِنْ غَبائي إذْ إنّي لَمْ أُدْرِكْ أَنَّ هٰذا هُوَ ٱلطَّريقُ ٱلخَلْفيُّ ٱلمُؤَدّي إلى مَنْزِلِ الدُّكْتُور جيكِل . إنَّكَ ٱلسَّبَبُ في ٱكتِشافي هٰذا ٱلطَّريقَ ٱلخَلْفيَّ . »

قالَ أَتِرْسُون : « مادُمْتَ قَدِ ٱكْتَشَفْتَ ذٰلِكَ فَهَيّا بِنا نَدْخُلُ ٱلفِناءَ وَنُلْقي نَظْرَةً عَلى نَوافِذِ ٱلمَبْنى ، فَٱلقَلَقُ في ٱلحَقِيقةِ يُساوِرُني بِشأْنِ جيكِل ٱلمِسْكِينِ . وَأَشْعُرُ أَنَّ وُجُودَ صَديقٍ لَهُ ، حَتّى وَإنْ كانَ خارِجَ ٱلمَنْزِلِ ، سَيَكُونُ في مَصْلَحَتِهِ . »

كانَ ٱلفِناءُ بارِدًا وَرَطْبًا بَعْضَ ٱلشَّيْءِ ، عَلى ٱلرَّغْمِ مِنْ أَنَّ ٱلسَّماءَ كانَتْ صافيةً تَتَلأْلأُ فيها شَمْسُ ٱلغُروبِ . وَكانَتِ ٱلنّافِذةُ ٱلوُسْطى نِصْفَ مَفْتوحةٍ



وَيَجْلِسُ بِجِوارِها دُكْتور جيكِل ، وَقَدْ بَدا مِثْلَ سَجينٍ أَخَذَ بِهِ ٱلحُزْنُ كُلَّ مَأْخَذٍ .

قالَ لَهُ أُتِرْسُون صائِحًا : « أَيْ جيكِل ، إِنَّني واثِقٌ أَنَّكَ بِخَيْرٍ . »

أَجابَهُ ٱلطَّبيبُ بِفُتورٍ : « أَنا في حالةٍ سَيِّئَةٍ لِلْغايةِ يا أُتِرْسُون .. سَيِّئَةٍ لِلْغايةِ ، وَلٰكِنْ لَنْ يَطولَ بي هٰذا ٱلحالُ وَٱلحَمْدُ لِلَّهِ . »

قالَ لَهُ المُحامي : « إِنَّكَ تُكْثِرُ مِنَ ٱلبَقاءِ داخِلَ ٱلبَيْتِ ، عَلَيْكَ أَنْ تَخْرُجَ وَتَتَنَزَّهَ كَما أَفْعَلُ أَنا وَإِنْفيلْد . هٰذا هُوَ مِسْتَر إِنْفيلْد قَريبي يا دُكْتور جيكِل . تَعالَ مَعَنا ٱلآنَ . اِلبَسْ قُبَّعَتَكَ وَلْنَتَنَزَّهْ مَعًا . »

تَنَهَّدَ ٱلطَّبيبُ وَقالَ : « إِنَّكَ طَيِّبُ ٱلقَلْبِ لِلْغايةِ . كَمْ كانَ بِوُدِّي أَنْ أَفْعَلَ ذٰلِكَ ، وَلٰكِنْ لا ، لا ، لا ! هٰذا مُسْتَحيلٌ ! لَسْتُ أَجْرُؤُ عَلى ذٰلِكَ . وَلٰكِنْ في ٱلحَقيقةِ يا أُتِرْسُون أَنا سَعيدٌ كُلَّ ٱلسَّعادةِ بِرُؤْيَتِكَ ، إِنَّ سُروري بِرُؤْيَتِكَ كَبيرٌ . وَكانَ بِوُدِّي أَنْ أَدْعُوَكَ وَمِسْتَر إِنْفيلْد لِلدُّخولِ لٰكِنَّ ٱلمَكانَ غَيْرُ مُناسِبٍ . »

رَدَّ عَلَيْهِ ٱلمُحامي بِرَحابةِ صَدْرٍ قائِلًا : « إِذًا فَخَيْرُ ما يُمْكِنُ عَمَلُهُ هُوَ أَنْ نَبْقى هُنا وَنَتَحَدَّثَ إِلَيْكَ . »

قالَ ٱلطَّبيبُ مُبْتَسِمًا : « هٰذا ما كُنْتُ أُوشِكُ أَنْ أَقْتَرِحَهُ . » وَلٰكِنْ ما كادَتِ ٱلكَلِماتُ تَخْرُجُ مِنْ فَمِهِ حَتَّى ٱخْتَفَتِ ٱلبَسْمةُ وَبَدَتْ مَلامِحُ فَزَعٍ وَيَأْسٍ عَنيفَيْنِ ٱرْتَعَدَ لَها أُتِرْسُون وَزَميلُهُ . وَلٰكِنَّهُما لَمْ يَرَيا هٰذِهِ ٱلمَلامِحَ إِلَّا

لِلَحْظةٍ واحِدةٍ ، إذْ سَرْعانَ ما أُغْلِقَتِ ٱلنّافِذةُ فَقَفَلا راجِعَيْنِ وَغادَرا ٱلفِناءَ دُونَ أَنْ يَتَفَوَّها بِكَلِمةٍ واحِدةٍ . وَسارا صامِتَيْنِ عَبْرَ ٱلشّارِعِ ٱلفَرْعيِّ وَلَمْ يَتَبادَلا ٱلنَّظَرَ إلّا بَعْدَ أَنْ وَصَلا إلى ٱلشّارِعِ ٱلمُجاوِرِ حَيْثُ كانَتِ ٱلحَياةُ تَدُبُّ حَتَّى في أَيّامِ ٱلآحادِ . لَقَدْ شَحَبَ وَجْهاهُما ، وَكانَتْ أَعْيُنُهُما تُعَبِّرُ عَنْ فَزَعٍ شَديدٍ .

قالَ أُتِرْسُون : « سامَحَنا ٱللّهُ ، سامَحَنا ٱللّهُ . »

أَمّا إنْفِيلْد فَقَدْ أَوْمَأَ بِرَأْسِهِ ، وَواصَلَ سَيْرَهُ صامِتًا .

اَللَّيْلَةُ ٱلأَخيرَةُ

كانَ أَتِرْسُون جالِسًا بِجِوارِ ٱلمِدْفأَةِ ذاتَ لَيْلةٍ عِنْدَما جاءَ پُوول لِزيارَتِهِ مِمَّا أَثارَ دَهْشَتَهُ فَصاحَ قائِلا : « ما ٱلَّذي جاءَ بِكَ يا پُوول ؟ ماذا وَراءَكَ ؟ هَلِ الطَّبيبُ مَريضٌ ؟ »

أَجابَهُ پُوول : « إنَّ بِٱلأَمْرِ شَيْئًا يا سيِّدُ أَتِرْسُون . »

فَقالَ لَهُ ٱلمُحامي : « تَفضَّلْ بِٱلجُلوسِ وَٱشرَبْ هٰذِهِ ٱلكَأْسَ مِنَ ٱلعَصيرِ . وَٱلآنَ قُلْ لي بِوُضوحٍ ما تُريدُ أَنْ تَقولَ ، وَلا تَتَعَجَّلْ فلَيْسَ هُناكَ ما يَدْعو إلى ٱلعَجَلةِ . »

قالَ پُوول : « أَنْتَ تَعْرِفُ عاداتِ ٱلدُّكْتُور يا سَيِّدي ، وَكَيْفَ يُغْلِقُ ٱلبابَ عَلَيْهِ وَيَظَلُّ حَبيسَ غُرْفَتِهِ . حَبَسَ نَفْسَهُ مَرَّةً أُخرى في ٱلمَعْمَلِ ، وَهٰذا أَمْرٌ لا أَرْتاحُ لَهُ . إنَّني خائِفٌ يا سَيِّدُ أَتِرْسُون . »

قالَ ٱلمُحامي : « أَيُّها ٱلرَّجُلُ ٱلطَّيِّبُ ، قُلْ لي بِوُضوحٍ ما ٱلَّذي يُخيفُكَ ؟ »

رَدَّ پُوول قائلًا : « لَقَدِ ٱعتَراني ٱلخَوْفُ مُنْذُ حَوالَى أُسْبوعٍ ، وَلَيْسَ في وُسْعي أَنْ أُبْقى عَلى هٰذا ٱلوَضْعِ أَكْثَرَ مِنْ ذٰلِكَ . »

وَكانَتْ مَلامِحُ ٱلرَّجُلِ تُعَبِّرُ بِوُضوحٍ عَنْ مَشاعِرِهِ تِلْكَ ، إذِ ٱزدادَ قَلَقُهُ وَٱرتِباكُهُ وَلَمْ يَنْظُرْ في وَجْهِ أَتِرْسُون إلَّا عِنْدَما أَعْلَنَ عَنْ مَشاعِرِ ٱلفَزَعِ ٱلَّتي

كانَ يُحِسُّ بِها . وَظَلَّ جالِسًا ، وَفي يَدِهِ كَأْسُ ٱلعَصيرِ دُونَ أَنْ يَأْخُذَ مِنْها رَشْفَةً واحِدَةً ، وَهُوَ شاخِصٌ بِبَصَرِهِ إلى رُكْنِ ٱلغُرْفَةِ مُرَدِّدًا قَوْلَهُ : « لَيْسَ في وُسْعي أَنْ أَحْتَمِلَ هٰذا ٱلوَضْعَ أَكْثَرَ مِنْ ذٰلِكَ . »

قالَ لَهُ ٱلمُحامي : « هَوِّنْ عَلَيْكَ يا پُوول . إنِّي أَرى أَنَّكَ عَلى صَوابٍ ، وَأَنَّ هُناكَ خَطَأً جَسيمًا . حاوِلْ أَنْ تُخْبِرَني بِهِ . »

قالَ پُوول بِصَوْتٍ يَخْنُقُهُ ٱلخَوْفُ : « أَعْتَقِدُ أَنَّ هُناكَ جَريمَةَ قَتْلٍ . »

صاحَ ٱلمُحامي وَقَدْ زادَ قَلَقُهُ وَغَضَبُهُ : « جَريمَةُ قَتْلٍ ؟ أَيُّ جَريمَةِ قَتْلٍ ؟ ماذا تَعْني أَيُّها ٱلرَّجُلُ ؟ »

فَأَجابَهُ قائِلا : « لَيْسَ في إمْكاني أَنْ أُوَضِّحَ لَكَ ، وَلٰكِنْ هَلَّا جِئْتَ مَعي لِتَرى بِنَفْسِكَ ؟ »

كان رَدُّ مِسْتَر أَتِرْسُون عَلى ذٰلِكَ ٱلإسْراعَ بِالنُّهوضِ وَٱرْتِداءَهُ مِعْطَفَهُ وَقُبَّعَتَهُ . وَلا حَظَ وَهُوَ يَفْعَلُ ذٰلِكَ عَلاماتِ ٱرْتياحٍ ظَهَرَتْ عَلى وَجْهِ پُوول إذْ وَضَعَ كَأْسَ ٱلعَصيرِ ٱلَّتي لَمْ يَشْرَبْ مِنْها شَيْئًا وَأَسْرَعَ وَراءَهُ .

عِنْدَما وَصَلا إلى ٱلبَيْتِ كانَ ٱلجَوُّ عاصِفًا مَليئًا بِٱلغُبارِ ، وَهُنا تَوَقَّفَ پُوول – ٱلَّذي كانَ يَسْبِقُ أَتِرْسُون بِخُطْوَةٍ أَوْ خُطْوَتَيْنِ – وَخَلَعَ مِعْطَفَهُ وَقُبَّعَتَهُ بِرَغْمِ ٱلجَوِّ ٱلقارِسِ ، وَأَخَذَ يُجَفِّفُ جَبْهَتَهُ بِمِنْديلٍ أَحْمَرَ . وَكانَ وَجْهُهُ شاحِبًا ، وَصَوْتُهُ أَجَشَّ مُضْطَرِبًا . قالَ : « ها نَحْنُ أُولاءِ قَدْ وَصَلْنا يا سَيِّدي . أَسْأَلُ ٱللهَ أَلَّا يَكونَ قَدْ وَقَعَ مَكْروهٌ . »

قالَ ٱلمُحامي : « أَتَمَنَّى ذٰلِكَ يا پُوول . »

عِنْدَئِذٍ طَرَقَ ٱلخادِمُ ٱلبابَ في حَذَرٍ ، فَٱنفَتَحَ جُزْءٌ مِنْهُ ، وَجاءَ صَوْتٌ مِنَ ٱلدَّاخِلِ يَسْأَلُ : « أَهٰذا أَنْتَ يا پُوول ؟ »

أَجابَ پُوول : « نَعَمْ أَنا ، كُلُّ شَيْءٍ عَلى ما يُرامُ . اِفتَحوا ٱلبابَ . »

كانَتِ ٱلقاعةُ عِنْدَما دَخَلَها أَتِرْسُون وَپُوول مُضاءةً بِمَصابيحَ ساطِعةٍ وَكانَتْ نارُ ٱلمِدْفأَةِ مُتَوَهِّجةً ، وَتَجَمَّعَ حَوْلَها كُلُّ خَدَمِ ٱلبَيْتِ . وَعِنْدَما رَأَتْ إِحْدى ٱلخادِماتِ أَتِرْسُون ٱنفَجَرَتْ في بُكاءٍ شَديدٍ ، وَصاحَتِ ٱلطَّاهيةُ قائِلةً : « الحَمْدُ لِلَّهِ ! إِنَّهُ ٱلسَّيِّدُ أَتِرْسُون . » ثُمَّ ٱندَفَعَتْ نَحْوَهُ وَكَأَنَّما تُريدُ أَنْ تَتَعَلَّقَ بِهِ لِيَحْمِيَها مِنْ مَكْروهٍ .

قالَ لَهُمْ أَتِرْسُون : « ما هٰذا ؟ هَلْ أَنْتُمْ هُنا ؟ هٰذا شَيْءٌ غَريبٌ جِدًّا ، وَغَيْرُ لائِقٍ . سَوْفَ يَسْتاءُ سَيِّدُكُمْ لِذٰلِكَ . »

قالَ پُوول : « إِنَّهُمْ جَميعًا خائِفونَ . » وَأَعْقَبَ ذٰلِكَ صَمْتٌ مُطْبِقٌ وَلَمْ يُنْكِرْ أَحَدٌ خَوْفَهُ ، أَوْ يَقُلْ شَيْئًا بِٱستِثْناءِ ٱلخادِمةِ ٱلَّتي واصَلَتْ بُكاءَها بِصَوْتٍ عالٍ .

فَقالَ لَها پُوول في صَوْتٍ غاضِبٍ يَنُمُّ عَنْ قَلَقِهِ : « اُصمُتي أَيَّتُها ٱلفَتاةُ . » وَٱلحَقيقةُ أَنَّهُ عِنْدَما بَدَأَتِ ٱلفَتاةُ بُكاءَها ، انْتَفَضوا فَزَعًا ، وَاتَّجَهوا نَحْوَ ٱلبابِ ٱلدَّاخِليِّ وَعَلى وُجوهِهِمْ عَلاماتُ ٱلفَزَعِ . ثُمَّ ٱتَّجَهَ پُوول نَحْوَ مُساعِدِ ٱلطَّبَّاخِ قائِلًا : « أَحْضِرْ لي شَمْعةً ، وَلْنَحْسِمِ ٱلأَمْرَ عَلى ٱلفَوْرِ . » ثُمَّ سَأَلَ أَتِرْسُون أَنْ يَتْبَعَهُ ، وَسارَ أَمامَهُ إِلى ٱلحَديقةِ ٱلدَّاخِلِيَّةِ . وَعِنْدَما ٱقتَرَبا مِنَ ٱلمَعْمَلِ قالَ : « الآنَ يا سَيِّدي أُريدُ مِنْكَ أَنْ تَقْتَرِبَ دُونَ أَنْ تُحْدِثَ أَيَّ

صَوْتٍ ، وَأَنْ تَسْمَعَ دُونَ أَنْ تُسْمَعَ . وَإذا حَدَثَ وَطُلِبَ مِنْكَ أَنْ تَدْخُلَ فَلا تَدْخُلْ . »

كادَ أَتِرْسُون أَنْ يَفْقِدَ تَماسُكَهُ ، وَلٰكِنْ سَرْعانَ ما ٱستَجْمَعَ شَجاعَتَهُ وَتَبِعَ پُوول إلى ٱلدَّرَجِ ٱلمُؤَدِّي لِلْمَعْمَلِ . وَهُناكَ أَشارَ إلَيْهِ پُوول أَنْ يَقِفَ إلى جانِبِ ٱلدَّرَجِ وَيَسْتَمِعَ إلى ما يَدورُ مِنْ حَديثٍ . أَمَّا هُوَ فَقَدْ وَضَعَ ٱلشَّمْعةَ وَصَعِدَ ٱلدَّرَجَ ثُمَّ طَرَقَ ٱلبابَ بِيَدٍ مُرْتَعِشةٍ قائِلًا : « إنَّ ٱلسَّيِّدَ أَتِرْسُون يُريدُ أَنْ يَراكَ يا سَيِّدي. » وَكانَ أَثْناءَ كَلامِهِ يُشيرُ بِحِدَّةٍ إلى أَتِرْسُون أَنْ يُرْهِفَ ٱلسَّمْعَ .

جاءَ صَوْتٌ مِنَ ٱلدَّاخِلِ يَقولُ : « قُلْ لَهُ لَنْ يُمْكِنَني أَنْ أَرى أَحَدًا . » وَكانَتْ نَبَراتُ ٱلصَّوْتِ تَنُمُّ عَنِ ٱلحُزْنِ ٱلشَّديدِ .

فَقالَ پُوول بِنَبْرةِ ٱلمُنْتَصِرِ : « شُكْرًا لَكَ يا سَيِّدي . » ثُمَّ أَخَذَ ٱلشَّمْعةَ وَقَفَلَ راجِعًا عَبْرَ ٱلفِناءِ إلى ٱلمَطْبَخِ ٱلكَبيرِ ، حَيْثُ كانَتِ ٱلنَّارُ قَدِ ٱنطَفَأَتْ ، وَأَخَذَتْ بَعْضُ ٱلخَنافِسِ تَدِبُّ عَلى ٱلأَرْضِ .

قالَ پُوول وَهُوَ يَنْظُرُ في عَيْنَيْ أَتِرْسُون : « سَيِّدي ، هَلْ كانَ هٰذا صَوْتَ ٱلدُّكْتُور ؟ »

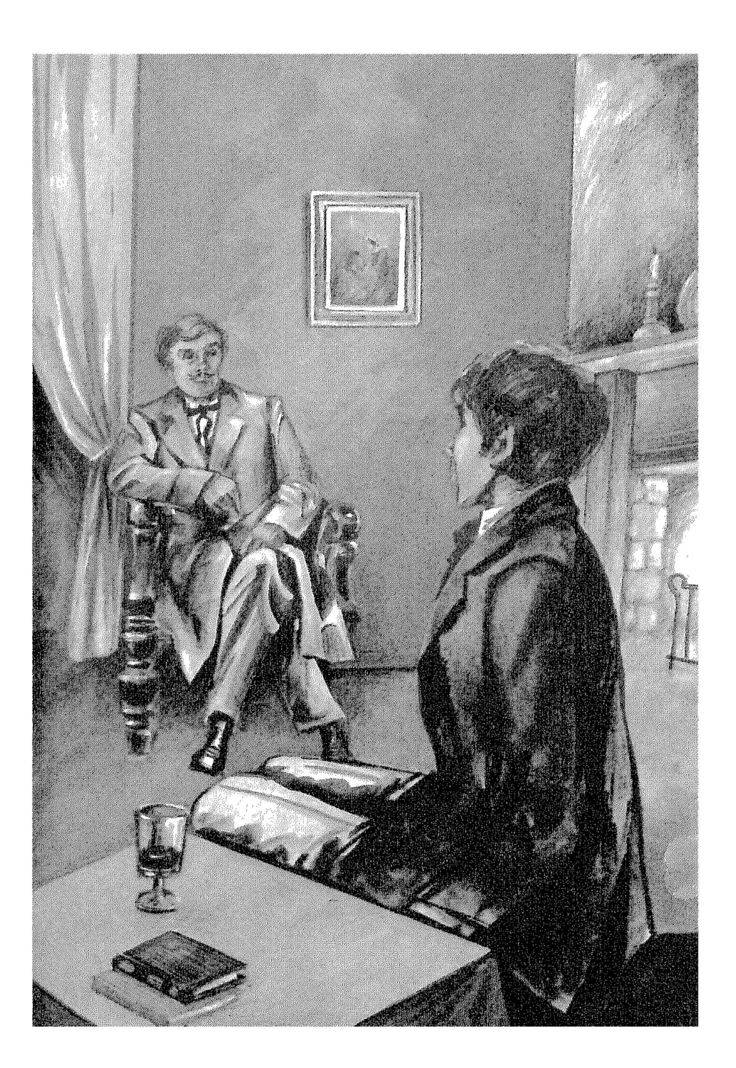
أَجابَهُ ٱلمُحامي : « يَبْدو أَنَّهُ قَدْ تَغَيَّرَ كَثيرًا . » وَكانَ ٱلمُحامي شاحِبَ ٱلوَجْهِ وَهُوَ يَنْظُرُ في عَيْنَيْ پُوول .

قالَ پُوول : « تَقولُ إنَّهُ تَغَيَّرَ ؟ حَسَنٌ ! هَلْ تَظُنُّ يا سَيِّدي أَنَّهُ لَيْسَ في وُسْعِي أَنْ أُمَيِّزَ صَوْتَ ٱلرَّجُلِ ٱلَّذي خَدَمْتُهُ عِشْرينَ سَنَةً ؟ لا يا سَيِّدي . لَقَدْ

قُضِيَ عَلى سَيِّدي . لَقَدْ قُضِيَ عَلَيْهِ مُنْذُ ثمانيةِ أَيَّامٍ عِنْدَما سَمِعْناهُ يَصيحُ وَيَسْتَغيثُ بِاللهِ . وَلا يَعْرِفُ إِلَّا ٱللهُ مَنْ ذٰلِكَ ٱلرَّجُلُ القابِعُ داخِلَ ٱلمَعْمَلِ بَدَلًا مِنْ سَيِّدي وَلِماذا يَبْقى هُناكَ . »

قالَ لَهُ أُتِرْسُون وَهُوَ يَعَضُّ إِصْبَعَهُ : « هٰذا ٱتِّهامٌ غَريبٌ وَخَطيرٌ يا پُوول ! لِنَفْرِضْ أَنَّ ٱلأَمْرَ كَما تَظُنُّ ، وَلْنَفْرِضْ أَنَّ ٱلدُّكْتُور جيكِل قَدْ قُتِلَ ، فَما ٱلَّذي يُغْري ٱلقاتِلَ بِٱلبَقاءِ ؟ إِنَّ ٱلِافْتِراضَ غَيْرُ مَنْطِقِيٍّ . إِنَّهُ لا يُعْقَلُ . »

رَدَّ عَلَيْهِ پُوول قائِلًا : « حَسَنٌ يا سَيِّدُ أُتِرْسُون ، سَوْفَ أُقْنِعُكَ عَلى ٱلرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ ٱلسَّهْلِ إِقْناعُكَ . فَلْتَعْلَمْ يا سَيِّدي أَنَّهُ طَوالَ ٱلأُسْبوعِ ٱلماضي ، كانَ ذٰلِكَ ٱلشَّخْصُ أَوْ ذٰلِكَ ٱلكائِنُ ٱلَّذي يَعيشُ في ٱلمَعْمَلِ يَصيحُ في ٱللَّيْلِ وَفي ٱلنَّهارِ طالِبًا نَوْعًا مِنَ ٱلعَقَّارِ دُونَ أَنْ يَحْصُلَ عَلَيْهِ . لَقَدِ ٱعْتادَ سَيِّدي في بَعْضِ ٱلأَحْيانِ أَنْ يَكْتُبَ لَنا أَوامِرَهُ وَيُلْقِيَ بِٱلوَرَقَةِ عَلى ٱلدَّرَجِ . وَطَوالَ ٱلأُسْبوعِ ٱلماضي لَمْ نَحْصُلْ مِنْهُ إِلَّا عَلى أَوْراقٍ مِنْ هٰذا ٱلنَّوْعِ دُونَ أَنْ يَفْتَحَ ٱلبابَ . وَكانَتْ وَجَباتُ ٱلطَّعامِ تُتْرَكُ بِٱلخارِجِ ثُمَّ تُؤْخَذُ إِلى ٱلدَّاخِلِ خِلْسَةً دُونَ أَنْ يَرى ذٰلِكَ أَحَدٌ . نَعَمْ يا سَيِّدي ، لَقَدْ كانَتْ هُناكَ أَوامِرُ مِنْ هٰذا ٱلنَّوْعِ كُلَّ يَوْمٍ ، بَلْ في بَعْضِ ٱلأَحْيانِ كانَتْ تِلْكَ ٱلأَوامِرُ تَصْدُرُ مَرَّتَيْنِ وَثَلاثَ مَرَّاتٍ في ٱليَوْمِ ٱلواحِدِ ، وَكُنْتُ أُسْرِعُ بِها إِلى كافَّةِ صَيْدَلِيَّاتِ ٱلمَدينَةِ . كُنْتُ كُلَّما أَحْضَرْتُ ٱلعَقَّارَ ٱلمَطْلوبَ كانَتْ تَصْدُرُ ٱلأَوامِرُ بِإِرْجاعِهِ لِأَنَّهُ غَيْرُ نَقِيٍّ ، وَبِأَنْ أَذْهَبَ إِلى جِهَةٍ أُخْرى لِشِرائِهِ . إِنَّ ٱلحاجَةَ إِلى هٰذا ٱلعَقَّارِ مُلِحَّةٌ يا سَيِّدي وَلا أَدْري لِماذا . »



سَأَلَهُ ٱلمُحامي : « أَ لَدَيْكَ إِحْدى هٰذِهِ ٱلأَوْراقِ ؟ » فَبَحَثَ پُوول في جَيْبِهِ ثُمَّ أَخْرَجَ وَرَقةً وَأَعْطى ٱلمُحامي إِيَّاها ، فَبَدَأَ في فَحْصِها بِعِنايةٍ عَلى ضَوْءِ ٱلشَّمْعةِ . وَكانَ بِٱلوَرَقةِ ما يَلي :

« يَتَقَدَّمُ ٱلدُّكْتُور جيكِل بِتَحِيَّتِهِ لِشَرِكةِ مو ، وَيُؤَكِّدُ لِلشَّرِكةِ أَنَّ ٱلعَقَّارَ ٱلَّذي أَرْسَلَتْهُ لَهُ غَيْرُ نَقِيٍّ ، وَلِهٰذا فَلَيْسَتْ لَهُ أَيَّةُ فائِدةٍ . لَقَدِ ٱشتَرى ٱلدُّكْتُور جيكِل في سَنةِ ـــ ١٨ كَمِّيَّةً كَبيرةً مِنْ هٰذا ٱلعَقَّارِ مِنْ شَرِكَتِكُمْ ، وَهُوَ يَرْجُوكُمُ ٱلآنَ أَنْ تَبْحَثوا بِكُلِّ عِنايةٍ عَنْ هٰذا ٱلعَقَّارِ ٱلنَّقِيِّ ، وَإِذا وَجَدْتُمْ أَيَّةَ كَمِّيَّةٍ مِنْهُ فَلْتُرْسِلُوها إِلَيْهِ عَلى ٱلفَوْرِ مَهْما كانَ ثَمَنُها . إِنَّ هٰذا ٱلعَقَّارَ ذو أَهَمِّيَّةٍ بالِغةٍ لِلدُّكْتُور جيكِل . »

وَإِلى هُنا كانَتْ لَهْجةُ ٱلخِطابِ مَعْقولةً وَلٰكِنْ أَعْقَبَتْ ذٰلِكَ بُقْعةُ حِبْرٍ ، وَٱنطَلَقَتْ مَشاعِرُ ٱلكاتِبِ لِيَقولَ : « بِٱللّٰهِ عَلَيْكُمْ ، ابحَثوا لي عَنْ شَيْءٍ مِنَ ٱلعَقَّارِ ٱلقَديمِ . »

قالَ أَتِرْسُون : « هٰذِهِ رِسالةٌ غَريبةٌ . » ثُمَّ سَأَلَهُ بِحِدَّةٍ : « كَيْفَ حَصَلْتَ عَلَيْها مَفْتوحةً ؟ »

فَأَجابَهُ پُوول : « لَقَدْ غَضِبَ ٱلمَسْئولُ في شَرِكةِ مُو عِنْدَ قِراءَتِها وَأَلْقاها ثانيةً إِلَيَّ كَما يُلْقي شَيْئًا قَذِرًا . »

فَسَأَلَهُ ٱلمُحامي : « هَلْ تَشُكُّ في أَنَّ هٰذا خَطُّ ٱلطَّبيبِ ؟ »

فَقالَ ٱلخادِمُ : « أَعْتَقِدُ أَنَّهُ يُشْبِهُهُ . وَلٰكِنْ ما قيمةُ ٱلخَطِّ ـــ لَقَدْ رَأَيْتُ ٱلرَّجُلَ . »

فَقالَ أَتِرْسُون : « رَأَيْتَهُ ؟ قُلْ لي كَيْفَ ؟ »

فَأَجابَ پُوول : « كانَ ذٰلِكَ عَلى ٱلنَّحْوِ ٱلآتي : دَخَلْتُ ٱلمَعْمَلَ فَجْأَةً مِنَ ٱلحَديقةِ . وَيَبْدو أَنَّهُ كانَ قَدْ تَسَلَّلَ إلى ٱلخارِجِ باحِثًا عَنْ هٰذا ٱلعَقَّارِ ، أَوْ عَنْ أَيِّ شَيْءٍ آخَرَ ، لِأَنَّ بابَ غُرْفَتِهِ كانَ مَفْتوحًا ، وَرَأَيْتُهُ في أَقْصى رُكْنٍ يُقَلِّبُ في ٱلصَّناديقِ وَيَبْحَثُ فيها . وَرَفَعَ نَظَرَهُ عِنْدَما دَخَلْتُ ثُمَّ أَطْلَقَ صَيْحةً غَريبةً ، وَٱنْدَفَعَ عَلى ٱلدَّرَجِ وَدَخَلَ غُرْفَتَهُ . لَقَدْ رَأَيْتُهُ لِمُدَّةٍ دَقيقةٍ واحِدةٍ ، وَكانَ مَنْظَرُهُ فَظِيعًا اقْشَعَرَّ لَهُ بَدَني . إذا كانَ هٰذا هُوَ سَيِّدي فَلِماذا كانَ يَضَعُ قِناعًا عَلى وَجْهِهِ ؟ إذا كانَ سَيِّدي فَلِماذا أَطْلَقَ تِلْكَ الصَّيْحةَ عِنْدَما رَآني ، وَفَرَّ هارِبًا مِنِّي كالفَأْرِ ٱلمَذْعورِ ؟ لَقَدْ قُمْتُ بِخِدْمَتِهِ لِمُدَّةٍ طَويلةٍ وَمَعَ ذٰلِكَ ... » ثُمَّ تَوَقَّفَ ٱلرَّجُلُ وَأَخَذَ يَمْسَحُ وَجْهَهُ بِيَدِهِ .

قالَ مِسْتَرأَتِرْسُون : « هٰذِهِ مُلابَساتٌ غَريبةٌ ، وَلٰكِنْ أَظُنُّ أَنَّ ٱلأُمورَ قَدْ بَدَأَتْ تَتَّضِحُ لي . مِنَ ٱلواضِحِ يا پُوول أَنَّ سَيِّدَكَ قَدْ أُصيبَ بِأَحَدِ هٰذِهِ ٱلأَمْراضِ ٱلَّتي تُؤْلِمُ وَتُشَوِّهُ ٱلمُصابَ بِها . وَرُبَّما كانَ ذٰلِكَ سَبَبَ ما حَدَثَ مِنْ تَغَيُّرٍ في صَوْتِهِ وَمِنْ وَضْعِ ٱلقِناعِ عَلى وَجْهِهِ ، وَتَجَنُّبِ لِقاءِ أَصْدِقائِهِ . وَهٰذا أَيْضًا سَبَبُ تَلَهُّفِهِ عَلى ذٰلِكَ ٱلدَّواءِ ٱلَّذي يَأْمُلُ ٱلمِسْكينُ عَنْ طَريقِهِ أَنْ يُحَقِّقَ ٱلشِّفاءَ . أَسْأَلُ ٱللَّهَ أَلَّا يُخَيِّبَ ظَنَّهُ – هٰذا هُوَ رَأْيِي . وَٱلأَمْرُ مُحْزِنٌ لِلْغايةِ يا پُوول وَفَظيعٌ حينَ تُفَكِّرُ فيهِ . وَلٰكِنَّهُ أَمْرٌ بَسيطٌ وَطَبيعيٌّ وَيُفَسِّرُ لَنا ماحَدَثَ ، كَما يُغْنينا عَنْ أَنْ تَسْتَبِدَّ بِنا ٱلمَخاوِفُ وَٱلأَوْهامُ . »

قالَ پُوول وَقَدِ ٱزْدادَ وَجْهُهُ ٱصْفِرارًا : « يا سَيِّدي ، إنَّ ٱلحَقيقةَ أَنَّ ذٰلِكَ

ٱلكائِنَ ٱلقابِعَ بِٱلمَعْمَلِ لَيْسَ سَيِّدي . إنَّ سَيِّدي ... » وَهُنا نَظَرَ پُوول حَوْلَهُ وَبَدَأَ يَهْمِسُ قائِلًا : « رَجُلٌ طَوِيلُ ٱلقامةِ ، أَمَّا هٰذا فَقَدْ كانَ أَقْرَبَ إلى ٱلأَقْزامِ . »

حاوَلَ أتِرْسُون مُقاطَعَتَهُ ، وَلٰكِنَّ پُوول صاحَ قائِلًا : « هَلْ تَظُنُّ يا سَيِّدَ أتِرْسُون أَنِّي لا أَعْرِفُ سَيِّدي بَعْدَ أَنْ قُمْتُ بِخِدْمَتِهِ عِشْرينَ سَنَةً ؟ هَلْ تَظُنُّ أَنِّي لا أَعْرِفُ طُولَ قامَتِهِ ، وَقَدْ كُنْتُ أَراهُ كُلَّ صَباحٍ طَوالَ حَياتي ؟ لا يا سَيِّدي ! إنَّ ذٰلِكَ ٱلكائِنَ ٱلَّذي يَرْتَدي ٱلقِناعَ لَيْسَ الدُّكْتُور جيكِل إطْلاقًا . إنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَنْ هُوَ ، وَلٰكِنَّهُ لَيْسَ الدُّكْتُور جيكِل أَبَدًا . وَإنِّي أَعْتَقِدُ بِكُلِّ وِجْداني أَنَّ جَريمَةَ قَتْلٍ قَدْ حَدَثَتْ . »

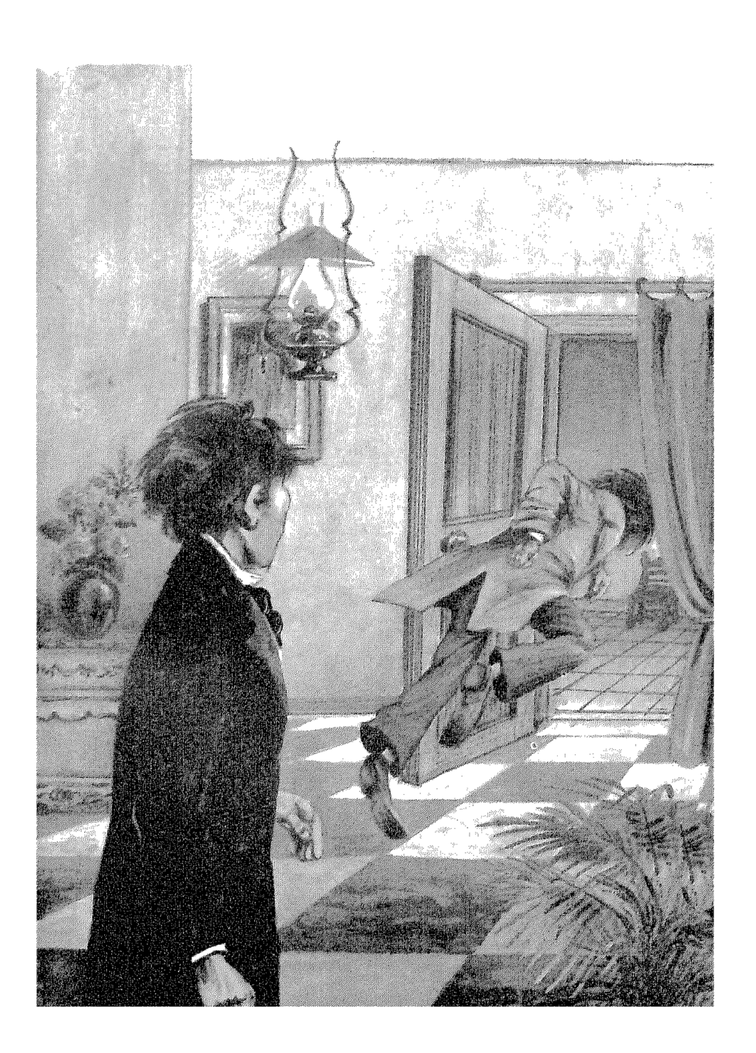
أَجابَهُ ٱلمُحامي قائِلًا : « يا پُوول ! إذا كُنْتَ مُصِرًّا عَلى هٰذا ٱلقَوْلِ فَمِنْ واجِبي أَنْ أَتَأَكَّدَ مِنْ صِحَّتِهِ . وَعَلى ٱلرَّغْمِ مِنْ أَنِّي أُحِبُّ أَنْ أُحافِظَ عَلى مَشاعِرِ سَيِّدِكَ ، وَمِنْ أَنَّ حَيْرَتي قَدِ ٱزْدادَتْ بَعْدَ قِراءَةِ هٰذِهِ ٱلرِّسالةِ ٱلَّتي تُفيدُ بِأَنَّهُ ما زالَ عَلى قَيْدِ ٱلحَياةِ ، إلَّا أَنِّي أَرى أَنْ نَقْتَحِمَ هٰذا ٱلبابَ . »

فَصاحَ پُوول : « هٰذا هُوَ ٱلقَوْلُ ٱلصَّحيحُ . »

فَرَدَّ عَلَيْهِ ٱلمُحامي : « وَٱلآنَ تُواجِهُنا مَسْأَلَةٌ ثانيةٌ : مَنِ ٱلَّذي سَيَقومُ بِذٰلِكَ ؟ »

أَجابَهُ پُوول بِشَجاعةٍ : « أَنا وَأَنْتَ يا سَيِّدي . »

قالَ ٱلمُحامي : « هٰكَذا ٱلشَّجاعةُ ! وَمَهْما كانَتْ نَتيجةُ ذٰلِكَ ٱلعَمَلِ فَسَيَكونُ مِنْ واجِبي أَنْ أُجَنِّبَكَ أَيَّ ضَرَرٍ قَدْ يَلْحَقُ بِكَ . »



قال بُوول : « هُناكَ بَلْطةٌ بِٱلمَعْمَلِ ، وَيُمْكِنُكَ أَنْ تُمْسِكَ بِهٰذا ٱلقَضيبِ ٱلحَديديِّ لِتَسْتَخْدِمَهُ عِنْدَ ٱلحاجةِ . »

فَأَمْسَكَ ٱلمُحامي بِذٰلِكَ ٱلسِّلاحِ ٱلبُدائيِّ ، وَأَخَذَ يَزِنُهُ وَيُحَرِّكُهُ ثُمَّ قالَ : «أَ تَعْرِفُ يا بُوول أَنَّنا نُوشِكُ أَنْ نَضَعَ نَفْسَيْنا في مَوْقِفٍ فيهِ بَعْضُ ٱلخُطورةِ ؟ »

فَقالَ بُوول : « هٰذا ٱحتِمالٌ قائِمٌ يا سَيِّدي . »

قالَ ٱلمُحامي : « لِهٰذا فَمِنَ ٱلأَفْضَلِ أَنْ نَكُونَ صَرِحاءَ . نَحْنُ ٱلاثْنَيْنِ لَدَيْنا مِنَ ٱلأَفْكارِ ما لَمْ نُعْلِنْهُ . فَلْيَقُلْ كُلٌّ مِنَّا ما عِنْدَهُ . ماذا عَنْ ذٰلِكَ ٱلشَّخْصِ ٱلمُقَنَّعِ ٱلَّذي رَأَيْتَهُ – هَلْ عَرَفْتَ مَنْ هُوَ ؟ »

أَجابَ بُوول : « في ٱلحَقيقةِ يا سَيِّدي أَنَّهُ ٱنصَرَفَ بِسُرْعةٍ كَبيرةٍ ، وَكانَ قَبْلَ ٱنصِرافِهِ مُنْحَنِيًا يَبْحَثُ في ٱلصَّناديقِ مِمَّا جَعَلَني لا أَتَبَيَّنُهُ . وَلٰكِنْ إذا كُنْتَ تَظُنُّ أَنَّهُ مِسْتَر هايد فَإِنّي أُوافِقُكَ . إنّي أَعْتَقِدُ أَنَّهُ مِسْتَر هايد . فَقَدْ كانَ لَهُ نَفْسُ ٱلقَوامِ ، وَنَفْسُ ٱلحَرَكةِ ٱلخَفيفةِ ؛ وَعِلاوةً عَلى ذٰلِكَ فَمَنْ غَيْرُهُ قادِرٌ عَلى دُخولِ ٱلمَنْزِلِ عَنْ طَريقِ بابِ ٱلمَعْمَلِ . هَلْ نَسيتَ يا سَيِّدي أَنَّ مِفْتاحَ ٱلمَعْمَلِ كانَ مَعَهُ عِنْدَ وُقوعِ حادِثةِ ٱلاغْتيالِ ؟ وَلٰكِنْ لَيْسَ هذا هُوَ كُلُّ ما عِنْدي . أَنا لا أَعْرِفُ يا سَيِّدُ أَتِرْسُون هَلْ قابَلْتَ مِسْتَر هايد هٰذا ؟ »

أَجابَ ٱلمُحامي : « نَعَمْ ، لَقَدْ تَحَدَّثْتُ مَعَهُ ذاتَ مَرَّةٍ . »

قالَ بُوول : « إذًا لا بُدَّ أَنَّكَ تَعْرِفُ كَما نَعْرِفُ جَميعًا أَنَّ بِالرَّجُلِ شَيْئًا

غَريبًا – شَيْئًا يَصْدِمُكَ . أَنا لا أَعْرِفُ كَيْفَ أَصِفُ ذٰلِكَ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ أَقولَ إِنَّكَ تُحِسُّ عِنْدَ رُؤْيَتِهِ بِقُشَعْريرةٍ تَسْري في جَسَدِكَ . »

قالَ أَتِرْسُون : « أَعْتَرِفُ بِأَنِّي أَحْسَسْتُ بِشَيْءٍ مِنْ هذا ٱلَّذي تَصِفُهُ . »

قالَ پُوول : « هٰذا صَحيحٌ يا سَيِّدي ، فَعِنْدَما قَفَزَ ذٰلِكَ ٱلكائِنُ ٱلمُقَنَّعُ مِنْ بَيْنِ صَناديقِ ٱلكيماوِيَّاتِ ، وَٱنْدَفَعَ كَٱلقِرْدِ لِيَدْخُلَ ٱلحُجْرةَ سَرَتْ تِلْكَ ٱلقُشَعْريرةُ بارِدةً كَٱلثَّلْجِ في عِظامي . أَنا أَعْرِفُ أَنَّ هٰذا لَيْسَ دَليلًا كافِيًا ياسَيِّدُ أَتِرْسُون ، فَلَدَيَّ مِنَ ٱلمَعْلوماتِ ٱلقانُونِيَّةِ ما يَجْعَلُني أَعْرِفُ ذلِكَ . وَلٰكِنْ لِلإِنْسانِ مَشاعِرُهُ ، وَأَنا أُقْسِمُ لَكَ أَنَّهُ مِسْتَر هايد . »

فَقالَ ٱلمُحامي : « إِنَّ مَخاوِفي تَأْخُذُ ٱلاتِّجاهَ نَفْسَهُ . تِلْكَ ٱلعَلاقةُ ٱلَّتي قامَتْ عَلى ٱلشَّرِّ لَنْ تُنْتِجَ إِلَّا شَرًّا . نَعَمْ ، في ٱلحَقيقةِ أَنا أُصَدِّقُكَ . وَأَعْتَقِدُ أَنَّ هِنْري ٱلمِسْكينَ قَدْ قُتِلَ ، وَأَنَّ قاتِلَهُ ما زالَ مُخْتَبِئًا في غُرْفَتِهِ ، وَلا يَعْلَمُ إِلَّا ٱللهُ سَبَبَ ٱخْتِفائِهِ فيها . وَمِنَ ٱلواجِبِ عَلَيْنا أَنْ نُمْسِكَ بِهِ . نادِ بْرادْشُو . »

جاءَ ٱلخادِمُ بْرادْشُو مُلَبِّيًا ٱلنِّداءَ ، وَكانَ شاحِبَ ٱلوَجْهِ يَرْتَعِدُ مِنَ ٱلخَوْفِ .

فَقالَ لَهُ ٱلمُحامي : « تَمالَكْ نَفْسَكَ يا بْرادْشُو . أَنا أَعْرِفُ أَنَّ هٰذا ٱلانْتِظارَ قَدْ نَهَكَ أَعْصابَكُمْ ، وَلٰكِنَّنا نُريدُ ٱلآنَ أَنْ نَضَعَ حَدًّا لَهُ . سَنَقومُ أَنا وَپُوول بِٱقْتِحامِ هٰذِهِ ٱلغُرْفةِ . وَإِذا سارَ كُلُّ شَيْءٍ عَلى ما يُرامُ فَسَوْفَ أَتَحَمَّلُ أَنا مَسْئوليَّةَ هٰذا ٱلعَمَلِ . وَلٰكِنْ عَلَيْنا أَنْ نَحْتَرِسَ خَشْيةَ أَنْ يَحْدُثَ خَطأٌ ، أَوْ يُحاوِلَ ٱلمُجْرِمُ ٱلهَرَبَ مِنَ ٱلبابِ ٱلخَلْفيِّ . لِهٰذا فَعَلَيْكَ أَنْتَ وَٱلصَّبيُّ أَنْ

تَذْهَبا إلى ٱلخَلْفِ ، وَتَتَّخِذا لَكُما مَوْقِعًا عِنْدَ ٱلبابِ ٱلخَلْفِيِّ لِلْمَعْمَلِ وَمَعَ كُلٍّ مِنْكُما عَصًا غَليظَةٌ . وَلَدَيْكُما عَشْرُ دَقائِقَ لِتَذْهَبا إلى هُناكَ . »

وَنَظَرَ ٱلمُحامي في ساعَتِهِ عِنْدَ ٱنصِرافِ بْرادْشُو ثُمَّ قالَ : « وَٱلآنَ فَلْنَذْهَبْ نَحْنُ إلى مَوْقِعِنا يابُوول . » وَأَخَذَ ٱلقَضيبَ ٱلحَديدِيَّ تَحْتَ إبِطِهِ ، ثُمَّ سارَ أَمامَ بُوول مُتَّجِهًا نَحْوَ ٱلمَعْمَلِ عَبْرَ ٱلفِناءِ . وَلَمَّا وَصَلا إلى هُناكَ جَلَسا صامِتَيْنِ يَنْتَظِرانِ . وَكانَ ضَجيجُ لَنْدَن يَصِلُ خافِتًا مِنْ حَوْلِهِما ، وَلا يَقْطَعُهُ إلَّا وَقْعُ أَقْدامٍ تَسيرُ جَيْئَةً وَذَهابًا داخِلَ غُرْفَةِ ٱلمَعْمَلِ .

فَهَمَسَ بُوول : « هٰكَذا سَتَسْتَمِرُّ هٰذِهِ ٱلأَقْدامُ في ٱلسَّيْرِ طَوالَ ٱلنَّهارِ ، وَٱلجُزْءَ ٱلأَكْبَرَ مِنَ ٱللَّيْلِ . وَلَنْ تَتَوَقَّفَ إلَّا عِنْدَما يَصِلُ عَقَّارٌ جَديدٌ مِنَ ٱلصَّيْدَلِيِّ . إنَّهُ ٱلضَّميرُ ٱلقَلِقُ ٱلَّذي لا يَسْتَريحُ . آهٍ يا سَيِّدي ، إنَّ كُلَّ خُطْوَةٍ مِنْ هٰذِهِ ٱلخُطُواتِ مُلَطَّخَةٌ بِٱلدِّماءِ ، وَلٰكِنِ ٱستَمِعْ جَيِّدًا وَقُلْ لي يا سَيِّدُ أَتِرْسُون : هَلْ هٰذا هُوَ وَقْعُ أَقْدامِ الدُّكْتُور جيكِل ؟ »

كانَ وَقْعُ ٱلأَقْدامِ خَفيفًا وَغَريبًا ، وَكَأَنَّهُ وَقْعُ أَقْدامِ شَخْصٍ أَعْرَجَ يَسيرُ بِبُطْءٍ . وَلِهٰذا فَقَدْ كانَ يَخْتَلِفُ دُونَ شَكٍّ عَنْ وَقْعِ أَقْدامِ الدُّكْتُور جيكِل ٱلَّذي كانَ وَقْعًا ثَقيلًا صاخِبًا .

تَنَهَّدَ أَتِرْسُون وَسَأَلَ بُوول : « هَلْ عِنْدَكَ دَليلٌ آخَرُ ؟ »

أَوْمَأَ بُوول بِالإِيجابِ وَقالَ : « لَقَدْ سَمِعْتُهُ ذاتَ مَرَّةٍ يَبْكي . »

فَقالَ ٱلمُحامي : « يَبْكي ؟ كَيْفَ كانَ ذٰلِكَ ؟ » وَأَحَسَّ بِقُشَعْريرَةٍ بارِدَةٍ تَسْري في جِسْمِهِ .

فَرَدّ عَلَيْهِ پُوول : « يَبْكي كَأَنَّهُ آمرأَةٌ ، أَوْ كَأَنَّهُ شَخْصٌ ضَلَّ طَريقَهُ في آلحَياةِ . لَقَدْ كانَ هٰذا شُعوري عِنْدَما سَمِعْتُهُ يَبْكي ، وَأَوْشَكْتُ أَنْ أَبْكِيَ أَنا أَيْضًا . »

كانَتِ آلدَّقائِقُ آلعَشرُ قَدِ آنتَهَتْ فَأَخْرَجَ پُوول آلبَلْطَةَ مِنْ تَحْتِ كَوْمةٍ مِنَ آلقَشِّ آلمُسْتَخْدَمِ في تَعْبِئةِ آلصَّناديقِ ، وَوَضَعَ آلشَّمْعةَ عَلى أَقْرَبِ مِنْضَدةٍ كَيْ تُنيرَ لَهُما آلطَّريقَ لِلْهُجومِ ، ثُمَّ اقْتَرَبَ أُتِرْسُون وَپُوول بِأَنْفاسٍ مُتَهَدِّجةٍ مِنْ ذٰلِكَ آلبابِ آلمُغْلَقِ آلَّذي كانَتْ وَراءَهُ تِلْكَ آلخُطُواتُ تَرُوحُ جَيْئةً وَذَهابًا في هَدْأَةِ آللَّيْلِ .

صاحَ أُتِرسُون بِصَوْتٍ عالٍ : « جيكِل ! أُريدُ أَنْ أَراكَ . » ثُمَّ تَوَقَّفَ لَحْظةً وَلٰكِنْ لَمْ يَحْظَ بِأَيِّ رَدٍّ فَواصَلَ صِياحَهُ : « أَنا أُنْذِرُكَ . نَحْنُ نَعْتَقِدُ أَنَّ شَيْئًا ما قَدْ حَدَثَ وَيَجِبُ أَنْ أَراكَ ، وَسَوْفَ أَراكَ لا مَحالةَ . وَإذا لَمْ يَتِمَّ ذٰلِكَ بِالطَّريقِ آلصَّحيحِ فَسَيَتِمُّ بِالطَّريقِ غَيْرِ آلصَّحيحِ . إذا لَمْ يَتِمَّ بِرِضاكَ فَسَيَكونُ بِآلقُوَّةِ آلغاشِمةِ . »

رَدَّ عَلَيْهِ آلصَّوْتُ قائِلًا : « أُتِرْسُون ! بِآللهِ عَلَيْكَ ، ارحَمْني . »

فَقالَ أُتِرْسُون : « آهٍ ! لَيْسَ هٰذا صَوْتَ جيكِل ! إنَّهُ صَوْتُ هايد ! فَلْنُحَطِّمِ آلبابَ يا پُوول . »

فَرَفَعَ پُوول آلبَلْطَةَ عالِيًا ، ثُمَّ ضَرَبَ آلبابَ بِعُنْفٍ فَآهتَزَّ آلمَبْنى مِنْ تَأْثيرِ ضَرْبَتِهِ ، وَآرتَجَّ آلبابُ لِشِدَّتِها ، وَدَوَّتْ مِنْ داخِلِ آلحُجْرةِ صَيْحةٌ مُرْعِبةٌ وَكَأَنَّها صَيْحةُ وَحْشٍ خائِفٍ . ثُمَّ آرْتَفعَتِ آلبَلْطةُ مَرَّةً ثانيةً وَثالِثةً وَرابِعةً



وَٱرتَجَّ ٱلبابُ في كُلِّ مَرَّةٍ . وَلٰكِنَّ ٱلخَشَبَ كانَ مِنَ ٱلنَّوْعِ ٱلقَويِّ ، وَٱلمُفَصّلاتِ مِنَ ٱلنَّوْعِ ٱلمُمْتازِ . وَفي ٱلضَّرْبَةِ ٱلخامِسةِ ٱنكَسَرَ ٱلقُفْلُ وَسَقَطَ حُطامُ ٱلبابِ داخِلَ ٱلغُرْفةِ .

عِنْدَئِذٍ تَراجَعَ ٱلمُهاجِمانِ قَليلًا ، وَقَدْ أَذْهَلَهُما ٱلعُنْفُ ٱلَّذي ٱستَخْدَماهُ وَٱلهُدوءُ ٱلَّذي أَعْقَبَ عَمَلِيَّةَ ٱقتِحامِ ٱلبابِ ، وَنَظَرا داخِلَ ٱلغُرْفةِ . ها هِيَ ذي ٱلغُرْفةُ هادِئةٌ في ضَوْءِ ٱلمِصْباحِ ، وَنارُ ٱلمِدْفأَةِ مُشْتَعِلةٌ وَإبْريقُ ٱلشَّاي يُرْسِلُ أَزيزَهُ ٱلخافِتَ ، وَهُناكَ دُرْجٌ أَوْ دُرْجانِ مَفْتوحانِ ، وَبَعْضُ ٱلأَوْراقِ مُرَتَّبةٌ بِعِنايةٍ عَلى ٱلمِنْضَدةِ ، وَإلى جِوارِ ٱلمِدْفأَةِ كانَتِ ٱلأَدَواتُ جاهِزةً لإعْدادِ ٱلشَّاي . وَيُمْكِنُ ٱلقَوْلُ إنَّها كانَتْ أَهْدَأَ غُرْفةٍ في لَنْدن ، وَأَكْثَرَها تَنْسيقًا وَنِظامًا .

وَفي وَسَطِ ٱلغُرْفةِ كانَتْ جُثَّةُ رَجُلٍ مُلْقاةً عَلى ٱلأَرْضِ ، فَاقْتَرَبا مِنْهُ عَلى أَطْرافِ أَصابِعِهِما ، وَقَلَباهُ عَلى ظَهْرِهِ . فَرَأَيا وَجْهَ إدْوارْد هايد وَقَدْ بَدَتْ عَلَيْهِ أَماراتُ ٱلأَلَمِ ٱلشَّديدِ . لَقَدْ كانَ مُرْتَديًا مَلابِسَ واسِعةً جِدًّا عَلَيْهِ .. مَلابِسَ في حَجْمِ ٱلدُّكْتُور جيكِل . وَكانَتْ قَسَماتُ وَجْهِهِ تَبْدو وَكَأَنَّها حَيَّةٌ ، وَلٰكِنَّ ٱلحَياةَ كانَتْ قَدْ فارَقَتِ ٱلجَسَدَ . وَأَدْرَكَ أُتِرْسُون – عِنْدَما رَأى ٱلقارورةَ ٱلمَكْسورةَ في يَدِ ٱلجُثَّةِ ٱلمُلْقاةِ ، وَشَمَّ ٱلرَّائِحةَ ٱلقَوِيَّةَ داخِلَ ٱلغُرْفةِ – أَنَّهُ يَنْظُرُ إلى جُثَّةِ رَجُلٍ قَدِ ٱنتَحَرَ .

قالَ : « لَقَدْ جِئْنا مُتَأَخِّرَيْنِ سَواءٌ أَكُنَّا نُريدُ ٱلإِنْقاذَ أَوِ ٱلعِقابَ . لَقَدْ ذَهَبَ هايد إلى حَيْثُ يَلْقى حِسابَهُ . وَلَمْ يَبْقَ لَنا إلَّا أَنْ نَجِدَ جُثَّةَ سَيِّدِكَ . »

وَبَدَآ يَفْحَصانِ ٱلمَكانَ بِكُلِّ عِنايةٍ ، وَلَمْ تَكُنْ أَيُّ غُرْفةٍ في حاجةٍ إلى أَكْثَرَ

مِنْ نَظْرةٍ واحِدةٍ ، إذْ إنَّ جَميعَ ٱلغُرَفِ كانَتْ خاليةً وَقَدْ ظَهَرَ مِنَ ٱلغُبارِ ٱلَّذي تَساقَطَ عِنْدَ فَتْحِ أَبْوابِها أَنَّها ظَلَّتْ مُغْلَقةً لِفَتْرةٍ طَويلةٍ . وَلَمْ يَجِدَا في أَيِّ مَكانٍ أَيَّ أَثَرٍ لِهِنْري جيكِل حَيًّا أَوْ مَيِّتًا .

دَقَّ پُول بِقَدَمِهِ أَرْضَ ٱلغُرْفةِ وَأَنْصَتَ ثُمَّ قالَ : « لا بُدَّ أَنَّهُ مَدْفونٌ هُنا . »

قالَ أَتِرْسُون : « أَوْ رُبَّما يَكونُ قَدْ هَرَبَ . » وَٱتَّجَهَ لِيَتَفَحَّصَ ٱلبابَ ٱلمُؤَدِّيَ إلى ٱلشَّارِعِ ٱلجانِبِيِّ . لٰكِنَّ ٱلبابَ كانَ مُغْلَقًا ، وَعِنْدَما بَحَثا إلى جِوارِهِ وَجَدا ٱلمِفْتاحَ وَقَدْ عَلاهُ ٱلصَّدَأُ ، فَقالَ ٱلمُحامي : « يَبْدو أَنَّ هٰذا ٱلمِفْتاحَ لَمْ يُسْتَخْدَمْ مُنْذُ زَمَنٍ . »

قالَ پُول : « أَلا تَرى يا سَيِّدي أَنَّهُ مَكْسورٌ ، كَما لَوْ كانَ شَخْصٌ قَدْ داسَ عَلَيْهِ فَكَسَرَهُ ؟ »

قالَ ٱلمُحامي : « آهٍ ، هٰذا صَحيحٌ ! وَٱلمِفْتاحُ مُغَطًّى بِالصَّدَإِ . »

تَبادَلَ ٱلرَّجُلانِ نَظْرةً فيها خَوْفٌ وَقَلَقٌ ، ثُمَّ واصَلَ أَتِرْسُون حَديثَهُ قائِلًا : « إنَّني لا أَفْهَمُ شَيْئًا يا پُول ، فَلْنَرْجِعْ إلى غُرْفةِ ٱلمَعْمَلِ . »

صَعِدا ٱلدَّرَجَ في صَمْتٍ وَبَدَآ يَفْحَصانِ مُحْتَوَياتِ ٱلغُرْفةِ بِدِقَّةٍ أَكْبَرَ وَهُما يَنْظُرانِ إلى ٱلجُثَّةِ ٱلمُلْقاةِ عَلى ٱلأَرْضِ مِنْ وَقْتٍ لِآخَرَ بِشَيْءٍ مِنَ ٱلفَزَعِ . وَكانَ عَلى إحْدى ٱلمَناضِدِ بَقايا بَعْضِ ٱلمَوادِّ ٱلكيماوِيَّةِ ، وَمَقاديرُ مُخْتَلِفةٌ مِنْ مادَّةٍ بَيْضاءَ وُضِعَتْ في أَطْباقٍ زُجاجِيَّةٍ صَغيرةٍ .

قالَ پُول : « هٰذا هُوَ ٱلعَقَّارُ نَفْسُهُ ٱلَّذي كُنْتُ أَذْهَبُ دائِمًا لِإحْضارِهِ

لَهُ . وَعِنْدَئِذٍ أَحْدَثَ إِبْريقُ ٱلشَّاي صَوْتًا مُفاجِئًا بِسَبَبِ غَلَيانِ ٱلماءِ فيهِ مِمَّا وَجَّهَ ٱنتباهَهُما إلى ٱلمِدْفأَةِ ، حَيْثُ كانَ قَدْ أُعِدَّ كُرْسِيٌّ وَثيرٌ وَوُضِعَتْ أَدَواتُ إِعْدادِ ٱلشَّاي إلى جِوارِهِ . وَكانَ ٱلسُّكَّرُ مَوْضوعًا في ٱلفِنْجانِ . وَكانَ عَلى أَحَدِ ٱلرُّفوفِ عَدَدٌ مِنَ ٱلكُتُبِ ، وَكانَ هُناكَ كِتابٌ مَفْتوحٌ بِجِوارِ أَدَواتِ ٱلشَّاي . وَقَدْ دَهِشَ أَتِرْسُون عِنْدَما وَجَدَ أَحَدَ ٱلكُتُبِ ٱلدِّينِيَّةِ ٱلَّتي كانَ جيكِل مُعْجَبًا بِها ، وَلٰكِنْ كانَ عَلى هَوامِشِ ٱلكِتابِ عِباراتُ كُفْرٍ وَإِلْحادٍ مَكْتوبَةٌ بِخَطِّ جيكِل نَفْسِهِ .

اِتَّجَهَتْ أَنْظارُهُما بَعْدَ ذٰلِكَ إلى ٱلمِرْآةِ ٱلطَّويلَةِ ، وَشاهَدا ، وَقَدِ ٱستَبَدَّ بِهِما ٱلرُّعْبُ ، ما تَعْكِسُهُ أَعْماقُ ٱلمِرْآةِ مِنْ صُوَرٍ . وَكانَتِ ٱلمِرْآةُ مَوْضوعَةً بِحَيْثُ لا تَعْكِسُ إِلَّا وَجْهَيْهِما ٱلشَّاحِبَيْنِ ، وَأَلْسِنَةَ ٱللَّهَبِ ٱلوَرْدِيِّ وَهِيَ تَتَراقَصُ في ٱلمِدْفَأَةِ وَتَنْعَكِسُ في صُوَرٍ وَأَشْكالٍ مُتَعَدِّدَةٍ عَلى ٱلواجِهاتِ ٱلزُّجاجِيَّةِ لِخَزائِنِ ٱلعَقاقيرِ .

هَمَسَ پُوول قائِلًا : « لَقَدْ شَهِدَتْ هٰذِهِ ٱلمِرْآةُ أَحْداثًا غَريبَةً يا سَيِّدي . »

قالَ ٱلمُحامي : « لَيْسَ هُناكَ أَغْرَبُ مِنْها ذاتِها ! ماذا كانَ يُريدُ جيكِل ؟ » وَهُنا أَصابَتْهُ رِعْدَةٌ عِنْدَ ذِكْرِ ٱسْمِ صَديقِهِ ، وَلٰكِنَّهُ ٱستَجْمَعَ شَجاعَتَهُ وَواصَلَ حَديثَهُ قائِلًا : « ماذا كانَ يُريدُ جيكِل عِنْدَما جاءَ بِها إلى هُنا . »

قالَ پُوول : « هٰذا هُوَ ٱلسُّؤالُ ! »

اِتَّجَها بَعْدَ ذٰلِكَ إلى مَكْتَبِ الدُّكْتور جيكِل فَوَجَدا أَكْوامًا مِنَ ٱلأَوْراقِ ٱلمُرَتَّبَةِ بِعِنايَةٍ ، وَعَلَيْها ظَرْفٌ كَبيرٌ مَكْتوبٌ عَلَيْهِ ٱسمُ أَتِرْسُون بِخَطِّ ٱلطَّبيبِ

نفسِهِ . فَضَّ ٱلمُحامي ٱلظَّرْفَ وَتَساقطَ مِنْهُ عَلى ٱلأَرْضِ عَدَدٌ مِنَ ٱلمُرْفَقاتِ ، وَكانَ أَوَّلها وصيَّةٌ مكْتوبةٌ بِنَفْسِ ٱلشُّروطِ ٱلغريبةِ وَٱلَّتي كانَ أتِرْسُون قَدْ أعادَها إلى ٱلطَّبيبِ مُنْذُ سِتَّةِ أشْهُرٍ ، وَلٰكِنْ مَكانَ ٱسمِ إدْوارْد هايد قَرَأَ ٱلمُحامِي — وَعَيْناهُ لا تُصَدِّقانِ ما يَرى — ٱسْمَ غابْرِييل جُون أتِرْسُون ، فَنَظَرَ إلى پُوول ثُمَّ إلى ٱلوَصيَّةِ مَرَّةً أُخْرى ، وَأخيرًا إلى جُثَّةِ ٱلرَّجُلِ ٱلمُمَدَّدةِ عَلى ٱلبِساطِ .

قال : « إنَّ رَأْسي تَدورُ . لَقَدْ كانَتْ هٰذِهِ ٱلوَصيَّةُ مَعَهُ كُلَّ هٰذِهِ ٱلأَيَّامِ ، وَلَيْسَ مِنْ سَبَبٍ يَدْعُوهُ لِأَنْ يُحِبَّني . وَلا بُدَّ أنَّهُ قَدْ شَعَرَ بِٱلغَضَبِ ٱلشَّديدِ لِتَهَجُّمي عَلَيْهِ ، وَمَعَ ذٰلِكَ فَلَمْ يُمَزِّقْ هٰذِهِ ٱلوَصيَّةَ . »

وَأَمْسَكَ ٱلمُحامي بِثانِيةِ ٱلمُرْفَقاتِ . لَقَدْ كانَتِ رِسالةً مُخْتَصَرةً بِخَطِّ ٱلطَّبيبِ وَفي أعْلاها تاريخُها . فَقالَ لِپُوول صائِحًا : « پُوول لَقَدْ كانَ سَيِّدُكَ حَيًّا وَفي هٰذِهِ ٱلغُرْفةِ ٱليَوْمَ . لَيْسَ مِنَ ٱلمُمْكِنِ أنْ يَكونَ أحَدٌ قَدْ تَخَلَّصَ مِنْهُ في مِثْلِ هٰذِهِ ٱلفَتْرةِ ٱلقَصيرةِ . لا بُدَّ أنَّهُ ما يَزالُ حَيًّا . لا بُدَّ أنَّهُ هَرَبَ . وَلٰكِنْ لِماذا يَهْرُبُ ؟ وَكَيْفَ يَهْرُبُ ؟ وَإذا قُلْتُ إنَّهُ هَرَبَ فَهَلْ يُمْكِنُنا ٱلقَوْلُ إنَّ هايد قَدِ ٱنتَحَرَ ؟ عَلَيْنا أنْ نَكُونَ في مُنْتَهى ٱلحَذَرِ ، وَإلَّا جَلَبْنا عَلى سَيِّدِكَ شَرًّا مُسْتَطيرًا . »

فَسَأَلَهُ پُوول : « لِماذا لا تَقْرَأُ ٱلرِّسالةَ يا سَيِّدي ؟ »

فَرَدَّ عَلَيْهِ ٱلمُحامي في لَهْجةٍ جافَّةٍ قائِلًا : « لِأَنِّي أخْشى ما فيها . أسْأَلُ ٱللهَ أَلَّا يَكونَ هُناكَ داعٍ لِهٰذا ٱلخَوْفِ . » ثُمَّ قَرَّبَ ٱلوَرَقةَ مِنْ عَيْنَيْهِ وَقَرَأَ ما يَلي :

« عَزيزي أتِرْسُون ،

عِنْدَما تَقَعُ هٰذِهِ ٱلوَرَقةُ في يَدِكَ سَأَكُونُ قَدِ ٱختَفَيْتُ في ظُروفٍ لَيْسَ في وُسْعي أَنْ أَتَكَهَّنَ بِها . وَلٰكِنَّ مَشاعِري وَٱلظُّروفَ ٱلمُحيطةَ بِمَوْقِفي ٱلغَريبِ هٰذا تَجْعَلُني أَقولُ إِنَّ ٱلنِّهايةَ آتيةٌ لا مَحالةَ وَإِنَّها قَدْ دَنَتْ . اِذْهَبْ وَٱقْرَإِ ٱلقِصَّةَ ٱلَّتي قالَ لي لانْيُون إِنَّهُ سَوْفَ يَضَعُها بَيْنَ يَدَيْكَ . وَإِذا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ ٱلمَزيدَ فَٱقْرَإِ ٱعتِرافاتِ صَديقِكَ ٱلبائِسِ ٱلَّذي لا يَسْتَحِقُّ صَداقَتَكَ .

هِنْري جيكِل »

قالَ أتِرْسُون : « لَقَدْ كانَتِ ٱلمُرْفَقاتُ ثَلاثًا ، فَأَيْنَ ٱلثّالِثةُ ؟ »

أَجابَهُ پُوول : « ها هِيَ ذي يا سَيِّدي . » وَأَعْطاهُ رَبْطةً مَخْتومةً في عِدَّةِ أَماكِنَ . فَوَضَعَها ٱلمُحامي في جَيْبِهِ قائِلًا : « لا تَقُلْ شَيْئًا عَنْ هٰذِهِ ٱلرِّسالةِ . إِذا كانَ سَيِّدُكَ هَرَبَ أَوْ قُتِلَ فَفي وُسْعِنا – عَلى ٱلأَقَلِّ – أَنْ نُحافِظَ عَلى سُمْعَتِهِ . إِنَّ ٱلسّاعةَ ٱلآنَ ٱلعاشِرةُ ، وَعَلَيَّ أَنْ أَذْهَبَ إِلى ٱلبَيْتِ وَأَقْرَأَ هٰذِهِ ٱلأَوْراقَ في هُدوءٍ ، وَلٰكِنّي سَأَعودُ قَبْلَ مُنْتَصَفِ ٱللَّيْلِ لِنُرْسِلَ في طَلَبِ ٱلشُّرْطةِ . »

ثُمَّ خَرَجا وَأَغْلَقا بابَ ٱلمَعْمَلِ وَراءَهُما . وَمَرَّ أتِرْسُون مَرَّةً أُخرى بَيْنَ ٱلخَدَمِ ٱلمُجْتَمِعينَ حَوْلَ ٱلمِدْفأَةِ ، وَسارَ إِلى بَيْتِهِ حَزينًا كَيْ يَقْرَأَ ٱلوَثيقَتَيْنِ ٱللَّتَيْنِ سَوْفَ تُزيلانِ ما شابَ هٰذِهِ ٱلأَحْداثَ مِنْ غُموضٍ .

اَلقِصَّةُ كَما رَواها دُكْتُور لانْيُون

في آليَوْمِ آلتَّاسِعِ مِنْ يَنايِر سنة — ١٨ ، أَيْ مُنْذُ أَرْبَعةِ أَيَّامٍ ، تَلَقَّيْتُ بِبَريدِ آلمَساءِ خِطابًا مُسَجَّلًا مُرْسَلًا مِنْ صَديقي وَزَميلِ آلدِّراسةِ آلقَديمِ هِنْري جيكِل . فَآندَهَشْتُ كَثيرًا ، لِأَنَّنا لَمْ نَعْتَدْ مِنْ قَبْلُ أَنْ نَتَراسَلَ ، فَضْلًا عَنْ أَنِّي كُنْتُ قَدْ رَأَيْتُهُ وَتناوَلْتُ آلعَشاءَ مَعَهُ في آللَّيْلةِ آلسَّابقةِ . وَلِهٰذا لَمْ أَتَخَيَّلْ وُجودَ سَبَبٍ يَدْعُوهُ لِأَنْ يُرْسِلَ لي خِطابًا مُسَجَّلًا . أَمَّا مُحْتَوَياتُ آلخِطابِ فَقَدْ زادَتْ مِنْ دَهْشَتِي . وَإِلَيْكَ ما جاءَ بِهِ :

« ١٠ ديسمْبر سنة — ١٨

« عَزيزي لانْيُون ،

أَنْتَ مِنْ أَقْدَمِ أَصْدِقائي . وَعَلى آلرَّغْمِ مِنْ أَنَّنا قَدِ آختَلَفْنا أَحيانًا حَوْلَ بَعْضِ آلمَوْضوعاتِ آلعِلْمِيَّةِ ، فَإِنَّني لا أَذْكُرُ قَطُّ أَنَّ مَحَبَّتَنا قَدْ تَأَثَّرتْ بِذٰلِكَ — أَقولُ هٰذا بِالنِّسْبةِ لي عَلى آلأَقَلِّ . وَلَوْ تَخَيَّلْنا أَنَّهُ جاءَ يَوْمٌ تَقولُ لي فيهِ يا جيكِل إِنَّ حَياتي وَشَرَفي وَقُدْرَتي عَلى آلتَّفْكيرِ آلسَّليمِ تَتَوَقَّفُ جَميعًا عَلى مُساعَدَتِكَ لي لَبادَرْتُ في آلحالِ وَضَحَّيْتُ بِكُلِّ ما أَمْلِكُ ، وَبِيَدي ذاتِها ، لِمُساعَدَتِكَ . وَأَنا أَقولُ لَكَ بِدَوْري يا لانْيُون إِنَّ حَياتي وَشَرَفي وَقُدْرَتي عَلى آلتَّفْكيرِ آلسَّليمِ هِيَ كُلُّها تَحْتَ رَحْمَتِكَ . وَإِذا تَخَلَّيْتَ عَنِّي هٰذِهِ آللَّيْلةَ فَسَوْفَ أَضيعُ .

« أُريدُ مِنْكَ أَنْ تُؤَجِّلَ جَميعَ آلتِزاماتِكَ وَمَواعيدِكَ هٰذِهِ آللَّيْلةَ حَتَّى إِنْ كُنْتَ مَطْلوبًا لِعِيادةِ أَحَدِ آلأَباطِرةِ . وَأَنْ تُؤَجِّرَ عَرَبةً ، وَتَأْخُذَ هٰذا آلخِطابَ

مَعَكَ لِتَرْجِعَ إلَيْهِ ثُمَّ تَتَّجِهُ رَأْسًا إلى بَيْتي . وَقَدْ أَصْدَرْتُ أوامِري إلى پُوول رَئيسِ خَدَمي ، وَسَوْفَ تَجِدُهُ في ٱنتِظارِكَ وَمَعَهُ صانِعُ مَفاتيحَ . وَعَلَيْكُمْ أَنْ تَفْتَحوا بابَ غُرْفَتي بِٱلمَعْمَلِ ، وَأَنْ تَدْخُلَها أَنْتَ بِمُفْرَدِكَ وَتَفْتَحَ بابَ ٱلخَزينةِ ٱلزُّجاجيَّ ٱلمَكْتوبَ عَلَيْهِ ٱلحَرْفُ (أ) مِنْ ناحيةِ ٱليَسارِ ، وَأَنْ تَكْسِرَ ٱلقُفْلَ إذا كانَتِ ٱلخَزينةُ مُغْلَقةً ، ثُمَّ تُخْرِجَ ٱلدُّرْجَ ٱلرَّابعَ مِنْ أَعْلى بِكُلِّ ما فيهِ دُونَ أَيِّ تَغْييرٍ – وَهُوَ نَفْسُهُ ٱلدُّرْجُ ٱلثَّالِثُ مِنْ أَسْفَلُ . إنَّني أَخْشَى – وَأَنا أُعاني حاليًا مِنَ ٱلارْتِباكِ ٱلذِّهْنيِّ – أَنْ أُسيءَ تَوْجيهَكَ . وَلٰكِنَّكَ سَوْفَ تَعْرِفُ ٱلدُّرْجَ ٱلمَطْلوبَ بِما فيهِ مِنْ مُحْتَوَياتٍ . فَفيهِ بَعْضُ ٱلمَساحيقِ وَقِنِّينةٌ زُجاجيَّةٌ صَغيرةٌ وَكِتابٌ . أَرْجُوكَ أَنْ تَحْمِلَ مَعَكَ هٰذا ٱلدُّرْجَ إلى مَيْدانِ كاڤِنْدِيش كَما هُوَ دُونَ أَنْ تُحْدِثَ فِيهِ أَيَّ تَغْييرٍ .

« هٰذا هُوَ ٱلجُزْءُ ٱلأَوَّلُ مِنَ ٱلخِدْمةِ ٱلَّتي أَرْجُوها مِنْكَ ، أَمَّا عَنِ ٱلخِدْمةِ ٱلثَّانيةِ فَهِيَ كَما يَلي : إذا بَدَأْتَ تَنْفيذَ ما طَلَبْتُهُ مِنْكَ بِمُجَرَّدِ ٱستِلامِكَ هذا ٱلخِطابَ فَسَوْفَ تَتَمَكَّنُ مِنَ ٱلعَوْدةِ قَبْلَ مُنْتَصَفِ ٱللَّيْلِ وَأَنْ تُدْخِلَ بِنَفْسِكَ إلى بَيْتِكَ رَجُلًا سَوْفَ يُخْبِرُكَ أَنَّهُ مُرْسَلٌ مِنْ طَرَفي وَتُعْطيهِ ٱلدُّرْجَ ٱلَّذي أَحْضَرْتَهُ مِنْ غُرْفَتي . وَبِذٰلِكَ تَكُونُ قَدْ قُمْتَ بِدَوْرِكَ ، وَٱستَحْقَقْتَ شُكْري ٱلجَزيلَ وَعِرْفاني لَكَ بِٱلجَميلِ . وَإذا كُنْتَ مُصِرًّا عَلى تَوْضيحِ ما لابَسَ هٰذِهِ ٱلمُهِمَّةَ مِنْ غُموضٍ فَسَوْفَ تُدْرِكُ – بَعْدَ مُرورِ خَمْسِ دَقائقَ عَلى إنْجازِها – أَنَّ هٰذِهِ ٱلتَّرْتيباتِ عَلى ٱلرَّغْمِ مِنْ غَرابَتِها ذاتُ أَهَمِّيَّةٍ بالِغةٍ ، وَأَنَّ إهْمالَ أَيِّ جُزْءٍ مِنْها سَيُؤَدِّي إلى وَفاتي أَو ٱختِلالِ قُدْراتي ٱلعَقْليَّةِ ، وَأَنَّكَ سَتَكُونُ ٱلمَسْئولَ عَمَّا حَدَثَ .

« وَعَلى ٱلرَّغْمِ مِنْ ثِقَتي بِأَنَّكَ سَوْفَ تَسْتَجيبُ لِهٰذا ٱلرَّجاءِ فَإِنَّ قَلْبي يَخْفِقُ وَيَدَيَّ تَرْتَجِفانِ لِمُجَرَّدِ ٱلتَّفْكيرِ في ٱحتِمالِ عَدَمِ ٱستِجابَتِكَ لَهُ . فَكِّرْ في هٰذِهِ ٱللَّحْظَةِ وَأَنا في مَكانٍ غَريبٍ أُعاني مِنَ ٱلكَرْبِ ٱلشَّديدِ . وَمَعَ ذٰلِكَ فَأَنا واثِقٌ أَنَّكَ لَوْ قَدَّمْتَ لي هٰذِهِ ٱلخِدْمةَ فَسَوْفَ يَنْقَشِعُ هٰذا ٱلكَرْبُ ، وَتَزولُ عَنّي تِلْكَ ٱلمَتاعِبُ ، وَكَأَنَّها قِصَّةٌ قَديمَةٌ عَفاها ٱلزَّمَنُ . أُخدُمْني يا عَزيزي لانْيُون وَأَنْقِذْ صَديقَكَ .

هـ . ج . »

« مَلْحوظَةٌ : بَعْدَ أَنْ أَغْلَقْتُ هٰذا ٱلخِطابَ خَطَرَ بِبالي أَنَّهُ مِنَ ٱلمُحْتَمَلِ أَلَّا يُسْعِفَني ٱلبَريدُ فَلا يَصِلُكَ هٰذا ٱلخِطابُ إِلَّا في صَباحِ ٱلغَدِ . وَفي هٰذِهِ ٱلحالَةِ يا عَزيزي لانْيُون قُمْ بِما طَلَبْتُهُ مِنْكَ في ٱلوَقْتِ ٱلَّذي يُناسِبُكَ أَثْناءَ ٱلنَّهارِ ، ثُمَّ تَوَقَّعْ حُضورَ رَسُولي عِنْدَ مُنْتَصَفِ ٱللَّيْلِ . رُبَّما يَنْجُمُ عَنْ ذٰلِكَ ضَياعُ ٱلفُرْصَةِ . أَمّا إِذا مَرَّتِ ٱللَّيْلَةُ ٱلثّانيةُ دُونَ أَنْ يَحْدُثَ شَيْءٌ فَٱعلَمْ أَنَّكَ قَدْ أَدْرَكْتَ نِهايَةَ صَديقِكَ هِنْري جيكِل . »

« عِنْدَما قَرَأْتُ هٰذا ٱلخِطابَ تَأَكَّدْتُ أَنَّ صَديقي قَدْ جُنَّ . وَلٰكِنّي وَجَدْتُ أَنَّ مِنْ واجِبي أَنْ أُنَفِّذَ ما طَلَبَهُ مِنّي إِلى أَنْ يَثْبُتَ لي دُونَ أَدْنى شَكٍّ أَنَّهُ قَدْ أُصيبَ بِٱلجُنونِ . إِنَّ عَدَمَ فَهْمي لِهٰذِهِ ٱلرِّسالَةِ ٱلغَريبَةِ جَعَلَني غَيْرَ قادِرٍ عَلى فَهْمِ مَدى أَهَمِّيَّتِها ، وَلٰكِنْ لَيْسَ مِنَ ٱلمُمْكِنِ أَنْ يُهْمِلَ شَخْصٌ رَجاءً صيغَ بِمِثْلِ هٰذِهِ ٱلعِباراتِ . لِهٰذا غادَرْتُ مَكْتَبي ، وَٱستَدْعَيْتُ عَرَبَةً ثُمَّ ذَهَبْتُ بِها في ٱلحالِ إِلى مَنْزِلِ ٱلدُّكْتُور جيكِل . وَكانَ رَئيسُ ٱلخَدَمِ في ٱنتِظاري ، إِذْ كانَ قَدْ تَسَلَّمَ في نَفْسِ ٱلبَريدِ خِطابًا مُسَجَّلًا بِهِ ٱلتَّعْليماتُ ٱلخاصَّةُ بِهِ ، وَأَرْسَلَ فَوْرًا

في طَلَبِ صانِعِ مَفاتيحَ وَنَجّارٍ . وَجاءَ ٱلعامِلانِ وَنَحْنُ نَتَحَدَّثُ فَٱتَّجَهْنا جَميعًا نَحْوَ ٱلمَعْمَلِ . كانَ بابُ ٱلغُرْفةِ قَويًّا ، وٱلقُفْلُ مُمْتازًا ، فَقالَ ٱلنَّجّارُ إنَّهُ سَيَجِدُ صُعوبةً كَبيرةً في فَتْحِ ٱلبابِ ، وَسَيُلْحِقُ بِهِ ضَرَرًا بالِغًا إذا ٱستَخْدَمَ ٱلقُوَّةَ في فَتْحِهِ . أَمّا صانِعُ ٱلمَفاتيحِ فَقَدْ كادَ ٱليَأْسُ أَنْ يَتَمَلَّكَهُ ، وَلٰكِنَّهُ كانَ عامِلًا ماهِرًا وَنَجَحَ بَعْدَ مُرورِ ساعَتَيْنِ في أَنْ يَفْتَحَ ٱلبابَ .

« فَتَحْتُ بَعْدَ ذٰلِكَ ٱلخَزينةَ ٱلَّتي عَلَيْها ٱلحَرْفُ (أ) وَأَخْرَجْتُ ٱلدُّرْجَ ٱلمَطْلوبَ ، وَمَلَأْتُهُ بِٱلقَشِّ ، ثُمَّ رَبَطْتُهُ وَلَفَفْتُهُ بِٱلوَرَقِ ، وَعُدْتُ بِهِ إلى بَيْتي .

« أَخَذْتُ أَفْحَصُ مُحْتَوَياتِهِ ، فَوَجَدْتُ ٱلمَساحيقَ مَصْنوعةً بِعِنايةٍ ، وَلٰكِنْ لَيْسَ بِمَهارةِ ٱلصَّيْدَليِّ ؛ وَلِهٰذا فَقَدْ بَدا واضِحًا أَنَّها كانَتْ مِنْ صُنْعِ جيكِل . وَعِنْدَما فَتَحْتُ أَحَدَ الظُّروفِ وَجَدْتُ ما بَدا لي مِلْحًا عاديًّا أَبْيَضَ ٱللَّوْنِ . ثُمَّ نَظَرْتُ إلى ٱلقِنِّينةِ فَوَجَدْتُها مَمْلوءةً إلى مُنْتَصَفِها بِسائِلٍ في حُمْرةِ ٱلدَّمِ . أَمّا ٱلكِتابُ فَلَمْ يَكُنْ غَيْرَ مُفَكِّرةٍ عاديَّةٍ ، وَلَمْ يَكُنْ مَكْتوبًا بِها غَيْرُ قائِمةِ تَواريخَ . وَكانَتْ هٰذِهِ ٱلتَّواريخُ تُغَطّي عِدَّةَ سِنينَ ، وَلٰكِنّي لاحَظْتُ أَنَّ ٱلكِتابةَ تَوَقَّفَتْ مُنْذُ عامٍ تَقْريبًا وَأَنَّها تَوَقَّفَتْ فَجْأَةً . وَكانَتْ هُناكَ مَلْحوظةٌ تُضافُ أَمامَ بَعْضِ ٱلتَّواريخِ مِنْ وَقْتٍ لِآخَرَ ، وَلَمْ تَكُنْ تِلْكَ ٱلمَلْحوظةُ تَعْدو – في مُعْظَمِ ٱلأَحْوالِ – كَلِمةً واحِدةً هِيَ كَلِمةُ « مَرَّتَيْنِ » . وَقَدْ وَرَدَتْ هٰذِهِ ٱلكَلِمةُ في حَوالَي سِتِّ مَرّاتٍ مِنْ بَيْنِ عِدَّةِ مِئاتٍ مِنَ ٱلتَّواريخِ . وَكانَتْ هُناكَ عِبارةٌ أُخْرى وَرَدَتْ في تاريخٍ مُبَكِّرٍ وَأَعْقَبَتْها عِدَّةُ عَلاماتِ تَعَجُّبٍ ، وَهِيَ عِبارةُ « إخْفاقٌ كامِلٌ » ، وَلٰكِنَّ هٰذِهِ ٱلعِبارةَ لَمْ تَتَكَرَّرْ بَعْدَ ذٰلِكَ .

« عَلى ٱلرَّغْمِ مِنْ أَنَّ هٰذا كُلَّهُ قَدْ زادَ مِنْ فُضُولي فَإِنَّهُ لَمْ يُفِدْني كَثيرًا ، إِذْ كَيْفَ يَنْجُمُ عَنْ وُجودِ هٰذِهِ ٱلأَشْياءِ في بَيْتي أَيُّ أَثَرٍ عَلى شَرَفِ ٱلدُّكْتُور جيكِل أَو سَلامةِ عَقْلِهِ أَوْ حَياتِهِ ؟ وَإِذا كانَ في ٱستِطاعةِ رَسُولِهِ أَنْ يَأْتِيَ إِلىٰ بَيْتي فَلِماذا لا يَسْتَطيعُ أَنْ يَذْهَبَ إِلى أَيِّ مَكانٍ آخَرَ ؟ وَلِماذا يَجِبُ عَلَيَّ أَنْ أُقابِلَ ذٰلِكَ ٱلشَّخْصَ سِرًّا ؟ كُلَّما أَطَلْتُ ٱلتَّفْكيرَ في هٰذِهِ ٱلمَوْضوعاتِ زادَ ٱعتِقادي بِأَنِّي أَتعامَلُ مَعَ حالةٍ مِنْ حالاتِ ٱلمَرَضِ ٱلعَقْلِيِّ . وَعَلى ٱلرَّغْمِ مِنْ أَنِّي أَمَرْتُ خَدَمي أَنْ يَذْهَبوا إِلى فِراشِهِمْ فَإِنَّني حَشَوْتُ مُسَدَّسي ٱلقَديمَ بِالرَّصاصِ حَتَّى أَكُونَ عَلى ٱستِعْدادٍ لِلدِّفاعِ عَنْ نَفْسِي .

« وَما إِنْ دَقَّتِ ٱلسَّاعةُ مُعْلِنةً ٱلثَّانيةَ عَشْرَةَ حَتَّى سَمِعْتُ طَرْقةً خَفيفةً عَلى ٱلبابِ . وَذَهَبْتُ بِنَفْسي لِأَفْتَحَ ٱلبابَ ، فَوَجَدْتُ شَخْصًا ضَئيلَ ٱلجِسْمِ يَتَّكِئُ بِصُورةٍ تَدْعو إِلى ٱلشَّفَقةِ عَلى أَحَدِ أَعْمِدةِ ٱلمَدْخَلِ .

سَأَلْتُهُ : « هَلْ جِئْتَ مِنْ عِنْدِ ٱلدُّكْتُور جيكِل ؟ »

أَجابَني : « نَعَمْ . » وَأَوْمَأَ قَليلًا بِرَأْسِهِ . وَعِنْدَما طَلَبْتُ مِنْهُ أَنْ يَدْخُلَ لَمْ يَسْتَجِبْ لي قَبْلَ أَنْ يَنْظُرَ وَراءَهُ إِلى ٱلمَيْدانِ ٱلمُظْلِمِ، حَيْثَ كانَ أَحَدُ رِجالِ ٱلشُّرْطةِ يَسيرُ عَلى مَسافةٍ غَيْرِ بَعيدةٍ وَمِصْباحُهُ مُضاءٌ . وَعِنْدَما رَأى زائِري رَجُلَ ٱلشُّرْطةِ ٱنزَعَجَ وَأَسْرَعَ بِالدُّخولِ .

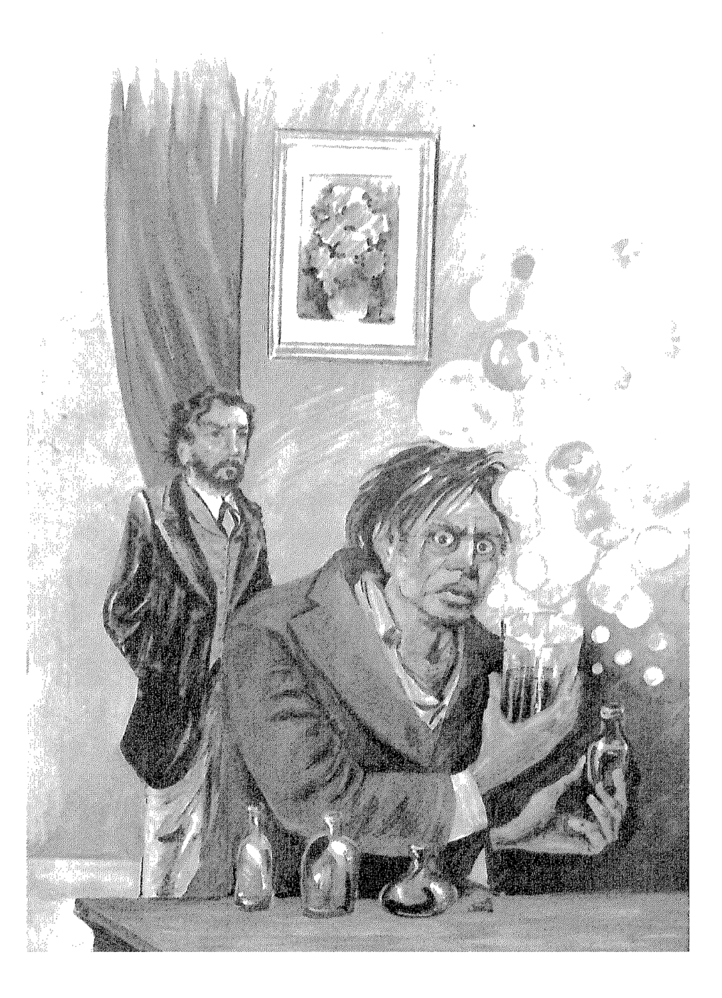
« أَنا أَعْتَرِفُ بِأَنَّ هٰذِهِ ٱلتَّفاصيلَ قَدْ جَعَلَتْني لا أَرْتاحُ لِلشَّخْصِ ، وَلِهٰذا وَضَعْتُ يَدي عَلى مُسَدَّسي وَأَنا أَتْبَعُهُ إِلى غُرْفةِ ٱلكَشْفِ ذاتِ ٱلضَّوْءِ ٱلباهِرِ حَيْثُ وَجَدْتُ في ٱلنِّهايةِ فُرْصةً لِأَتَبَيَّنَ مَلامِحَهُ بِوُضوحٍ . إِنَّني لَمْ أَرَهُ قَطُّ قَبْلَ

ذٰلِكَ — هٰذا أَمْرٌ أَكيدٌ . لَقَدْ كانَ ضَئيلَ ٱلجِسْمِ ، كَما سَبَقَ أَنْ ذَكَرْتُ ، وَلٰكِنَّ مَلامِحَ وَجْهِهِ كانَتْ مِنَ ٱلفَظاعَةِ بِحَيْثُ صَدَمتني . وَأَذْهَلَني كَذٰلِكَ أَنَّهُ كانَ يَجْمَعُ بَيْنَ ٱلحَرَكَةِ ٱلنَّشيطَةِ وَٱلضَّعْفِ ٱلبَدَنيِّ ٱلبادِي عَلَيْهِ . وَأَذْهَلَني ما أَحْدَثَهُ وُجودُهُ مَعي في تِلْكَ ٱلظُّروفِ مِنِ ٱضطِرابٍ .

« كانَ ٱلرَّجُلُ يَرْتَدي مَلابِسَ تَجْعَلُ لابِسَها مَوْضِعَ سُخْرِيَةٍ وَٱستِهْزاءٍ . وَعَلى ٱلرَّغْمِ مِنْ أَنَّها كانَتْ مَصْنوعةً مِنْ قُماشٍ مُمْتازٍ فَقَدْ كانَتْ واسِعةً عَلَيْهِ بِصُورَةٍ مَلْحوظَةٍ . فَقَدْ كانَ ٱلبَنْطَلونُ فَضْفاضًا وَقَدْ طَوَى طَرَفَيْهِ حَتّى لا يَتَدَلَّيا عَلى ٱلأَرْضِ ؛ وَكانَ ٱلجُزْءُ ٱلأَوْسَطُ مِنْ سُتْرَتِهِ إلى ما دُونَ خَصْرِهِ بِدَرَجَةٍ كَبيرةٍ ، كَما كانَتِ ٱلياقةُ واسِعةً بِحَيْثُ ٱمتَدَّتْ عَلى كَتِفَيْهِ . وَٱلغَريبُ في ٱلأَمْرِ أَنَّ هٰذا ٱللِّباسَ ٱلمُضْحِكَ لَمْ يُثِرْ عِنْدي أَيَّ مَيْلٍ إلى ٱلضَّحِكِ ، لِأَنَّ ٱهتِمامي بِطَبيعةِ ٱلرَّجُلِ وَشَخْصِيَّتِهِ ٱقتَرَنَ بِحُبِّ ٱستِطْلاعٍ دَفَعَني إلى مَعْرِفةِ أَصْلِهِ وَأُسْلوبِ حَياتِهِ وَوَضْعِهِ ٱلاجتِماعيِّ .

« كانَ زائِري في غايةِ ٱلعَجَلةِ مِنْ أَمْرِهِ . فَقَدْ صاحَ بي : « هَلْ أَحْضَرْتَها ؟ هَلْ أَحْضَرْتَها ؟ » وَكانَ مِنَ ٱلتَّسَرُّعِ بِحَيْثُ وَضَعَ يَدَهُ عَلى ذِراعي وَحاوَلَ أَنْ يَهُزَّني . وَلٰكِنِّي دَفَعْتُ يَدَهُ بَعيدًا ، وَقَدْ أَحْسَسْتُ عِنْدَما لَمَسَني بِقُشَعْريرةٍ بارِدةٍ تَسْري في دَمي .

« قُلْتُ لَهُ : ‹ تَعالَ يا سَيِّدي لَقَدْ نَسيتُ أَنَّنا لَمْ نَتَعارَفْ بَعْدُ . اِجْلِسْ مِنْ فَضْلِكَ . › وَجَلَسْتُ أَنا حَتَّى يَحْذُوَ حَذْوي . جَلَسْتُ في مَقْعَدي ٱلمُعْتادِ مُتَصَنِّعًا أَكْبَرَ قَدْرٍ مِنَ ٱلهُدوءِ يَسْمَحُ بِهِ هٰذا ٱلمَوْقِفُ ٱلغَريبُ في تِلْكَ ٱلسَّاعةِ



ٱلمُتَأَخِّرةِ مِنَ ٱللَّيْلِ ، وَقَدْ ساوَرَني مِنَ ٱلأَفْكارِ ٱلغَريبةِ قَدْرٌ كَبيرٌ وَشَعَرْتُ بِٱلفَزَعِ مِنْ هٰذا ٱلزّائِرِ ٱلغَريبِ .

« أَجابَني بِأَدَبٍ بالِغٍ : ‹ عَفْوًا يا دُكْتُور لانْيُون . إنَّ ما تَقولُهُ صَحيحٌ . إنَّ تَسَرُّعي قَدْ غَطَّى عَلى ما يَجِبُ أَنْ أَتَّبِعَهُ مِنْ أُسْلوبٍ مُهَذَّبٍ . لَقَدْ جِئْتُ هُنا ٱستِجابةً لِطَلَبِ صَديقِكَ ٱلدُّكْتُور جيكِل في أَمْرٍ لَهُ بَعْضُ ٱلخُطورةِ . وَلَقَدْ فَهِمْتُ مِنْهُ ... › وَهُنا تَوَقَّفَ وَوَضَعَ يَدَهُ عَلى عُنُقِهِ . وَلاحَظْتُ ، عَلى ٱلرَّغْمِ مِنْ تَظاهُرِهِ بِٱلهُدوءِ ، أَنَّهُ في صِراعٍ مَعَ مُقَدِّماتِ أَزْمةٍ لا سَيْطَرةَ لَهُ عَلَيْها . ثُمَّ تَمْتَمَ قائِلًا : ‹ لَقَدْ فَهِمْتُ مِنْهُ ... دُرْجًا . › وَهُنا أَشْفَقْتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : ‹ ها هُوَ ذا . › مُشيرًا إلى ٱلدُّرْجِ ٱلَّذي كُنْتُ قَدْ وَضَعْتُهُ عَلى ٱلأَرْضِ وَراءَ ٱلمِنْضَدةِ وَعَلَيْهِ غِطاؤُهُ .

« قَفَزَ ٱلرَّجُلُ نَحْوَ ٱلدُّرْجِ ثُمَّ تَوَقَّفَ وَوَضَعَ يَدَهُ عَلى صَدْرِهِ في مَوْضِعِ ٱلقَلْبِ ، وَسَمِعْتُ صَريفَ أَسْنانِهِ ، وَنَظَرْتُ إلى وَجْهِهِ فَوَجَدْتُهُ شاحِبًا مُرْعِبًا مِمَّا جَعَلَني أَشْعُرُ بِٱلانْزِعاجِ عَلى حَياتِهِ وَعَلى قُواهُ ٱلعَقْلِيَّةِ .

« قُلْتُ لَهُ : ‹ هَوِّنْ عَلَيْكَ . ›

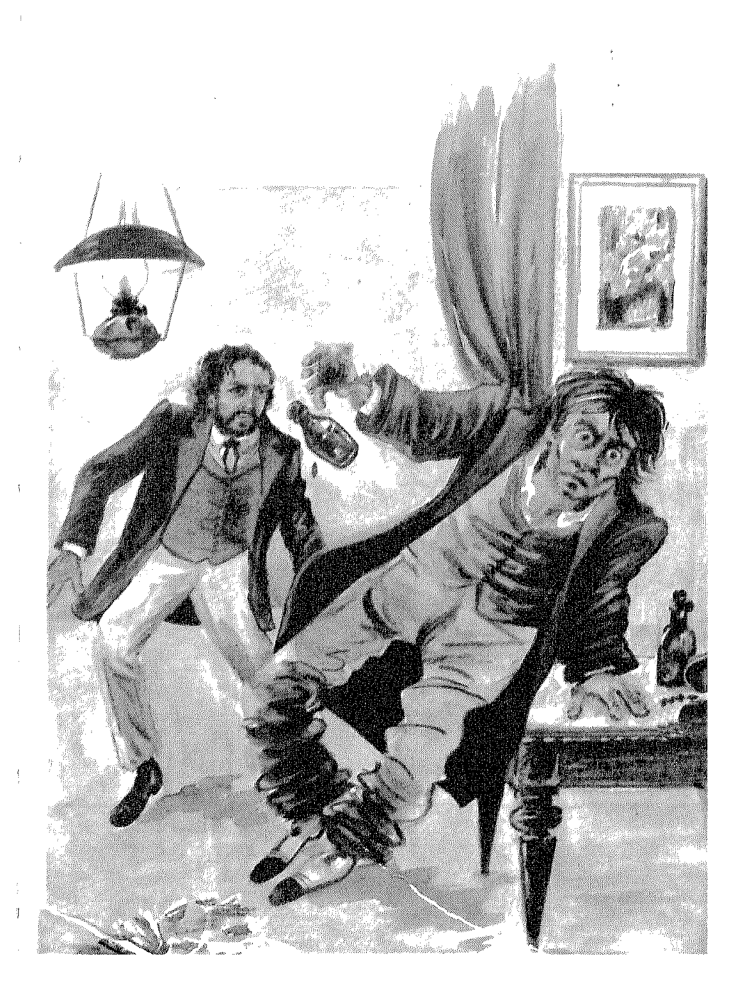
« اِتَّجَهَ نَحْوي بِٱبْتِسامةٍ مُرْعِبةٍ ، ثُمَّ نَزَعَ ٱلغِطاءَ مِنْ فَوْقِ ٱلدُّرْجِ . وَما إنْ رَأى مُحْتَوَياتِهِ حَتَّى شَهِقَ شَهْقةً عاليةً تَنُمُّ عَنِ ٱرْتياحِهِ ٱلشَّديدِ مِمَّا زادَ مِنْ تَعَجُّبي . وَفي ٱللَّحْظةِ ٱلتّاليةِ قالَ لي في صَوْتٍ تَمَّتِ ٱلسَّيْطَرةُ عَلَيْهِ بِدَرَجةٍ كَبيرةٍ : ‹ هَلْ لَدَيْكَ أُنبوبةُ ٱختِبارٍ زُجاجِيَّةٌ ؟ ›

« قُمْتُ مِنْ مَكاني بِشَيْءٍ مِنَ ٱلجُهْدِ وَأَعْطَيْتُهُ ما طَلَبَ . فَشَكَرَني بِإيماءةٍ

وَٱبتِسامةٍ ، ثُمَّ كالَ بِضْعَ قَطَراتٍ مِنَ ٱلسَّائِلِ ٱلأَحْمَرِ ، وَأَضافَ إِلَيْها أَحَدَ ٱلمَساحيقِ فَنَجَم عَنْ ذٰلِكَ خليطٌ ٱتَّخَذَ في ٱلبِدايةِ لَوْنًا أَحْمَرَ ثُمَّ بَدَأَ لَوْنُهُ يَزْدادُ لَمعانا ، وَأَخَذَتِ ٱلفَقاقِيعُ تَتَصاعَدُ مِنْهُ وَتُحْدِثُ بُخارًا . وَفَجأَةً تَوَقَّفَتْ تِلْكَ ٱلفقاقيعُ ، وَتَحَوَّلَ ٱلمَحْلولُ إِلى ٱللَّوْنِ ٱلأُرْجُوانيِّ ٱلغامِقِ ، ثُمَّ بَدَأَ يَتَحَوَّلُ بِبُطْءٍ بَعْدَ ذٰلِكَ إِلى ٱللَّوْنِ ٱلأَخْضَرِ ٱلفاتِحِ .

« كانَ زائِري يُراقِبُ هٰذِهِ ٱلتَّغَيُّراتِ بِشَغَفٍ ، ثُمَّ ٱبتَسَمَ وَوَضَعَ ٱلزُّجاجةَ عَلى ٱلمائِدةِ وَٱستَدارَ نَحْوي وَأَخَذَ يُحَدِّقُ في وَجْهي ، ثُمَّ قالَ : ‹ وَٱلآنَ لِنَحْسِمِ ٱلمَوْقِفَ . هَلْ سَتَكُونُ عاقِلًا ؟ هَلْ سَتَقْبَلُ نَصيحَتي ؟ هَلْ سَتُوافِقُ عَلى أَنْ آخُذَ هٰذِهِ ٱلزُّجاجةَ مَعي ، وَأَنْ أَخْرُجَ مِنْ بَيْتِكَ دُونَ مَزيدٍ مِنَ ٱلحَديثِ ، أَمْ أَنَّ شَهْوةَ ٱلفُضولِ قَدْ سَيْطَرَتْ عَلَيْكَ ؟ فَكِّرْ قَبْلَ أَنْ تُجيبَ ، فَسَأُنَفِّذُ ما تُقَرِّرُهُ . عَلَيْكَ أَنْ تَختارَ إِمَّا أَنْ تَبْقى كَما كُنْتَ مِنْ قَبْلُ دُونَ أَنْ تُصْبِحَ أَكْثَرَ غِنًى أَوْ أَكْثَرَ حِكْمةً (ٱللَّهُمَّ إِلَّا إِذا ٱعتَبَرْتَ ٱرتياحَكَ لِتَقْديمِ خِدْمةٍ لِإِنْسانٍ في كَرْبٍ شَديدٍ ضَرْبًا مِنْ غِنى ٱلرُّوحِ) أَوْ أَنْ تَختارَ مَعْرِفةً جَديدةً وَطَريقًا جَديدًا لِلشُّهْرةِ وَٱلقُوَّةِ أُظْهِرُهُ لَكَ هُنا في هٰذِهِ ٱلغُرْفةِ في ٱلتَّوِّ وَٱللَّحْظةِ — وَعِنْدَئِذٍ سَوْفَ تَشْهَدُ مُعْجِزةً يَرْتَعِدُ لِهَوْلِها ٱلشَّيْطانُ نَفْسُهُ . ›

« قُلْتُ لَهُ وَأَنا أَتَصَنَّعُ هُدوءًا لَمْ يَكُنْ عِنْدي مِنْهُ شَيْءٌ : ‹ إِنَّ ما تَقولُهُ غامِضٌ كُلَّ ٱلغُموضِ ، وَلَنْ تَعْجَبَ إِذا قُلْتُ لَكَ إِنِّي أَسْتَمِعُ إِلَيْكَ دُونَ أَنْ أُصَدِّقَ ما تَقولُ . وَقَدْ قُمْتُ ٱللَّيْلةَ بِٱلعَديدِ مِنَ ٱلخِدْماتِ ٱلغَريبةِ مِمَّا يَجْعَلُني غَيْرَ قادِرٍ عَلى ٱلتَّوَقُّفِ قَبْلَ أَنْ أَصِلَ إِلى نِهايةِ ٱلمَطافِ . ›



« قالَ : ‹ حَسَنٌ يا لانْيُون . إنَّكَ تَذْكُرُ قَسَمَكَ لي . إنَّ ما سأُريكَهُ ٱلآنَ سِرٌّ بَيْنَنا . وَٱلآنَ ، أَنْتَ يا مَنْ كُنْتَ تُؤْمِنُ دائِمًا بِأَكْثَرِ ٱلآراءِ مادِّيَّةً وَتَزَمُّتًا ؛ أَنْتَ يا مَنْ كُنْتَ تُنْكِرُ وُجودَ دَواءٍ غَيْرِ مادِّيٍّ ؛ أَنْتَ يا مَنْ كُنْتَ تَسْخَرُ مِمَّنْ هُمْ أَعْلى مِنْكَ قَدْرًا ، أُنْظُرْ ماذا تَرى ؟ ›

« قَرَّبَ ٱلرَّجُلُ ٱلزُّجاجةَ مِنْ شَفَتَيْهِ وَشَرِبَ ، وَأَعْقَبَتْ ذٰلِكَ صَيْحةٌ ، ثُمَّ تَرَنَّحَ وَأَوْشَكَ أَنْ يَسْقُطَ عَلى ٱلأَرْضِ فَأَمْسَكَ ٱلمِنْضَدةَ وَٱتَّكَأَ عَلَيْها . وَكانَتْ عَيْناهُ تُحَمْلِقانِ ، وَقَدِ ٱحمَرَّتا ٱحمِرارَ ٱلدَّمِ ، وَكانَتْ أَنْفاسُهُ تَتَتابَعُ طَويلةً عَميقةً .

وَبَدا لي وَأَنا أَنْظُرُ إِلَيْهِ أَنَّ تَغَيُّرًا قَدْ طَرَأَ عَلَيْهِ ، فَقَدْ بَدا كَأَنَّ مَلامِحَهُ قَدْ ذابَتْ وَتَبَدَّلَتْ . وَفي ٱللَّحْظةِ ٱلتّاليةِ وَجَدْتُ نَفْسي أَقْفِزُ مِنْ مَكاني وَأَتَراجَعُ إلى أَنِ ٱلتَصَقَ ظَهْري بِٱلحائِطِ وَقَدْ رَفَعْتُ يَدَيَّ لِتَقِياني هٰذا ٱلرُّعْبَ ، وَغَرِقْتُ في دُوّامةٍ مِنَ ٱلخَوْفِ .

«صِحْتُ : ‹ يا إِلٰهي ! يا إِلٰهي ! › عِدَّةَ مَرّاتٍ ، فَهُناكَ أَمامَ عَيْنَيَّ ، شاحِبُ ٱلوَجْهِ مُتَرَنِّحٌ يوشِكُ أَنْ يُغْمِيَ عَلَيْهِ وَقَدْ رَفَعَ يَدَيْهِ أَمامَهُ كَٱلأَعْمى يَتَحَسَّسُ طَريقَهُ – هُناكَ وَقَفَ ٱلدُّكْتُور جيكِل وَكَأَنَّهُ رَجُلٌ قَدْ عادَ مِنْ قَبْرِهِ .

« لَيْسَ في وُسْعي أَنْ أَسْتَرْجِعَ كُلَّ ما قالَهُ لي في ٱلسّاعةِ ٱلتّاليةِ وَأَنْ أَكْتُبَهُ هُنا . لَقَدْ رَأَيْتُ ما رَأَيْتُ ، وَسَمِعْتُ ما سَمِعْتُ ، وارتعدتْ لَهُ نَفْسي ؛ وَمَعَ ذٰلِكَ فَعِنْدَما أُسائِلُ نَفْسي ٱلآنَ ، بَعْدَ أَنْ خَفَّ وَقْعُ ٱلصُّورةِ عَلى ناظِرَيَّ ، هَلْ حَدَثَ هٰذا حَقًّا ؟ هل أُصَدِّقُهُ ؟ لا أَجِدُ لِذٰلِكَ جَوابًا . لَقَدِ ٱهتَزَّتْ حَياتي مِنْ

جُذورِها ، وَهَجَرَني ٱلنَّوْمُ ، وَلازَمَني شُعورٌ بِٱلفَزَعِ طَوالَ ساعاتِ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهارِ . إنِّي أَشْعُرُ بِأَنَّ أَيَّامي مَعْدودةٌ ، وَأَنِّي سَأَموتُ لا مَحالةَ . وَمَعَ ذٰلِكَ فَسَوْفَ أَموتُ وَأَنا لا أُصَدِّقُ ما حَدَثَ . أَمَّا بِالنِّسْبةِ لِذٰلِكَ ٱلشَّرِّ ٱلأَسْودِ ٱلَّذي كَشَفَهُ ذٰلِكَ ٱلرَّجُلُ لي فَلَيْسَ في وُسْعي أَنْ أَتَذَكَّرَهُ دُونَ أَنْ أَرْتَعِدَ فَزَعًا . وَأُريدُ أَنْ أُضيفَ نُقْطةً أُخْرى واحِدةً – يا أُتِرْسُون – وَفيها ٱلكِفايةُ إذا أَمْكَنَكَ تَصْديقُها . إنَّ ٱلمَخْلوقَ ٱلَّذي دَخَلَ بَيْتي في تِلْكَ ٱللَّيْلةِ كانَ مَعْروفًا بِٱسمِ هايد كَما ٱعتَرَفَ لي بِذٰلِكَ جيكِل نَفْسُهُ . وَكانَتِ ٱلشُّرْطةُ تَبْحَثُ عَنْهُ في كُلِّ رُكْنٍ مِنْ أَرْكانِ ٱلبِلادِ بِٱعتِبارِهِ قاتِلَ كارُو .

هاسْتِي لانْيُون »

القِصَّةُ كامِلةً كَما يَرْويها هِنْري جيكِل

وُلِدْتُ سنة – ١٨ في أُسْرةٍ غَنِيَّةٍ ، وَمَنَحَني ٱللهُ مَواهِبَ وَقُدْراتٍ مُمْتازةً : فَأَنا أَميلُ بِطَبْعي إلى ٱلكَدِّ وَٱلمُثابَرةِ ، وَأُحِبُّ أَنْ أَحْظَى بِٱحتِرامِ مَنْ أَعْرِفُهُمْ مِمَّنْ يَتَّسِمونَ بِٱلحِكْمةِ وَطيبةِ ٱلقَلْبِ . وَلِهٰذا كُنْتُ واثِقًا أَنَّ مُسْتَقْبَلي سَيَكونُ مُشْرِقًا وَمَرْموقًا ، وَٱلحَقيقةُ أَنَّ أَسْوَأَ رَذائِلي هِيَ مَيْلي ٱلشَّديد إلى ٱلمَرَحِ . وَرَغْمَ أَنَّ ٱلمَرَحَ يُعْتَبَرُ مَصْدَرًا لِسَعادةِ ٱلكَثيرينَ ، فَقَدْ وَجَدْتُ صُعوبةً بالِغةً في أَنْ أُوَفِّقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَغْبَتي ٱلقَويَّةِ في أَنْ أَرْفَعَ رَأْسي عاليًا أَمامَ ٱلنَّاسِ ، وَأَنْ يَكونَ مَظْهَري لَدَيْهِمْ وَقورًا كُلَّ ٱلوَقار .

لِهٰذا قُمْتُ بِإِخْفاءِ نَزْعَتي إلى ٱلمَرَحِ وَٱلسُّرورِ حَتَّى إِنَّني عِنْدما بَلَغْتُ سِنَّ ٱلرُّشْدِ ، وَبَدَأْتُ أَنْظُرُ حَوْلي لِأَتَبَيَّنَ مَدى ما حَقَّقْتُهُ مِنْ تَقَدُّمٍ وَمَكانةٍ في ٱلمُجْتَمَعِ ، وَجَدْتُ نَفْسي أَعيشُ حَياةً مُزْدَوَجةً . وَكانَتْ خَطاياي مِنَ ٱلنَّوْعِ ٱلَّذي يَقْتَرِفُهُ ٱلكَثيرونَ غَيْري دُونَ أَنْ يَشْعُروا بِٱلحَرَجِ ، بَلْ إِنَّ ٱلكَثيرينَ مِنْهُمْ يَتَفاخَرونَ بِها . وَلٰكِنَّ ٱلقِيَمَ ٱلَّتي وَضَعْتُها نُصْبَ عَيْنَيَّ جَعَلَتْني أَنْظُرُ إلى هٰذِهِ ٱلخَطايا وَٱلخَجَلُ يَمْلأُ جَوانِحي ، وَأُحاوِلُ جاهِدًا أَنْ أُخْفِيَها عَنْ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ ، وَكَأَنَّما أُعاني مِنْ شُعورٍ مَرَضِيٍّ بِٱلإِثْمِ . وَعَلى ٱلرَّغْمِ مِنْ هٰذَيْنِ ٱلجانِبَيْنِ ٱلمُتَناقِضَيْنِ في تَكْويني ، فَقَدْ كُنْتُ صادِقًا مَعَ نَفْسي . وَكانَ لِكُلِّ جانِبٍ مِنْ هٰذَيْنِ ٱلجانِبَيْنِ وُجودُهُ ٱلحَقيقيُّ . فَقَدْ كُنْتُ أَجِدُ نَفْسي عِنْدَما أَنْزِعُ عَنِّي رِداءَ ٱلتَّحَفُّظِ ، وَأَنْدَفِعُ نَحْوَ ٱلخَطيئةِ ، كَما كُنْتُ أَجِدُها عِنْدَما أَعْمَلُ جادًّا في وَضَحِ ٱلنَّهارِ لِأَنْشُرَ ٱلعِلْمَ ، أَوْ أُخَفِّفَ عَنِ ٱلنَّاسِ آلامَهُمْ وَأَحْزانَهُمْ .

عِنْدَما وَجَدْتُ نَفْسي في هٰذا ٱلوَضْعِ بَدَأْتُ أُجْري بَعْضَ ٱلأَبْحاثِ ٱلمَعْمَليَّةِ عَسَى أَنْ تُلْقِيَ بَعْضَ ٱلضَّوْءِ عَلى هٰذِهِ ٱلمُشْكِلَةِ ، وَبَدَأْتُ أُدْرِكُ إِدْراكًا عَميقًا لَمْ يَسْبِقْ أَنْ أَشارَ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ قَبْلُ ، أَنَّ هٰذا ٱلجِسْمَ ٱلَّذي نَعيشُ بِهِ ، وَٱلَّذي يَبْدو لِلْعِيانِ صُلْبًا مُتَماسِكًا إِنَّما هُوَ في حَقيقَتِهِ مُتَغَيِّرٌ وَكَأَنَّهُ ٱلضَّبابُ .

لَقَدِ ٱكتَشَفْتُ بَعْضَ ٱلعَقاقِيرِ ٱلَّتي لَها ٱلقُدْرَةُ عَلى هَزِّ هٰذا ٱلجَسَدِ هَزًّا عَنيفًا كَما تَهُزُّ ٱلرِّيحُ ٱلعاصِفَةُ جَوانِبَ ٱلخَيْمَةِ . بَلْ أَمْكَنَني كَذٰلِكَ أَنْ أُرَكِّبَ عَقّارًا يَخْلَعُ عَنّي تِلْكَ ٱلقُوى ٱلَّتي تَتَكَوَّنُ مِنْها نَفْسي ، وَيُحِلُّ مَحَلَّها مَظْهَرًا آخَرَ وَهُوَ طَبيعيٌّ لِأَنَّهُ تَعْبيرٌ عَنْ تِلْكَ ٱلعَوامِلِ ٱلسُّفْلِيَّةِ ٱلمَكْبوتَةِ في نَفْسي .

تَرَدَّدْتُ كَثيرًا قَبْلَ أَنْ أَقومَ بِالتَّطْبيقِ ٱلعَمَليِّ لِهٰذِهِ ٱلفِكْرَةِ . وَكُنْتُ أَعْرِفُ جَيِّدًا أَنّي أُخاطِرُ بِحَياتي ، إِذْ إِنَّ مِثْلَ هٰذا ٱلعَقّارِ ٱلقَويِّ ٱلمَفْعولِ ، ٱلَّذي بِإِمْكانِهِ هَزُّ ذٰلِكَ ٱلحِصْنِ ٱلحَصينِ ٱلَّذي تَتَكَوَّنُ مِنْهُ نَفْسي ، خَليقٌ – إِذا زيدَتْ مَقاديرُهُ زِيادَةً طَفيفَةً – أَنْ يُدَمِّرَ هٰذا ٱلجِسْمَ تَدْميرًا . لٰكِنَّ ٱلإِغْراءَ ٱلَّذي أَثارَهُ ٱحتِمالُ وُصولي إِلى مِثْلِ هٰذا ٱلاكتِشافِ ٱلرّائِعِ تَغَلَّبَ في ٱلنِّهايَةِ عَلى مَخاوِفي .

وَكُنْتُ قَدْ أَعْدَدْتُ ذٰلِكَ ٱلعَقّارَ مِنْ قَبْلُ ، فَقُمْتُ عَلى ٱلفَوْرِ بِشِراءِ كَمِّيَّةٍ كَبيرَةٍ مِنْ أَحَدِ ٱلأَمْلاحِ ٱلَّتي عَرَفْتُ مِنْ تَجارِبي أَنَّهُ ٱلشَّيْءُ ٱلوَحيدُ ٱلمَطْلوبُ ، وَقَدْ وَجَدْتُ ذٰلِكَ ٱلمِلْحَ لَدى إِحْدى ٱلشَّرِكاتِ ٱلكيماوِيَّةِ . وَفي ساعَةٍ مُتَأَخِّرَةٍ مِنْ لَيْلَةٍ مَلْعونَةٍ قُمْتُ بِمَزْجِ ٱلعَقّارِ وَراقَبْتُهُ وَهُوَ يَغْلي وَيَنْفُثُ ٱلدُّخانَ ، وَعِنْدَما تَوَقَّفَتِ ٱلفَقاقيعُ قُمْتُ بِشُرْبِهِ في شَجاعَةٍ .

أَعْقَبَتْ ذٰلِكَ آلامٌ رَهيبَةٌ ، وَشَعَرْتُ كَأَنَّ عِظامي تُطْحَنُ ، وَٱنتابَتْني نَوْباتٌ مِنَ ٱلقَيْءِ ، وَفَزِعْتُ فَزَعًا شَديدًا . ثُمَّ بَدَأَتْ هٰذِهِ ٱلآلامُ تَزولُ سَريعًا

وَأَفَقْتُ ، وَكَأَنِّي أَفَقْتُ مِنْ مَرَضٍ طَوِيلٍ ، وَعِنْدَئِذٍ شَعَرْتُ بِشَيْءٍ غَرِيبٍ يَجْرِي فِي دِمائِي – شَيْءٍ جَدِيدٍ لَيْسَ فِي وُسْعِي أَنْ أَصِفَهُ ، لَذِيذٍ إِلى دَرَجَةٍ لايُمْكِنُ تَصْدِيقُها . شَعَرْتُ بِأَنِّي أَصْغَرُ سِنًّا ، وَأَخَفُّ حَرَكَةً وَأَكْثَرُ سَعادَةً . عَرَفْتُ وَأَنا أَلْتَقِطُ أَوَّلَ نَفَسٍ مِنْ أَنْفاسِ هٰذِهِ الحَياةِ الجَدِيدَةِ أَنِّي أَكْثَرُ خُبْثًا وَمَيْلًا إِلى الشَّرِّ – عَشَرَةَ أَضْعافِ ما كُنْتُ عَلَيْهِ مِنْ خُبْثٍ وَمَيْلٍ إِلى الشَّرِّ ، وَأَنِّي قَدْ بِعْتُ نَفْسِي لِتُصْبِحَ مُسْتَعِدَّةً لِذٰلِكَ الشَّرِّ الكامِنِ في أَعْماقِها . إِنَّ هٰذا الخاطِرَ قَدْ زادَ مِنْ شُعُورِي بِالقُوَّةِ وَمِنْ نَشْوَتِي وَسُرُورِي . وَعِنْدَما مَدَدْتُ يَدَيَّ في سُرُورٍ وَبَهْجَةٍ لاحَظْتُ أَنَّنِي أَصْبَحْتُ أَصْغَرَ حَجْمًا .

كانَ الأَمَلُ وَالشُّعُورُ بِالنَّصْرِ يَمْلآنِ جَوانِحِي ، وَقَرَّرْتُ أَنْ أُغامِرَ بِالذَّهابِ إِلى غُرْفَةِ نَوْمِي وَأَنا في شَكْلِيَ الجَدِيدِ . وَلِهٰذا عَبَرْتُ الفِناءَ ، وَتَسَلَّلْتُ كَالغَرِيبِ في طُرُقاتِ بَيْتِي وَعِنْدَما وَصَلْتُ إِلى غُرْفَتِي شاهَدْتُ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ شَكْلَ إِدْوارْد هايد .

لَمْ أَمْكُثْ أَمامَ المِرْآةِ إِلَّا دَقِيقَةً واحِدَةً ، إِذْ مِنَ الواجِبِ أَنْ أَقُومَ بِالتَّجْرِبَةِ الثّانِيَةِ وَالنِّهائِيَّةِ ، وَهِيَ التَّجْرِبَةُ الَّتِي سَوْفَ تُظْهِرُ لِي هَلْ فَقَدْتُ نَفْسِي دُونَ رَجْعَةٍ ؟ وَهَلْ يَجِبُ أَنْ أَهْرُبَ قَبْلَ طُلُوعِ النَّهارِ مِنْ ذٰلِكَ البَيْتِ الَّذِي لَمْ يَعُدْ مِلْكًا لِي ؟ لِهٰذا أَسْرَعْتُ بِالرُّجُوعِ إِلى غُرْفَةِ مَعْمَلِي ، وَأَعْدَدْتُ الشَّرابَ مَرَّةً ثانِيَةً وَشَرِبْتُهُ . وَعِنْدَئِذٍ عانَيْتُ لِلْمَرَّةِ الثّانِيَةِ مِنْ آلامٍ أَشْبَهَ بِآلامِ المَوْتِ ، وَرَجَعْتُ إِلى الحَياةِ مَرَّةً أُخْرى أَحْمِلُ شَخْصِيَّةَ هِنْرِي جِيكِل وَشَكْلَهُ وَمَلامِحَ وَجْهِهِ .

وَصَلْتُ في تِلْكَ ٱللَّيْلَةِ إلى مُفْتَرَقِ طُرُقٍ خَطيرٍ . فَلَوْ أَنَّني كُنْتُ قَدْ نَظَرْتُ إلى ٱكتِشافي هٰذا نَظْرةً أَكْثَرَ نُبْلًا ، وَلَوْ أَنَّني كُنْتُ قَدْ غامَرْتُ بِالتَّجْرِبَةِ مُتَأَثِّرًا بِآمالٍ طَيِّبَةٍ خَيِّرَةٍ ، لَتَغَيَّرَ كُلُّ شَيْءٍ ، وَخَرَجْتُ بَعْدَ آلامِ ٱلمَوْتِ وَٱلوِلادةِ مَلاكًا لا شَيْطانًا . لا يُمْكِنُني أَنْ أَقولَ إِنَّ هٰذا ٱلدَّواءَ في حَدِّ ذاتِهِ شَيْطانِيٌّ أَوْ مَلائِكِيٌّ . إِنَّ كُلَّ ما قامَ بِهِ هُوَ أَنَّهُ حَطَّمَ بابَ ٱلسِّجْنِ ٱلَّذي تَقْبَعُ فيهِ شَخْصِيَّتي ، فَٱنطَلَقَتْ مِنْهُ تِلْكَ ٱلقُوى ٱلَّتي كانَتْ سَجينةً داخِلَهُ ، وَكانَتْ قُوى ٱلفَضيلةِ عِنْدي في سُباتٍ آنَذاكَ . أَمَّا قُوى ٱلشَّرِّ ٱلكامِنةُ لَدَيَّ فَقَدْ أَيْقَظَتْها ٱلرَّغْبةُ في ٱلنَّجاحِ فَأَسْرَعَتْ بِٱنتِهازِ ٱلمَوْقِفِ . وَكانَ إِدْوارْد هايد هُوَ ما قَذَفَتْ بِهِ إلى ٱلوُجودِ . هٰكَذا أَصْبَحَ لي شَكْلانِ وَشَخْصِيَّتانِ مُخْتَلِفَتانِ : إِحْداهُما شَخْصِيَّةٌ شِرِّيرةٌ بِصُورةٍ كامِلةٍ ، وَٱلأُخْرى شَخْصِيَّةُ هِنْري جيكِل ٱلَّتي كانَتْ خَليطًا غَريبًا مِنَ ٱلخَيْرِ وَٱلشَّرِّ ، وَٱلَّتي يَئِسْتُ مِنْ أَنْ أُصْلِحَ ما ٱعوَجَّ مِنْها . هٰكَذا ٱتَّجَهَ بي قَدَري ٱتِّجاهًا كامِلًا إلى ما هُوَ أَسْوَأُ .

لَقَدْ ظَلَّتْ عِنْدي – حَتَّى في ذٰلِكَ ٱلوَقْتِ – رَغْبةٌ في ٱلدِّراسةِ وَٱلتَّجْريبِ وَقَدِ ٱستَغَلَّتْ قُوايَ ٱلجَديدةُ هٰذِهِ ٱلرَّغْبةَ لِتُواصِلَ إِغْرائي حَتَّى وَقَعْتُ أَسيرًا لَها . إِنَّ مُجَرَّدَ شُرْبي لِهٰذِهِ ٱلكَأْسِ سَوْفَ يُمَكِّنُني مِنْ أَنْ أَخْلَعَ عَنِّي جِسْمَ ٱلطَّبيبِ ٱلمَشْهورِ ، وَأَلْبَسَ جِسْمَ إِدْوارْد هايد وَكَأَنَّهُ عَباءةٌ ثَقيلةٌ .

جَعَلَتْني هٰذِهِ ٱلفِكْرةُ أَبْتَسِمُ ، وَبَدَتْ لي في ذٰلِكَ ٱلوَقْتِ مُسَلِّيةً مُغْرِيةً . فَأَعْدَدْتُ ٱلعُدَّةَ لِتَنْفيذِها بِعِنايةٍ بالِغةٍ ، لِذٰلِكَ ٱشْتَرَيْتُ ذٰلِكَ ٱلمَنْزِلَ في حَيِّ سُوهُو وَقُمْتُ بِتَأْثيثِهِ ، وَهُوَ ٱلمَنْزِلُ ٱلَّذي ذَهَبَتْ إِلَيْهِ ٱلشُّرْطةُ باحِثةً عَنْ هايد .

كَما أَنِّي آستَخْدَمْتُ آمرَأَةً أَعْرِفُ أَنَّها كَتومةٌ لا تُذيعُ آلسِّرَّ ، وَأَنَّها مَعْدُومةُ آلضَّمير ، وَجَعَلْتُها مَسئولةً عَنْ إدارةِ شُؤُونِ ذٰلِكَ آلبَيْتِ .

مِنْ ناحيةٍ أُخرى أَعْلَنْتُ لِخَدَمي أَنَّ هُناكَ رَجُلًا يُدْعى مِسْتَر هايد ، وَصَفْتُ لَهُمْ شَكْلَهُ ، وَقُلْتُ لَهُمْ إنَّ لَهُ آلحُرِّيَّةَ آلتَّامَّةَ وَآلسُّلْطةَ آلكامِلةَ في بَيْتي . بَلْ إنَّني زُرْتُ آلبَيْتَ في صُورةِ مِسْتَر هايد ، وَجَعَلْتُ آلخَدَمَ يَأْلَفُونَ رُؤْيَتي فِيهِ . وَقُمْتُ بَعْدَ ذٰلِكَ بِكِتابةِ تِلْكَ آلوَصِيَّةِ آلَّتي آعتَرَضْتَ عَلَيْها بِشِدَّةٍ ، وَكانَ هَدَفي مِنْ هٰذِهِ آلوَصِيَّةِ أَنَّهُ إذا حَدَثَ لي شَيْءٌ وَأَنا في صُورةِ دُكْتُور جيكِل فَسَيَكُونُ في وُسْعي أَنْ أَتَشَكَّلَ في صُورةِ مِسْتَر هايد دُونَ أَنْ أَخسِرَ شَيْئًا . وَبَعْدَ أَنْ أَمَّنْتُ نَفْسي مِنْ جَميعِ آلنَّواحي — كَما كُنْتُ أَعْتَقِدُ — بادَرْتُ بِآلاستِفادةِ مِنْ مَوْقِفي آلغَريبِ هٰذا .

كانَ آلنَّاسُ فيما مَضى يَسْتَأْجِرونَ مِنَ آلأَشْرارِ آلبائِسينَ مَنْ يَقومونَ بِآرْتِكابِ آلجَرائِمِ لَهُمْ . أَمَّا أَنا فَقَدْ كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ يَقومُ بِآرتِكابِ هٰذِهِ آلجَرائِمِ بِنَفْسِهِ وَمِنْ أَجْلِ مُتْعَتِهِ آلخاصَّةِ . لَقَدْ كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ يَقْدِرُ عَلى آلسَّيْرِ أَمامَ أَعْيُنِ آلنَّاسِ مُتَمَتِّعًا بِمَحَبَّتِهِمْ وَتَقْديرِهِمْ ثُمَّ يَتَحَوَّلُ في لَحْظةٍ واحِدةٍ إلى شَخْصٍ آخَرَ بَعْدَ أَنْ يَنْزِعَ عَنْهُ هٰذا آلرِّداءَ ، كَما يَنْزِعُ آلتِّلْميذُ حُلَّتَهُ آلمَدْرَسِيَّةَ وَيَنْغَمِسُ في خِضَمِّ آلحُرِّيَّةِ .

كان هٰذا آلتَّحَوُّلُ بِالنِّسْبةِ لي شَيْئًا مَأْمونًا لا خَطَرَ مِنْهُ عَلى آلإطْلاقِ ، لِأَنَّ عُنْصُرَ آلتَّنَكُّرِ كانَ كامِلًا . فإذا حَدَثَ أَنْ قامَ هايد بِآرتِكابِ شَيْءٍ فَما عَلَيَّ إلَّا أَنْ أَهْرُبَ إلى مَعْمَلي ، وَبَعْدَ ثانيةٍ أَوْ ثانِيَتَيْنِ أَكُونُ قَدْ مَزَجْتُ آلشَّرابَ آلَّذي كُنْتُ أَحْتَفِظُ بِهِ دائِمًا مُعَدًّا وَشَرِبْتُهُ .وَبَعْدَ ذٰلِكَ يَتَلاشى إدْوارْد هايد مِنَ



ٱلْوُجودِ كَما يَتَلاشى بُخارُ ٱلْماءِ ٱلَّذي يَقَعُ عَلى صَفْحةِ ٱلمِرْآةِ في يَوْمٍ بارِدٍ . وَهُناكَ – بَدَلًا مِنْ هايد – سَوْفَ تَجدُ شَخْصًا آخَرَ يَجْلِسُ بِهُدوءٍ في مَنْزِلِهِ مُنْهَمِكًا في قِراءَتِهِ . وَلَوْ حَدَثَ وَوَجَّهْتَ إِلى هٰذا ٱلشَّخْصِ أَيَّ شُبْهةٍ أَوِ ٱتِّهامٍ لَضَحِكَ مِلْءَ شِدْقَيْهِ سُخْريةً وَٱسْتِهْزاءً بِمِثْلِ هٰذا ٱلاتِّهامِ .

لا أُريدُ أَنْ أَتَحَدَّثَ بِإِسْهابٍ عَنِ ٱلشَّرِّ ٱلَّذي كُنْتُ أَميلُ إِلى ٱلْقِيامِ بِهِ . وَلٰكِنِّي أُريدُ هُنا أَنْ أُشيرَ إِلى تِلْكَ ٱلإِنْذاراتِ ٱلَّتي تَوالَتْ عَلَيَّ مُشيرةً إِلى أَنَّ ٱلعِقابَ سَوْفَ يَأْتي خُطْوةً خُطْوةً .

وَقَعَتْ ذاتَ لَيْلةٍ حادِثةٌ لَمْ تَكُنْ لَها عَواقِبُ وَخيمةٌ ، وَلِهٰذا فَسَوْفَ أَكْتَفي بِمُجَرَّدِ ٱلإِشارةِ إِلَيْها . لَقَدْ عامَلْتُ فَتاةً صَغيرةً بِقَسْوةٍ مِمَّا أَثارَ غَضَبَ شَخْصٍ كانَ يَسيرُ في ٱلطَّريقِ – وَقَدْ عَرَفْتُ أَخيرًا أَنَّ هٰذا ٱلشَّخْصَ هُوَ قَريبُكَ . وَسَرْعانَ ما ٱنْضَمَّ إِلَيْهِ ٱلطَّبيبُ وَأُسْرَةُ ٱلفَتاةِ ، وَكانَتْ هُناكَ فَتْرةٌ حَرِجةٌ خَشيتُ فيها عَلى حَياتي . وَفي ٱلنِّهايةِ حاوَلَ إِدْوارْد هايد أَنْ يُرْضِيَهُمْ فَجاءَ بِهِمْ إِلى بابِ ٱلمَعْمَلِ وَأَعْطاهُمْ شيكًا عَلَيْهِ تَوْقيعُ هِنْري جيكِل . وَلٰكِنِّي تَجَنَّبْتُ بِسُهولةٍ حُدوثَ مِثْلِ هٰذا ٱلخَطَإِ في ٱلمُسْتَقْبَلِ بِأَنْ فَتَحْتُ حَسابًا آخَرَ في أَحَدِ ٱلبُنوكِ ٱلأُخْرى بِٱسْمِ إِدْوارْد هايد ، وَغَيَّرْتُ أُسْلوبَ خَطِّي فَجَعَلْتُهُ يَميلُ إِلى ٱلخَلْفِ ، وَبِذٰلِكَ أَعْطَيْتُ إِدْوارْد هايد تَوْقيعًا خاصًّا بِهِ وَهٰكَذا ٱعْتَقَدْتُ أَنِّي أَصْبَحْتُ بَعيدًا عَنْ مُتَناوَلِ يَدِ ٱلقَدَرِ .

حَدَثَ قَبْلَ مَصْرَعِ سير دانْفِرْز بِشَهْرَيْنِ أَنْ خَرَجْتُ في إِحْدى مُغامَراتي ، وَرَجَعْتُ في ساعةٍ مُتَأَخِّرةٍ ، ثُمَّ ٱسْتَيْقَظْتُ في ٱلْيَوْمِ ٱلتَّالي وَأَنا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ غَريبٍ يَسْري في دَمي . فَنَظَرْتُ حَوْلي دُونَ أَنْ أَهْتَديَ لِما حَدَثَ ، وَعَبَثًا

حاوَلْتُ أَنْ أَتَعَرَّفَ عَلى ما يُحيطُ بي مِنْ أَثاثٍ أَنيقٍ ، وَمِنْ سَقْفٍ عالٍ في غُرْفةِ نَوْمي ، وَمِنْ نُقوشٍ عَلى ٱلسَّتائِرِ ، بَلْ عَلى شَكْلِ ٱلفِراشِ ٱلَّذي أَسْتَلْقي عَلَيْهِ . لَقَدْ أَحْسَسْتُ بِشُعورٍ غامِضٍ يَقولُ إِنِّي لسْتُ في ٱلمَكانِ ٱلَّذي ٱعتَدْتُ أَنْ أَكونَ فيهِ ، وَإِنِّي ٱستَيْقَظْتُ في مَكانٍ غَريبٍ عَنِّي ، وَإِنِّي لَسْتُ في تِلْكَ ٱلغُرْفةِ ٱلصَّغيرةِ في حَيِّ سُوهُو حَيْثُ ٱعتَدْتُ أَنْ أَنامَ في شَكْلِ إِدْوارْد هايد . فَٱبتَسَمْتُ وَبَدَأْتُ أُسائِلُ نَفْسي في تَكاسُلٍ لِماذا أَشْعُرُ بيْنَ وَقْتٍ وَآخَرَ بِهٰذا ٱلشُّعورِ ٱلغَريبِ ، ثُمَّ غلَبَني ٱلنُّعاسُ مَرَّةً أُخرى وَٱستَغْرَقْتُ في ٱلنَّوْمِ ثانيةً . وَخِلالَ فَتْرةٍ مِنْ فَتَراتِ ٱليَقَظةِ أَثْناءَ ٱنشِغالي بِهٰذِهِ ٱلخَواطِرِ وَقَعَتْ عَيْناي عَلى يَدَيَّ . أَنْتَ تَعْرِفُ أَنَّ يَدَيْ هِنْري جيكِل كانَتا كَبيرَتَيْنِ قَوِيَّتَيْنِ ، بَيْضاوَيْنِ ، مُتَناسِقَتَيْنِ خَليقَتَيْنِ بِطَبيبٍ . أَمَّا ٱليَدانِ ٱللَّتانِ رَأَيْتُهُما آنَذاكَ بِوُضوحٍ في ضَوْءِ ٱلمِصْباحِ فَقَدْ كانَتا نَحيفَتَيْنِ ناتِئَتَيْنِ تَبْرُزُ مِنْهُما ٱلعِظامُ ، قاتِمَتَيِ ٱللَّوْنِ في شُحوبٍ ، وَعَلَيْهِما شَعْرٌ أَسْوَدُ كَثيفٌ . لَقَدْ كانَتا يَدَيْ إِدْوارْد هايد .

وَجَدْتُ نَفْسي أَحَمْلِقُ فيهِما لِمُدَّةِ نِصْفِ دَقيقةٍ ، وَأَنا مُسْتَغْرِقٌ في تَعَجُّبٍ وَٱستِغْرابٍ ، وَلٰكِنْ سَرْعانَ ما ٱنتابَني ٱلفَزَعُ فَجْأَةً وَكَأَنَّما قَدْ وَقَعَتِ ٱلواقِعةُ ــ فَقَفَزْتُ مِنْ سَريري وَٱندَفَعْتُ نَحْوَ ٱلمِرْآةِ . وَعِنْدَما نَظَرْتُ إِلى صُورَتي فيها أَوْشَكَ دَمي أَنْ يَجْمُدَ ــ نَعَمْ ، لَقَدْ ذَهَبْتُ إِلى فِراشي وَأَنا هِنْري جيكِل وَٱستَيْقَظْتُ مِنْهُ وَأَنا إِدْوارْد هايد . فَأَخَذْتُ أُحادِثُ نَفْسي كَيْفَ حَدَثَ هٰذا ؟ ثُمَّ ٱنتابَني فَزَعٌ جَديدٌ وَأَنا أَتَساءَلُ هَلْ مِنْ سَبيلٍ لِلْعِلاجِ ؟ لَقَدْ حَدَثَ هٰذا في ٱلصَّباحِ ، وَكانَ ٱلخَدَمُ قَدِ ٱستَيْقَظوا ، كَما كانَتْ كُلُّ عَقاقِيري في غُرْفةِ ٱلمَعْمَلِ ، وَكانَ ٱلطَّريقُ إِلَيْها طَويلًا ، فَقَدْ كانَ عَلَيَّ أَنْ أَهْبِطَ

مَجْموعَتَيْنِ مِنَ ٱلدَّرَجِ ، وَأَصِلَ إلى ٱلدِّهْليزِ ٱلخَلْفيِّ ، وَأَعْبُرَ ٱلفِناءَ لِأَصِلَ إلى ٱلمَعْمَلِ وَأَدْخُلَ غُرْفَتَهُ . رُبمَّا كانَ مِنَ ٱلمُمْكِنِ أَنْ أُغَطِّيَ وَجْهي خِلالَ هٰذِهِ ٱلرِّحْلةِ ، وَلٰكِنْ ما جَدْوى ذٰلِكَ إذْ لَيْسَ في وُسْعي أَنْ أُخْفيَ ما حَدَثَ مِنْ تَغْييرٍ في طُولِ قامَتي وَفي أَجْزاءِ جِسْمي . وَعِنْدَئِذٍ جاءَني خاطِرٌ سُرِرْتُ لَهُ وَٱرْتَحْتُ وَٱنزاحَ مَعَهُ هَمِّي وَغَمِّي . إنَّ ٱلخَدَمَ قَدْ أَصْبَحوا مُعْتادِينَ عَلى رُؤْيَتي في صُورةِ إدْوارْد هايد . فَأَسْرَعْتُ بِارْتِداءِ مَلابِسَ تُناسِبُني بِقَدْرِ ٱلإمْكانِ وَأَنا في حَجْمِي ٱلجَديدِ ، ثُمَّ سِرْتُ مُسْرِعًا داخِلَ ٱلبَيْتِ . وَكانَ ٱلخَدَمُ يَنْظُرونَ إلَيَّ في دَهْشةٍ وَيَتَراجَعونَ وَهُمْ يَرَوْنَ مِسْتَر هايد في مِثْلِ هٰذِهِ ٱلسَّاعةِ ٱلمُبَكِّرةِ وَفي تِلْكَ ٱلمَلابِسِ ٱلغَريبةِ . وَبَعْدَ دَقائقَ عَشْرٍ كانَ دُكْتُور جيكِل قَدْ رَجَعَ إلى شَكْلِهِ ٱلأَصْليِّ ، وَجَلَسَ مَهْمومًا يُحاوِلُ أَنْ يَتَناوَلَ طَعامَ ٱلإفْطارِ .

لَمْ تَكُنْ لي شَهِيَّةٌ لِلطَّعامِ . إنَّ هٰذا ٱلتَّحَوُّلَ ٱلغَريبَ يَخْتَلِفُ كَثيرًا عَمَّا كان يَحْدُثُ لي فِيما مَضَى . إنَّهُ إنْذارٌ لي بِأَنَّ ٱلعِقابَ قَريبٌ . وَبَدَأْتُ أُفَكِّرُ بِصُورةٍ أَكْثَرَ جِدِّيَّةً مِنْ ذي قَبْلُ في ٱلنَّتائِجِ ٱلمُحْتَمَلةِ لِكِياني ٱلمُزْدَوَجِ هٰذا . إنَّ نِصْفي ٱلشِّرِّيرَ قَدِ ٱزْدادَ مِرانًا في ٱلفَتْرةِ ٱلأَخيرةِ ، وَٱزْدادَ نَماءً ، وَبَدا لي كَما لَوْ أَنَّ جِسْمَ إدْوارْد هايد قَدْ أَصْبَحَ أَكْبَرَ حَجْمًا مِمَّا كان عَلَيْهِ ، وَأَنَّني كُلَّما ٱرْتَدَيْتُ ذٰلِكَ ٱلجِسْمَ أَصْبَحْتُ أَكْثَرَ قُوَّةً .

هٰكَذا بَدَأْتُ أَشْعُرُ بِخَطَرٍ قادِمٍ ، وَهُوَ أَنَّ ٱلتَّوازُنَ ٱلقائِمَ في طَبيعَتِي ٱلمُزْدَوَجةِ سَوْفَ يَخْتَلُّ ، مِمَّا يُهَدِّدُني بِأَنْ تُصْبِحَ شَخْصيَّةُ إدْوارْد هايد هِيَ شَخْصِيَّتي ٱلدَّائِمةَ . وَلَمْ يَكُنْ مَفعولُ ٱلدَّواءِ مُتَساوِيًا في كُلِّ ٱلأَوْقاتِ ، فَقَدْ حَدَثَ مَرَّةً أَنْ أَخْفَقَ مَفْعولُهُ إخفاقًا تامًّا ، مِمَّا دَفَعَني مَرَّةً إلى أَنْ أُضاعِفَ

ٱلكَمِّيَّةَ ، بَلْ حَدَثَ مَرَّةً أَنْ تَناوَلْتُ ثَلاثَةَ أَضْعافِ ٱلكَمِّيَّةِ ، رَغْمَ أَنَّ في ذٰلِكَ مُخاطَرَةً بالِغَةً بِحَياتي .

مُنْذُ ذٰلِكَ ٱلوَقْتِ أَصْبَحَ هٰذا ٱلمَوْضوعُ مَصْدَرَ هَمِّي وَقَلَقي . وَقَدْ أَصْبَحَ شُغْلِي ٱلشّاغِلَ بَعْدَ حادِثَةِ ذٰلِكَ ٱلصَّباحِ . إِنَّ وَضْعي قَدْ تَغَيَّرَ ، فَفي بِدايَةِ ٱلأَمْرِ كانَ مِنَ ٱلصَّعْبِ أَنْ أَتَخَلَّصَ مِنْ جِسْمِ جيكِل وَأَلْبَسَ جِسْمَ هايد — أَمَّا في ٱلآوِنَةِ ٱلأَخيرَةِ فَقَدْ تَحَوَّلَ ٱلأَمْرُ تَدْريجِيًّا إِلى ٱلعَكْسِ . وَهٰكَذا بَدا أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يُشيرُ إِلى هٰذِهِ ٱلحَقيقَةِ ، وَأَعْني بِها أَنَّني قَدْ بَدَأْتُ أَفْقِدُ سَيْطَرَتي عَلى نِصْفي ٱلأَصْليِّ ٱلخَيِّرِ بِصُورَةٍ تَدْريجِيَّةٍ بَطيئَةٍ ، وَأَنَّني قَدْ بَدَأْتُ أَنْدَمِجُ ٱنْدِماجًا كامِلًا مَعَ نِصْفي ٱلثّاني ٱلشِّرّيرِ .

شَعَرْتُ في تِلْكَ ٱللَّحْظَةِ أَنَّ عَلَيَّ أَنْ أَخْتارَ بَيْنَ هٰذَيْنِ ٱلنَّقيضَيْنِ . كانَتْ طَبيعَتايَ تَشْتَرِكانِ في ٱلقُدْرَةِ عَلى ٱلتَّذَكُّرِ — أَمَّا فيما عَدا ذٰلِكَ مِنَ ٱلقُدْراتِ فَقَدْ كانَ تَوْزيعُها عَلى ٱلطَّبيعَتَيْنِ غَيْرَ مُتَساوٍ . لَقَدْ كانَ جيكِل يُشارِكُ هايد في ٱلتَّمَتُّعِ بِمَسَرّاتِهِ وَمُخاطَراتِهِ ، أَمَّا هايد فَلَمْ يُعِرْ جيكِل أَدْنى ٱهْتِمامٍ ، وَلَمْ يَكُنْ يَتَذَكَّرُهُ إِلّا كَما يَتَذَكَّرُ ٱللِّصُّ ٱلكَهْفَ ٱلَّذي يَخْتَفي فيهِ . فَلَوْ أَنَّني ٱخْتَرْتُ جيكِل لَكانَ مَعْنى ذٰلِكَ أَنْ أَفْقِدَ تِلْكَ ٱلمُتَعَ ٱلَّتي طالَما كُنْتُ أَهْفو إِلَيْها وَأُذْعِنُ لَها سِرًّا ، وَٱلَّتي بَدَأْتُ في ٱلأَيّامِ ٱلأَخيرَةِ أُكْثِرُ مِنَ ٱلاسْتِمْتاعِ بِها .

أَمّا إِذا ٱخْتَرْتُ هايد فَإِنَّ ذٰلِكَ يَعْني أَنْ أَفْقِدَ ٱلعَديدَ مِنَ ٱلاهْتِماماتِ وَٱلآمالِ وَأَنْ أُصْبِحَ في غَمْضَةِ عَيْنٍ وَإِلى ٱلأَبَدِ شَخْصًا مُحْتَقَرًا لَيْسَ لَهُ مِنْ صَديقٍ . رُبَّما بَدَتِ ٱلمُعادَلَةُ غَيْرَ مُتَساوِيَةٍ ، وَلٰكِنْ كانَ هُناكَ ٱعْتِبارٌ آخَرُ في ٱلميزانِ . فَبَيْنَما نَجِدُ أَنَّ جيكِل يُقاسي بِمَرارَةٍ مِنْ أَجْلِ ٱحْتِفاظِهِ بِٱتِّزانِهِ وَٱحْتِرامِ ٱلنّاسِ

لَهُ ، نَجِدُ أَنَّ هايد لا يُدْرِكُ عَلى ٱلإِطْلاقِ ما فَقَدَهُ مِنَ ٱتِّزانٍ وَٱحتِرامٍ . وَعَلى ٱلرَّغْمِ مِنْ أَنَّ وَضْعي كانَ غَريبًا فَإِنَّهُ يُمْكِنُ ٱلقَوْلُ إِنَّ هٰذا ٱلصِّراعَ قَديمٌ وَطَبيعيٌّ ، وَإِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ بِظُهورِ ٱلإِنْسانِ عَلى وَجْهِ ٱلأَرْضِ . وَقَدْ حَدَثَ بِالنِّسْبَةِ لي ما يَحْدُثُ بِالنِّسْبَةِ لِلْغالبيَّةِ ٱلعُظْمى مِنْ رِفاقي ، وَهُوَ أَنَّني ٱختَرْتُ ٱلنِّصْفَ ٱلخَيِّرَ ، وَلٰكِنْ لَمْ تَكُنْ لِيَ ٱلقُدْرةُ عَلى ٱلمُحافَظةِ عَلَيْهِ .

نَعَمْ ، لَقَدِ ٱختَرْتُ أَنْ أَظَلَّ ذٰلِكَ ٱلطَّبيبَ ٱلوَقورَ ٱلسّاخِطَ ، ٱلَّذي يُحيطُ بِهِ ٱلأَصْدِقاءُ وَتَهْفو نَفْسُهُ لِتَحْقيقِ ٱلعَديدِ مِنَ ٱلآمالِ ٱلصّادِقةِ . وَوَدَّعْتُ بِعَزيمةٍ قَويَّةٍ ما كُنْتُ أَسْتَمْتِعُ بِهِ وَأَنا في صُورةِ هايد مِنْ حُرِّيَّةٍ وَشَبابٍ وَحَرَكةٍ خَفيفةٍ وَدِماءٍ فائِرةٍ وَمَسَرّاتٍ خَفيَّةٍ . مِنَ ٱلمُحْتَمَلِ أَنَّ ٱختِياري هٰذا لَمْ يَكُنْ كامِلًا ، إِذْ إِنَّني لَمْ أَتَخَلَّصْ مِنْ بَيْتي ٱلمَوْجودِ في حَيِّ سُوهُو ، وَلَمْ أُتْلِفْ مَلابِسَ إِدْوارْد هايد ، بَلْ تَرَكْتُها في غُرْفةِ ٱلمَعْمَلِ وَكَأَنَّها عَلى أُهْبةِ ٱلاسْتِعْدادِ . وَمَعَ ذٰلِكَ فَقَدْ مَكَثْتُ صادِقَ ٱلعَزْمِ لِمُدَّةِ شَهْرَيْنِ كامِلَيْنِ ، كُنْتُ خِلالَهُما أَعيشُ حَياةَ تَقَشُّفٍ لَمْ يَسْبِقْ لي أَنْ مارَسْتُ مَثيلًا لَها . وَكُنْتُ خِلالَ هٰذِهِ ٱلفَتْرةِ أَنْعَمُ بِراحةِ ٱلضَّميرِ ، وَلٰكِنَّ مُرورَ ٱلوَقْتِ بَدَأَ يُحْدِثُ أَثَرَهُ وَيُخَفِّفُ ما عانَيْتُ مِنِ ٱنزِعاجٍ ، وَبَدَأَ ٱرتِياحُ ٱلضَّميرِ يُصْبِحُ أَمْرًا طَبيعيًّا ، ثُمَّ بَدَأَتِ ٱلآلامُ وَٱلشَّهَواتُ تُعَذِّبُني وَكَأَنَّما كانَ هايد يُناضِلُ مِنْ أَجْلِ ٱلحُرِّيَّةِ . وَأَخيرًا ، وَفي ساعةٍ مِنْ ساعاتِ ٱلضَّعْفِ مَزَجْتُ ٱلعَقّارَ وَشَرِبْتُهُ .

لَقَدْ ظَلَّ ٱلشَّيْطانُ حِينًا داخِلي لِفَتْرةٍ طَويلةٍ ، وَعِنْدَما أُطْلِقَ سَراحُهُ خَرَجَ وَهُوَ يَزْأَرُ . لَقَدْ شَعَرْتُ بَعْدَ أَنْ شَرِبْتُ ٱلعَقّارَ بِنَزْعةٍ لِلشَّرِّ أَكْثَرَ عُنْفًا وَأَكْثَرَ

تَحَرُّرًا مِنْ ذي قَبْلُ . رُبَّما كانَتْ تِلْكَ ٱلنَّزْعةُ هِيَ ٱلَّتي جَعَلَتْني أُضيقُ صَدْرًا بِتِلْكَ ٱلكَلِماتِ ٱلمُهَذَّبةِ ٱلَّتي كانَ يَتَحَدَّثُ بِها سِير دانْفِرْز كارُو ، وَلٰكِنَّ ٱلخُضوعَ لِلإِغراءِ — مَهْما كانَ طَفيفًا — يَعْني ٱلسُّقوطَ . وَعَلى ٱلفَوْرِ آستَيْقَظَ ٱلشَّيْطانُ داخِلي وَثارَ غاضِبًا ، وَانْهَلْتُ عَلى الرَّجُلِ ضَرْبًا بِعَصاي دُونَ أَنْ يُبْدِيَ أَيَّةَ مُقاوَمةٍ ، وَكُنْتُ أُحِسُّ بِنَشْوَةٍ إِبْليسِيَّةٍ . وَكانَتْ كُلُّ ضَرْبةٍ أَكيلُها لَهُ تَبْعَثُ في نَفْسي مَزيدًا مِنَ ٱلبَهْجةِ وَٱلسُّرورِ . وَلَمْ أَتَوَقَّفْ إِلّا بَعْدَ أَنْ أَخَذَ ٱلتَّعَبُ مِنِّي كُلَّ مَأْخَذٍ ، وَكانَتْ سَوْرةُ غَضَبي قَدْ وَصَلَتْ آنذاكَ إِلى ذِرْوَتِها . وَعِنْدَئِذٍ شَعَرْتُ بِٱلخَوْفِ بَعْدَ أَنْ أَدْرَكْتُ أَنَّ حَياتي قَدْ أَصْبَحَتْ في خَطَرٍ ، فَأَسْرَعْتُ بِٱلهَرَبِ مِنْ مَكانِ ٱلحادِثِ مُنْتَشِيًا وَمُرْتَعِدًا في آنٍ واحِدٍ . لَقَدْ أَشْبَعْتُ شَهْوَتي إِلى ٱلشَّرِّ وَزِدْتُ مِنْ سُعارِها .

جَرَيْتُ مُسْرِعًا إِلى بَيْتي في سُوهُو ، وَقُمْتُ بِإِحْراقِ أَوْراقي حَتَّى أَتَأَكَّدَ مِنْ أَنَّ أَحَدًا لَنْ يَتَعَرَّفَ عَلَيَّ ، ثُمَّ سِرْتُ إِلى مَعْمَلي مُخْتَرِقًا عَدَدًا مِنَ ٱلشَّوارِعِ ٱلمُضاءَةِ بِٱلمَصابيحِ . وَعِنْدَما قامَ هايد بِمَزْجِ ٱلدَّواءِ كانَ يُغَنِّي مُبْتَهِجًا ، ثُمَّ شَرِبَ ٱلدَّواءَ وَكَأَنَّهُ يَشْرَبُ نَخْبَ ٱلرَّجُلِ ٱلَّذي ماتَ .

وَبِمُجَرَّدِ أَنْ خَفَّتِ ٱلآلامُ ٱلَّتي يَشْعُرُ بِها في أَعْقابِ شُرْبِهِ ٱلدَّواءَ كانَ هِنْري جيكِل راكِعًا عَلى رُكْبَتَيْهِ وَدُموعُ ٱلنَّدَمِ تَنْسابُ مِنْ عَيْنَيْهِ رافِعًا يَدَيْهِ إِلى ٱللهِ راجِيًا أَنْ يَغْفِرَ لَهُ . وَكُنْتُ أَوَدُّ لَوْ أَنَّني صِحْتُ وَصَرَخْتُ وَحاوَلْتُ بِالدُّموعِ وَٱلدُّعاءِ أَنْ أَمْحُوَ أَثَرَ تِلْكَ ٱلصُّورِ وَٱلأَصْواتِ ٱلمُخيفةِ ٱلَّتي كانَتْ ذاكِرَتي تَزْخَرُ بِها . وَلٰكِنَّ ٱلسِّرَّ كانَ يُطِلُّ بِوَجْهِهِ ٱلقَبيحِ عَلى نَفْسي عِنْدَ كُلِّ صَلاةٍ ،

وَسُرْعانَ ما أَعْقَبَ هٰذا ٱلحُزْنَ شُعورٌ بِٱلبَهْجةِ وَٱلسُّرورِ لِأَنِّي شَعَرْتُ بِأَنَّ مُشْكِلَتي قَدْ حُلَّتْ ، وَأَنَّ ظُهورَ هايد قَدْ أَصْبَحَ أَمْرًا مُسْتَحيلًا ، فَقُمْتُ بِإِغْلاقِ ٱلبابِ ٱلخَلْفِيِّ ٱلَّذي كانَ يَسْتَخْدِمُهُ هايد في دُخولِهِ وَخُروجِهِ وَكَسَرْتُ مِفْتاحَ ٱلبابِ تَحْتَ قَدَمي .

إِنتَشَرَتِ ٱلأَنْباءُ في ٱليَوْمِ ٱلتّالي أَنَّ هُناكَ مَنْ رَأى ٱلقاتِلَ وَعَرَفَ ٱلنّاسُ أَجْمَعُهُمْ ما ٱقتَرَفَتْ يَدا هايد ، وَأَنَّ ٱلقَتيلَ كانَ شَخْصِيَّةً مَرموقةً يَتَمَتَّعُ بِتَقْديرِ ٱلرَّأْيِ ٱلعامِّ . إِنَّها لَمْ تَكُنْ جَريمَةً فَحَسْبُ ، لَقَدْ كانَتْ مَهْزَلةً أَيْضًا . وَكانَ مِمّا بَعَثَ ٱلسُّرورَ في نَفْسي أَنَّ جيكِل قَدْ أُصْبَحَ ٱلآنَ مَلْجَأي وَمَلاذي ؛ فَلَوْ أَنَّ هايد أَطَلَّ بِرَأْسِهِ مِنْ مَكْمَنِهِ ، وَلَوْ لِلَحْظةٍ واحِدةٍ ، لَامتَدَّتْ أَيْدي ٱلنّاسِ جَميعًا لِتُمْسِكَ بِهِ وَتَقْتُلَهُ .

لِهٰذا صَمَّمْتُ أَنْ يَكونَ تَصَرُّفي في ٱلمُسْتَقْبَلِ تَكْفيرًا عَمّا مَضى ، وَيُمْكِنُني أَنْ أَقولَ بِكُلِّ صِدْقٍ إِنَّ تَصْميمي هٰذا أَثْمَرَ بَعْضَ ٱلخَيْرِ . فَأَنْتَ تَعْرِفُ بِنَفْسِكَ كَيْفَ أَنِّي كُنْتُ خِلالَ ٱلأَشْهُرِ ٱلأَخيرةِ مِنَ ٱلسَّنةِ ٱلماضيةِ أَبْذُلُ قُصارى جَهْدي لِأُخَفِّفَ آلامَ ٱلنّاسِ . وَأَنَّني قَدَّمْتُ فِيها ٱلكَثيرَ مِنَ ٱلخِدْماتِ لِلْمُحْتاجينَ ، وَكانَتِ ٱلأَيّامُ تَمُرُّ بِهُدوءٍ مِمّا أَدْخَلَ ٱلسَّعادةَ في نَفْسي ، وَلا يُمْكِنُني أَنْ أَقولَ إِنَّ هٰذِهِ ٱلحَياةَ ٱلخَيِّرةَ ٱلفاضِلةَ قَدْ جَعَلَتْني أَشْعُرُ بِٱلمَلَلِ ، فَقَدْ كانَ ٱلأَمْرُ غَيْرَ ذٰلِكَ ، إِذْ إِنَّني كُنْتُ أَسْتَمْتِعُ بِها كُلَّ يَوْمٍ ، وَلٰكِنِّي مَعَ ذٰلِكَ كُنْتُ واقِعًا تَحْتَ لَعْنةِ نِصْفِيَ ٱلشِّرّيرِ . وَلِهٰذا فَعِنْدَما خَفَّتْ آثارُ حُزْني بَدَأَ نِصْفي هٰذا يَعودُ طالِبًا ٱلحُرِّيَّةَ ٱلَّتي كانَ قَدِ ٱعتادَها في ٱلآوِنةِ ٱلأَخيرةِ . وَلَمْ يَكُنْ مَعْنى هٰذا أَنِّي بَدَأْتُ

أَحْلُمُ بِإِعادةِ هايد إلى ٱلحَياةِ لِأَنّ مُجَرَّدَ ٱلتَّفْكيرِ في هٰذا كانَ يُفْزِعُني كُلَّ ٱلفَزَعِ . لا ، لَمْ أَكُنْ أُفَكِّرُ في هٰذا أَبَدًا . بَلْ بَدَأْتُ أَسْلُكُ سُلوكَ مَنْ يَقْتَرِفُ ٱلذُّنوبَ في ٱلسِّرِّ . وَهٰكَذا بَدَأْتُ أُذْعِنُ لِلإِغْراءِ مِنْ جَديدٍ .

لا بُدَّ لِكُلِّ شَيْءٍ أَنْ يَصِلَ يَوْمًا إلى نِهايَتِهِ ، وَمَهْما كانَ ٱلإِناءُ كَبيرًا فَلا بُدَّ أَنْ يَمْتَلِئَ في يَوْمٍ مِنَ ٱلأَيّامِ . وَهٰكَذا فَإِنَّ هٰذا ٱلمَيْلَ ٱلقَليلَ نَحْوَ ٱلشَّرِّ قَدْ أَخَلَّ بِما كانَ قائِمًا مِنْ تَوازُنٍ ، وَلٰكِنِّي لَمْ أَنْزَعِجْ إِذْ إِنَّ ٱلسُّقوطَ لِلْهاوِيَةِ كانَ يَبْدو أَمْرًا طَبيعيًّا . وَكَأَنَّما قَدْ رَجَعَتْ بِيَ ٱلأَيّامُ إلى ما مَضى ، قَبْلَ أَنْ أَصِلَ إلى ٱكْتِشافي ذاكَ .

ذاتَ يَوْمٍ صَحْوٍ جَميلٍ كُنْتُ أَجْلِسُ عَلى أَريكَةٍ في حَديقَةٍ عامَّةٍ ، وَكانَتْ زُهورُ ٱلرَّبيعِ تُعَطِّرُ ٱلجَوَّ مِنْ حَوْلي . وَكانَتِ ٱلقُوى ٱلحَيَوانيَّةُ ٱلمَوْجودَةُ داخِلي تَلْعَقُ بَقايا ذِكْرَياتي ، أَمّا قُوى ٱلخَيْرِ عِنْدي فَكانَتْ في شَيْءٍ مِنَ ٱلسُّباتِ ، وَكانَتْ تُمَنِّي ٱلنَّفْسَ بِالتَّوْبَةِ فيما بَعْدُ دُونَ أَنْ تَبْدَأَ ٱلعَمَلَ مِنْ أَجْلِها . فَكُنْتُ أَقولُ لِنَفْسي إِنَّ شَأْني في ذٰلِكَ شَأْنُ جَميعِ ٱلنّاسِ حَوْلي

وَأَخَذْتُ أَبْتَسِمُ وَأَنا أُقارِنُ نَفْسي بِٱلآخَرينَ ، وَأُقارِنُ نِيَّتي ٱلطَّيِّبَةَ ٱلنَّشيطَةَ بِقَسْوَتِهِمْ وَٱسْتِخْفافِهِمْ ، وَفي نَفْسِ ٱللَّحْظَةِ ٱلَّتي كانَتْ تُراوِدُني فيها تِلْكَ ٱلأَفْكارُ ٱلمَليئَةُ بِالتَّباهي وَٱلتَّفاخُرِ ، شَعَرْتُ بِغَثَيانٍ شَديدٍ وَرَعْشَةٍ عَنيفَةٍ ما لَبِثَتْ أَنْ ذَهَبَتْ وَتَرَكَتْني واهِنًا ضَعيفًا يَكادُ يُغْشى عَلَيَّ . ثُمَّ ما لَبِثَ هٰذا ٱلوَهَنُ أَنْ زالَ كَذٰلِكَ ، وَبَدَأْتُ أَشْعُرُ بِحُدوثِ تَغَيُّرٍ في طَبيعَةِ أَفْكاري ، فَقَدْ أَصْبَحْتُ أَكْثَرَ جَسارَةً ، وَأَكْثَرَ ٱزْدِراءً بِٱلمَخاطِرِ ، وَتَحَرُّرًا مِنْ قُيودِ

ٱلواجِبِ ، ثُمَّ وَقَعَ نَظَري عَلى أَطْرافي فَوَجَدْتُها قَدْ صَغُرَتْ ، وَوَجَدْتُ مَلابِسي قَدْ أَصْبَحَتْ فَضْفاضةً تَتَدَلَّى بِصُورةٍ غَيْرِ عادِيَّةٍ عَلى هٰذِهِ ٱلأَطْرافِ ٱلصَّغيرةِ . وَكانَتِ ٱليَدُ ٱلَّتي عَلى رُكْبَتَيَّ ناتِئةَ ٱلعِظامِ مُغَطَّاةً بِالشَّعْرِ . لَقَدْ أَصْبَحْتُ إِدْوارْد هايد مَرَّةً أُخْرى . إِنَّني مُنْذُ لَحْظةٍ واحِدةٍ كُنْتُ أَحْظَى بِٱحتِرامِ ٱلنَّاسِ جَميعًا وَبِحُبِّهِمْ ، وَأَنْعَمُ بِالثَّرْوةِ وَٱلجاهِ ، وَكانَ خَدَمي قَدْ أَعَدُّوا ليَ ٱلمائِدةَ في غُرْفةِ ٱلطَّعامِ بِمَنْزِلي . أَمَّا ٱلآنَ فَإِنَّ ٱلبَشَرَ جَميعًا يُطارِدونَني لَقَدْ أَصْبَحْتُ شِرِّيرًا مُطارَدًا ، يَعْرِفُ ٱلجَميعُ أَنَّني قاتِلٌ ، وَأَنَّ مَصيري هُوَ حَبْلُ ٱلمِشْنَقةِ .

لَقَدِ ٱهتَزَّ فِكْري لِذٰلِكَ ، وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَخُنِّي . وَكُنْتُ قَدْ لاحَظْتُ مِنْ قَبْلُ أَنَّ تَفْكيري – وَأَنا في صُورةِ هايد – أَكْثَرُ حِدَّةً ، وَأَنَّ عَزيمَتي أَكْثَرُ مَضاءً . إِنَّ مِثْلَ هٰذا ٱلمَوْقِفِ كانَ مِنَ ٱلمُحْتَمَلِ أَنْ يَدْفَعَ بِٱليَأْسِ إِلى قَلْبِ جيكِل ، أَمَّا هايد فَقَدْ هَبَّ لِمُواجَهَتِهِ . وَكانَتْ عَقاقيري في أَحَدِ أَدْراجِ ٱلدُّولابِ بِغُرْفَتي – وَكانَتْ مُشْكِلَتي هِيَ كَيْفَ يُمْكِنُني أَنْ أَصِلَ إِلَيْها ، فَأَخَذْتُ أُفَكِّرُ مَلِيًّا لِكَيْ أَجِدَ حَلًّا لِتِلْكَ ٱلمُشْكِلةِ . لَقَدْ أَغْلَقْتُ بابَ ٱلمَعْمَلِ ، وَإِذا حاوَلْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ مِنَ ٱلبَيْتِ فَلَيْسَ مِنْ شَكٍّ أَنَّ خَدَمي سَوْفَ يُلْقونَ ٱلقَبْضَ عَلَيَّ ، وَيَقومونَ بِتَسْليمي لِمَصيرِيَ ٱلمَحْتومِ لِهٰذا رَأَيْتُ أَنْ أَسْتَخْدِمَ شَخْصًا آخَرَ ، وَفَكَّرْتُ في لانْيُون . وَلٰكِنْ كَيْفَ أَصِلُ إِلَيْهِ وَكَيْفَ أُقْنِعُهُ ؟ لِنَفْرِضْ أَنَّني تَمَكَّنْتُ مِن تَفادي إِلْقاءِ ٱلقَبْضِ عَلَيَّ في ٱلشَّوارِعِ فَكَيْفَ يُمْكِنُني أَنْ أُقابِلَهُ وَكَيْفَ يُمْكِنُني وَأَنا ٱلزَّائِرُ ٱلمُزْعِجُ ٱلمَجْهولُ أَنْ أُقْنِعَ هٰذا ٱلطَّبيبَ ٱلمَشْهورَ أَنْ يَقْتَحِمَ مَكْتَبَ طَبيبٍ آخَرَ ؟

عِنْدَئِذٍ تَذَكَّرْتُ أَنِّي مازِلْتُ أَحْتَفِظُ بِإِحْدى قُدْراتي ٱلأَصْلِيَّةِ — إِنَّ في وُسْعي أَنْ أَكْتُبَ ٱلخَطَّ نَفْسَهُ ٱلَّذي كُنْتُ أَكْتُبُ بِهِ مِنْ قَبْلُ . وَهٰكَذا ٱتَّضَحَ لِيَ ٱلطَّريقُ ٱلَّذي يَجِبُ أَنْ أَسْلُكَهُ .

لِهٰذا قُمْتُ بِتَنْسيقِ مَلابِسي قَدْرَ إِمْكاني ، وَأَخَذْتُ عَرَبةً إِلى أَحَدِ ٱلفَنادِقِ كُنْتُ أَذْكُرُ ٱسمَهُ . وَعِنْدَما رَآني سائِقُ ٱلعَرَبةِ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُخْفِيَ ٱبتِسامَتَهُ ، وَلٰكِنَّ هٰذِهِ ٱلابتِسامةَ ما لَبِثَتْ أَنْ تَلاشَتْ مِنْ فَوْقِ شَفَتَيْهِ بَعْدَ أَنْ رَمَقْتُهُ بِنَظْرةٍ غاضِبةٍ وَٱلشَّرَرُ يَتَطايَرُ مِنْ عَيْنَيَّ . وَكانَ مِنْ حُسْنِ حَظِّهِ أَنَّ ٱبتِسامَتَهُ تِلْكَ قَدْ تَلاشَتْ ، بَلْ مِنْ حُسْنِ حَظِّي أَيْضًا ، فَقَدْ كِدْتُ أَنْ أَجْذِبَهُ مِنْ مَقْعَدِهِ وَأُلْقِيَ بِهِ أَرْضًا .

عِنْدَما دَخَلْتُ ٱلفُنْدُقَ نَظَرْتُ حَوْلي في غَضَبٍ مِمَّا جَعَلَ ٱلخَدَمَ يَرْتَعِدونَ ، وَلَمْ يَجْرُؤْ أَيُّ واحِدٍ مِنْهُمْ أَنْ يَتَبادَلَ نَظْرةً واحِدةً مَعَ زَميلِهِ ، بَلْ تَقَبَّلوا أَوامِري بِأَدَبٍ بالِغٍ ، وَأَخَذوني إِلى غُرْفةٍ خاصَّةٍ ، وَأَحْضَروا وَرَقًا وَقَلَمًا . إِنَّ هايد يُصْبِحُ مَخْلوقًا آخَرَ غَريبًا عَلَيَّ عِنْدَما يُواجِهُ ما يُهَدِّدُ حَياتَهُ . إِنَّهُ يُصْبِحُ مَخْلوقًا يَمْلأُ ٱلغَضَبُ جَوانِحَهُ ، مُتَوَتِّرًا إِلى دَرَجةٍ تَجْعَلُهُ يَرْتَكِبُ جَريمةَ ٱلقَتْلِ دُونَ تَرَدُّدٍ ، لَهُ رَغْبةٌ عارِمةٌ في إِيلامِ ٱلآخَرينَ .

وَمَعَ ذٰلِكَ فَقَدْ كانَ هايد في ذٰلِكَ ٱلمَوْقِفِ مُتَّسِمًا بِالدَّهاءِ ، فَقَدْ تَمَكَّنَ مِنْ أَنْ يُسَيْطِرَ عَلى سَوْرةِ غَضَبِهِ باذِلًا جَهْدًا كَبيرًا في سَبيلِ ذٰلِكَ . ثُمَّ قامَ بِكِتابةِ خِطابَيْهِ ٱلمُهِمَّيْنِ ؛ أَحَدُهُما لِلانْيُون وَٱلآخَرُ لِپُوول . وَلِكَيْ يَتَأَكَّدَ مِنْ أَنَّهُ قَدْ تَمَّ إِرسالُهُما بِٱلبَريدِ فِعْلًا ، طَلَبَ مِنَ ٱلخادِمِ أَنْ يُرْسِلَهُما مُسَجَّلَيْنِ .

بَعْدَ أَنْ تَمَّ إنجازُ ذٰلِكَ قَبَعَ في غُرْفَتِهِ بِجوارِ ٱلمِدْفأَةِ طَوالَ ٱلْيَوْمِ يَقْضِمُ أَظافِرَهُ في تَرَقُّبٍ وَتَوَتُّرٍ . وَفي غُرْفَتِهِ تَناوَلَ عَشاءَهُ وَحيدًا مَعَ مَخاوِفِهِ ، وَكانَ ٱلخادِمُ يَرْتَعِدُ أَمامَ عَيْنَيْهِ وَهُوَ يُقَدِّمُ لَهُ ٱلطَّعامَ . وَعِنْدَما أَرْخى ٱللَّيْلُ سُدُولَهُ رَكِبَ عَرَبةً مُقْفَلةً وَٱنزَوى في رُكْنِها ، وَطَلَبَ مِنَ ٱلسَّائِقِ أَنْ يَمْضيَ بِهِ جَيْئةً وَذَهابًا في شَوارِعِ ٱلمَدينةِ . إنِّي أُشيرُ إلَيْهِ بِضَميرِ ٱلغائِبِ ، وَلا أَقولُ أَنا ، إذْ إنَّ ذٰلِكَ ٱلمَخْلوقَ ٱلشَّيْطانيَّ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ شَيْءٌ مِنَ ٱلصِّفاتِ ٱلإنسانيَّةِ – لَمْ يَكُنْ إلَّا مَزيجًا مِنَ ٱلخَوْفِ وَٱلكَراهيةِ . وَعِنْدَما أَحَسَّ في ٱلنِّهايةِ بِأَنَّ سائِقَ ٱلعَرَبةِ قَدْ بَدَأَ يَشُكُّ فيهِ أَوْقَفَهُ وَصَرَفَهُ ، وَسارَ عَلى قَدَمَيْهِ في مَلابِسِهِ ٱلفَضْفاضَةِ ٱلَّتي جَذَبَتِ ٱنتِباهَ ٱلآخَرينَ ، وَكانَ ٱلخَوْفُ وَٱلكَراهيةُ يَمْلآنِهِ وَيَثورانِ في داخِلِهِ ثَوْرةً عاصِفةً . وَسارَ مُسْرِعًا وَكَأَنَّما يَهْرُبُ مِنْ مَخاوِفِهِ ، وَكانَ يَتَحَدَّثُ إلى نَفْسِهِ في ثَوْرةٍ ، وَيَخْتَبِئُ في ٱلشَّوارِعِ غَيْرِ ٱلمَطْروقةِ ، وَيَحْسِبُ ٱلدَّقائِقَ ٱلَّتي تَفْصِلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُنْتَصَفِ ٱللَّيْلِ . وَحَدَثَ أَنْ كَلَّمَتْهُ ٱمرأَةٌ عارِضةً عَلَيْهِ عُلْبةَ ثِقابٍ . لٰكِنَّهُ لَطَمَها عَلى وَجْهِها فَأَسْرَعَتِ ٱلمَرْأَةُ بِٱلفِرارِ .

عِنْدَما عادَتْ إلَيَّ شَخْصِيَّتي ٱلأُولى في بَيْتِ لانْيُون تَأَثَّرْتُ بَعْضَ ٱلتَّأَثُّرِ لِما عاناهُ صَديقي ٱلقَديمُ مِنْ فَزَعٍ . وَلٰكِنَّ مُعاناتِهِ تِلْكَ لَمْ تَكُنْ إلَّا مُجَرَّدَ قَطْرةٍ في بَحْرِ ٱلكَراهيةِ وَٱلمُعاناةِ ٱلَّتي كُنْتُ أُحِسُّ بِهِما في تِلْكَ ٱلسَّاعاتِ ٱلعَصيبةِ . وَبَدَأْتُ أَشْعُرُ بِأَنَّ تَغَيُّرًا قَدْ حَدَثَ . إنَّني لَمْ أَكُنْ أَتَعَذَّبُ خَوْفًا مِنْ يَدِ ٱلجَلَّادِ ، وَلٰكِنْ خَوْفًا مِنْ أَنْ أُصْبِحَ هايد . وَقَدِ ٱستَقْبَلْتُ ٱستِنْكارَ لانْيُون وَكَأَنَّني في حُلْمٍ وَرَجَعْتُ إلى بَيْتي وَإلى فِراشي وَكَأَنَّ ٱلأَمْرَ كُلَّهُ مُجَرَّدُ حُلْمٍ .

استَغْرَقْتُ في نَوْمٍ عَميقٍ لِلْغايةِ ، حَتَّى إنَّ ٱلأَحْلامَ ٱلمُزْعِجةَ ٱلَّتي راوَدَتْني



في تِلْكَ ٱللَّيْلةِ لَمْ تَقُضَّ مَضْجَعي . وَعِنْدَما ٱستَيْقَظْتُ في ٱلصَّباحِ كُنْتُ مَنْهوكًا وَلٰكِنْ مُطْمَئِنًّا . كُنْتُ ما أَزالُ أَكْرَهُ وَأَخافُ ذٰلِكَ ٱلوَحْشَ ٱلكامِنَ فيَّ ، وَلَمْ أَنْسَ بِطَبيعةِ ٱلحالِ تِلْكَ ٱلأَخْطارَ ٱلمُرْعِبةَ ٱلَّتي مَرَّتْ بي ٱللَّيْلةَ ٱلماضيةَ ، وَلٰكِنِّي ٱلآنَ في بَيْتي مَرَّةً أُخْرى وَعَلى مَقْرَبةٍ مِنْ عَقاقِيري ، وَشَكَرْتُ ٱللّٰهَ عَلى نَجاتي ، وَعادَ إِلَيَّ وَميضُ ٱلأَمَلِ .

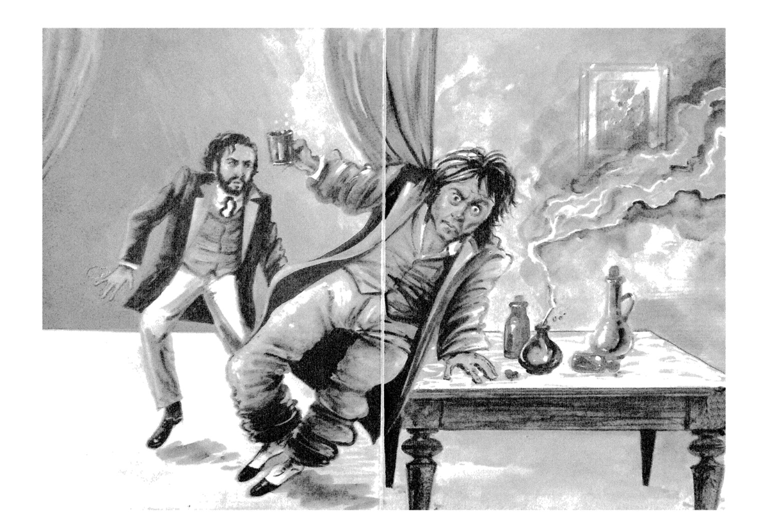
ذاتَ مَرَّةٍ كُنْتُ أَسيرُ في ٱلفِناءِ . بَعْدَ ٱلإِفْطارِ ، أَسْتَمْتِعُ بِهَواءِ ٱلصَّباحِ ٱلبارِدِ ، عِنْدَما ٱنتابَتْني مَرَّةً أُخْرى تِلْكَ ٱلمَشاعِرُ ٱلغامِضةُ ٱلَّتي كانَتْ تَسْبِقُ تَحَوُّلي إِلى هايد . وَما إِنْ أَسْرَعْتُ بِاللُّجُوءِ إِلى غُرْفَتي حَتَّى كانَ ٱلتَّحَوُّلُ قَدْ تَمَّ ، وَبَدَأْتُ أَصْخَبُ وَأَثُورُ وَأَنا في صُورةِ هايد . وَفي تِلْكَ ٱلمَرَّةِ كانَ عَلَيَّ أَنْ أُضاعِفَ كَمِّيَّةَ ٱلعَقَّارِ لِأَتَمَكَّنَ مِنَ ٱلرُّجوعِ إِلى حَقيقَتي ٱلأَصْلِيَّةِ . وَلٰكِنْ لِسُوءِ ٱلحَظِّ عادَتِ ٱلآلامُ مَرَّةً أُخْرى بَعْدَ سِتِّ ساعاتٍ فَقَطْ ، وَكُنْتُ آنَذاكَ جالِسًا بِجِوارِ ٱلمِدْفأَةِ أَنْظُرُ إِلى ٱلنَّارِ في حُزْنٍ وَتَعاسةٍ . وَلَمْ أَتَمَكَّنْ مِنَ ٱلرُّجوعِ إِلى جيكِلِ إِلَّا نَتيجةَ تَأْثيرِ ٱلعَقَّارِ ٱلَّذي تَناوَلْتُهُ عَلى ٱلفَوْرِ . لَقَدْ كانَتْ تِلْكَ ٱلرَّجَفاتُ ٱلمُفاجِئةُ تَنْتابُني في كُلِّ ساعاتِ ٱلنَّهارِ وَٱللَّيْلِ . وَأَهَمُّ مِنْ ذٰلِكَ أَنَّني كُنْتُ إِذا نِمْتُ لِلَحْظةٍ واحِدةٍ عَلى مَقْعَدي نَوْمًا خَفيفًا فَإِنَّني كُنْتُ أَسْتَيْقِظُ دائِمًا في صُورةِ هايد . وَهٰكَذا كُنْتُ تَحْتَ سَيْفِ هٰذا ٱلقَدَرِ ، وَحَكَمْتُ عَلى نَفْسي بِأَنْ أَظَلَّ يَقِظًا دائِمًا حَتَّى أَصْبَحْتُ مَخْلوقًا تَنْهَشُهُ ٱلمَخاوِفُ وَتَهُدُّهُ ٱلحُمَّى ؛ مَخْلوقًا واهِنَ ٱلجِسْمِ وَٱلعَقْلِ لا تَشْغَلُهُ إِلَّا فِكْرةٌ واحِدةٌ هِيَ خَوْفُهُ مِنْ نِصْفِهِ الآخَرِ . وَكُنْتُ إِذا غَلَبَني ٱلنَّوْمُ أَوْ خَفَّ أَثَرُ ٱلعَقَّارِ أَنْتَقِلُ في قَفْزةٍ واحِدةٍ سَريعةٍ ، إِذْ إِنَّ آلامَ ٱلتَّحَوُّلِ قَدْ قَلَّتْ بِمُرورِ ٱلوَقْتِ

لِأَعودَ تَحْتَ سَيْطَرةِ خَيالٍ زاخِرٍ بِالصُّوَرِ ٱلمُفْزِعةِ ، وَنَفسٍ تَغْلي حِقْدًا وَغَضَبًا ، وَجِسْمٍ يَبْدو وَكَأَنَّهُ لَيْسَ مِنَ ٱلقُوَّةِ بِحَيْثُ يُمْكِنُهُ أَنْ يَحْتَوِيَ كُلَّ ذٰلِكَ ٱلعُنْفِ ٱلصَّاخِبِ .

لَيْسَ مِنَ ٱلمُجْدي أَنْ أَقولَ أَكْثَرَ مِنْ هٰذا فَٱلوَقْتُ يَمْضي سَريعًا وَهُوَ لَيْسَ في مَصْلَحَتي . وَيَكْفيني أَنْ أَقولَ إِنَّ أَحَدًا مِنَ ٱلبَشَرِ لَمْ يُقاسِ مِثْلَ هٰذا ٱلعَذابِ . وَكانَ مِنَ ٱلمُمْكِنِ أَنْ يَسْتَمِرَّ عِقابي هٰذا لِسِنينَ عَديدةٍ لَوْ لَمْ تَحْدُثْ تِلْكَ ٱلكارِثةُ ٱلَّتي حَلَّتْ أَخيرًا ، وَٱلَّتي حالَتْ بَيْني وَبَيْنَ وَجْهي ٱلحَقيقيِّ وَطَبيعَتي ٱلأَصْلِيَّةِ . لَقَدْ بَدَأَ رَصيدي مِنَ ٱلمِلْحِ ٱلَّذي يَعْمَلُ فيهِ ٱلعَقّارُ يَنْضُبُ ، وَكُنْتُ لَمْ أُجَدِّدْهُ مُنْذُ أَنْ بَدَأْتُ أَسْتَخْدِمُهُ . وَلِهٰذا أَرْسَلْتُ في طَلَبِ كَمِّيَّةٍ جَديدةٍ ، ثُمَّ قُمْتُ بِمَزْجِ ٱلمِلْحِ ٱلَّذي حَصَلْتُ عَلَيْهِ فَأَحْدَثَ فَقاقيعَ كَسابِقِهِ ، وَتَغَيَّرَ ٱللَّوْنُ مَرَّةً واحِدةً لا مَرَّتَيْنِ ثُمَّ شَرِبْتُهُ ، وَلٰكِنْ دُونَ أَنْ يُحْدِثَ أَيَّ أَثَرٍ . وَيُمْكِنُكَ أَنْ تَعْرِفَ مِنْ پُوول كَيْفَ أَنِّي طَلَبْتُ مِنْهُ أَنْ يَبْحَثَ عَنِ ٱلمِلْحِ في كُلِّ رُكْنٍ مِنْ أَرْكانِ لَنْدَن ، وَلٰكِنْ دُونَ جَدْوى . وَأَنا مُقْتَنِعٌ ٱلآنَ أَنَّ ٱلكَمِّيَّةَ ٱلأُولى ٱلَّتي حَصَلْتُ عَلَيْها لَمْ تَكُنْ نَقِيَّةً ، وَأَنَّ تِلْكَ ٱلشَّوائِبَ ٱلمَجْهولةَ هِيَ ٱلَّتي كانَتْ تُعْطي ٱلمِلْحَ فاعِلِيَّتَهُ .

لَقَدْ مَضى حَوالَى أُسْبوعٍ وَإِنّي أَخْتِمُ ٱلآنَ هٰذا ٱلبَيانَ تَحْتَ تَأْثيرِ ٱلكَمِّيَّةِ ٱلأَخيرةِ مِنَ ٱلمَسْحوقِ ٱلقَديمِ . وَلِهٰذا فَإِذا لَمْ تَحْدُثْ مُعْجِزةٌ فَسَتَكونُ هٰذِهِ آخِرَ مَرَّةٍ يَتَمَكَّنُ فيها هِنْري جِيكِل مِنَ ٱلتَّفْكيرِ بِعَقْلِهِ هُوَ ، وَمِنْ أَنْ يَرى وَجْهَهُ في ٱلمِرْآةِ (وَقَدْ تَغَيَّرَ ٱلآنَ بِصُورةٍ مُحْزِنةٍ) . وَمِنَ ٱلضَّروريِّ أَلَّا أَتَأَخَّرَ أَكْثَرَ

مِنْ ذٰلِكَ في إنْهاءِ كَلِمَتي هٰذِهِ ، لِأَنَّهُ إذا كانَتْ هٰذِهِ ٱلقِصَّةُ قَدْ نَجَتْ مِنَ ٱلتَّمْزيقِ فَإنَّما يَرْجِعُ ذٰلِكَ إلى مَزيجٍ مِنَ ٱلحِرْصِ وَحُسْنِ ٱلحَظِّ . فَلَوْ حَدَثَ وَٱنتابَتْني آلامُ ٱلتَّحَوُّلِ وَأَنا أَقومُ بِكِتابَتِها فَسَوْفَ يَقومُ هايد بِتَمْزيقِها إرْبًا إرْبًا . وَلٰكِنْ لَوْ مَرَّ بَعْضُ ٱلوَقْتِ عَلى ٱنتِهائي مِنْ كِتابَتِها فَمِنَ ٱلمُحْتَمَلِ أَنْ تَنْجُوَ مِنْ حِقْدِهِ وَضَغينَتِهِ . وَٱلحَقيقَةُ أَنَّ ٱلمَصيرَ ٱلمَحْتومَ ٱلَّذي يَنْتَظِرُنا نَحْنُ ٱلاثْنَيْنِ قَدْ غَيَّرَهُ وَسَحَقَهُ سَحْقًا . فَأَنا أَعْرِفُ كَيْفَ أَنَّ هايد سَوْفَ يَجْلِسُ في مَقْعَدي هٰذا بَعْدَ نِصْفِ ساعةٍ مِنَ ٱلآنَ مُرْتَعِدًا يَبْكي وَيَنْتَحِبُ ، أَوْ يَمْشي جَيْئَةً وَذَهابًا في هٰذِهِ ٱلغُرْفَةِ (ٱلَّتي تُعْتَبَرُ مَلْجَأَهُ ٱلأَخيرَ عَلى ظَهْرِ ٱلأَرْضِ) وَيَسْتَمِعُ وَٱلخَوْفُ يَمْلأُ جَوانِحَهُ إلى أَيِّ صَوْتٍ قَدْ يُنْذِرُ بِٱلخَطَرِ . هَلْ سَيَفْقِدُ هايد حَياتَهُ عَلى حَبْلِ ٱلمِشْنَقَةِ ؟ أَمْ سَيَجِدُ ٱلشَّجاعةَ ٱلَّتي تُمَكِّنُهُ مِنْ أَنْ يُنْقِذَ نَفْسَهُ في آخِرِ لَحْظَةٍ ؟ ٱللهُ وَحْدَهُ يَعْلَمُ ٱلجَوابَ . لَقَدْ أَصْبَحْتُ غَيْرَ مُكْتَرِثٍ بِشَيْءٍ ، فَهٰذِهِ لَحْظَةُ وَفاتي ٱلحَقيقيَّةُ . أَمَّا ما سَيُعْقِبُ ذٰلِكَ فَهُوَ خاصٌّ بِشَخْصٍ آخَرَ غَيْري . وَٱلآنَ وَأَنا أَضَعُ قَلَمي وَأَهِمُّ بِإغْلاقِ ٱلظَّرْفِ ٱلَّذي يَحْتَوي عَلى ٱعتِرافاتي فَإنَّما أُنْهي بِذٰلِكَ حَياةَ ذٰلِكَ ٱلرَّجُلِ البائِسِ هِنْري جيكِل .



الروايات المشهورة





مكتبة لبنان
ساحة رياض الصلح - بيروت
رقم مرجع كمبيوتر 106 198 C 01